المشرق

السنة الخامسة والاربعون

نيسان – حزيران ١٩٥١

تمهيد

المعضلة في عصرنا هي دون ريب العثور على الانسان وعن قيمة الانسان التي لا يُستعاض عنها . فان المادة والمصنع نزعا عنه حتى الشعور بواجباته كانسان . فاذا هو اليوم يرضى بألّا يكون سوى شخص مجهول غارقٍ في جمهور لا لون له ولا غاية. يرضى بان يذوب في هذه اللاشخصية لانه لا يشعر من ذاته بالقوة للوقوف بوجه الذين كان من الواجب عليهم ان يهذّبوا ضميره ويجعلوه يحس بكرامته كانسان .

انسان اليوم يبدو مترعزعاً ، لا اصول تسنده ؛ وتطوّف به اهوا، بعض القادة ، وبعض الافكار والعقائد . اما ما هو بحاجة ملحة اليه ، فليست الافكار والعقائد : ان ما ينقصه هو الروح .

انسان اليوم فقد حاسة تذوّق الحياة الحقيقية واستولى عليه الملل . ليس له رغبة في العمل ؟ وان اشتغل فلكي لا يهلك من الفاقة والجوع . فانه من وراء عمله لا يرمي الى ابتناء امّة افضل مرتكزة على العدل والمحبة . ذلك ما لا يهمّ له ؟ فقد غدا يشعر بانه ليس سوى مادة للاستغلال ، وبان قيمته احطّ من المهنة ذاتها . فعالمنا الحاضر الذي فقد معنى الانسان مسؤول عن هذا الضجر من الحياة الذي يشعر به معاصرونا - أتراهم لا يقدّرون غير الثروة والغنى المادي ؟ اترى عالمنا أضاع الى هذا الحد روحه فاذا بنا اليوم نتقلّب في هذه الازمة المريعة ، ازمة الانسان ؟ فمن الضروري العاجل اذًا ان يستعيد الانسان العصري روحه .

من جراء الفقر المدقع الناتج عن الحروب ؟ او من جرّاء الثروات الضخمة المحدّثة اصبح الانسان شخصاً تابعاً تسيّره كالحروف الطيّع بعض القادة الذين جعلوا من المنفعة السيد الاوحد . وما كانت مصانع الرأسمالية الشديدة القساوة على العامل والتي تُكره النساء والاولاد على العمل الشاق مفكّكة اوصال العيلة ، سوى صورة ورسم ، واصبحت اليوم نتيجة موجعة لمعسكرات الاعتقال . ان الحاكم الفرد المسلّط حتى على ضمائر الناس ، او حكم بعض افراد لا حدّ لقدرتهم ، يجعل الانسان محجورًا عليه في ذاته . وهكذا لم يبقَ من اثر للحرية الحقيقية . ولكن الانسان ما برح يحنّ الى تلك الحرية .

علاقة الانسان بحكامه هي اليوم رهن شؤون اقتصادية سياسية . والويل لمن يتوخى غير هذا النوع من العلاقات . ويظهر ان هناك ضرورة شديدة الوطأة على الانسان الحالي تجعله يشعر بانه ليس سوى نتيجة تأثيرات عارضة .

المسيح لم يكن البتة فيلسوفاً وعقائدياً . وكان على الانسان في نظره ان يسمو على المادة ليعيش القيم الروحية الكامنة في اعماق كيانه . كان يريد ان يحرر الانسان من هموم الغد لكي لا يُستعبد لاقل من ذاته . المسيح كان

يريد ان تكون علاقات الانسان معه شخصية ، حيَّة ، لا مثل علاقات قائد يحكم على جمهور ويجهل حاجة هذا الجمهور الملحّة .

لقد كان حاضراً امام كل انسان ، ذلك الحضور الذي يدخل في الاعماق ويغمرها بالسلوى . وبينما انسان اليوم يُخشى عليه ان يلتوي على امسه ليعيش بالتذكارات ، او ان ينهد الى غده ليعيش بالامال والاحلام ، اذا بالمسيح يطلب منه ان لا يهجر الحاضر اليومي حيث يكمن اجمل ما في الانسان : « اطلبوا اولًا ملكوت الله وبرّه وكل شيء تزدادونه » .

فاذا كان انسان اليوم لا يجد الحرية في عالمه ، فيجب عليه ان يحاول ايجادها في داخله وان يرفض الجبريّة التي تخنقه وتودي به :

انها لضرورة ، وانه لاجمل ان يكون هكذا . فاي شيء هو هذا العالم حتى ينزع منا الحرية ويعلّلنا بإرجاعها لنا ثانية ؟

على انسان اليوم ان يستعيد هذا الحوار الداخلي مع الله ، هذا الحوار الذي هو سر الحرية الحقيقية .

لا شك في ان الثورات الاجتماعية ، بعد ان تكون خنقت الانسان ، تستطيع تحريره . ولكن هذا لن يكون الّا الى زمان . فالصناعة بوسعها ان تعين الانسان على رخاء مادي يفسح له مجال التفكير . ولكن اجمل ما الانسان يظلّ دائماً في داخل الانسان . فما من احد يستطيع العيش حقيقةً في دنيا افكاره البعيدة المرامي ، ولا في الاراء التي يكوّنها ، ولا في الخطاطر يسفل عن وجوده الحقيقي . عليه ان يدرك وجوده الحقيقي ، ومن خلال ذلك ، الوجود الاوحد .

كثيرون هم الفلاسفة الذين حاولوا إدراك هذا الوجود من خلال اساليب جدلية غامضة . وكان من ذلك ان انكروه ، لانه في غير البراهين ، وفي غير شك ديكرت او مُثل افلاطون . انه يفوق كل ذلك . فالله هو عبر كل فلسفة . وما تستطيع الفلسفة سوى التوجيه اليه .

وهناك فلسفات اقرب الينا حاولت في القلق والفشل والرجفان ان تصوّر الارتعاشة امام الله ولكنها اخفقت . فاذا بالنتيجة غير ما كانت ترتجى . امّا الفلسفات التي اخذت بالالحاد اولاً فانها ، وإن اعلنت ان البطولة ضرورية في عصرنا ، قد قالت بالبُطل وان لا معنى للحياة . فاذا بالانسان لا يعرف لاجل من يحيا ولاجل من يموت . فالعالم الوجودي بعد ان فقد سبب وجوده لا يزال يحفظ الحنين للحبّ والجمال والعدالة .

كل مرة كان الاخفاق حظ الذين حاولوا إبعاد الانسان عن داخله. فالمهم إعانة الانسان على العودة الى ذاته. مسكين الانسان الذي يقضي حياته صامتاً في قبولٍ عقيم . مسكين الانسان الذي تصطدم شهوته للعدل والسلام بالقوى الصناعية والاقتصادية الجبارة .. مسكين الانسان الذي يُخشى على روحه ان تهجر عالماً غدا مهجوراً ، عالماً مخيفاً فَقَد كل معنى للسرّ. في بلاد كبلادنا حيث الطبيعة تساعف على الهامات القلب الحدسية ، تُرى يجب ان تكون الطبيعة ذاتها فقدت معنى مصيرها فاصبحت لا تهدي الانسان المضطرب الى طريق السلام وآثار الله .

ان صرخات الاسى المتصاعدة من اعماق البشرية يجب ان لا تثقل الارادة الراغبة في الخير. فالانسان يسفل عن دعوته الحقيقية اذا اشاح بنظره عن الاخطار التي تحوق بحياته فيجابهها ويجد فيها غذاء قوياً ولكنه مرّ الطعم يستطيع بواسطته ان يدخل غمرة العراك فيخدم اخوانه ويبقي للحياة وجهها الانساني.

الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

تاريخ الدول السرياني

تأليف ابي الفرج الملطيّ (تابع)

بقلم الاب اسحق ارملة السرياني

• بعد المطيع الطائع ابنه

تولّى سبع عشرة سنة وتسعة شهور . وقد رفع منزلة سبكتكين الذي بايعه ولقّبه ناصر الدولة . وحدث خلاف في الشعب لان العرب السنّة والاتراك كانوا مع سبكتكين والعرب الشيعة والديلم مع عزّ الدولة . وقد قُتل خلقٌ كثير من الطّرفين واجتيحت دور كثيرة .

وفي السنة ١٢٨٦ لليونان (٩٧٥م) أقبل ايوني شموشكين ملك الروم الى سورية واحتلّ حمص وبعلبك . ولمّا انتوى ان يزحف الى دمشق كتب ابن الزيّات احد اقطاب سورية العرب الى الفتجان صاحبها ألّا يناوش الروم (١٩٤) لانهم اقوياء . فامتثل المشورة وبعث الى ايونيّ يعدهُ بالطاعة وتأدية ثلاثمائة الف درهم جزيةً . فوافق الملك على ذلك . ولمّا شارف المدينة خرج الفتجان الى لقائهِ وترجّل وقبّل الارض امامه غير مرّة . فسُرّ الملك وأركبه واكرمه وأمر ان يُطارد حصانه امامه ويبدي فراستهُ . ففعل واثنى عليه الملك . فانحدر الفتجان وقبّل الارض فأمره الملك ان يركب ثانيةً وتخلّى له عن جزية سنة . فانحدر ايضاً وقبّل الارض . فطلب الملكُ حصانه وسلاحه ورمحه فدفعها له واضاف اليها اشياء اخرى وعقاقير وعشرين حصاناً ورماحاً كثيرة . لكنّ الملك اكتفى بحصانٍ واحد ورمح واحد لا غير وردّ له البقية شاكرًا ووشحه بحلّة فاخرة وأتحفه بصوغات واوانٍ فضّية وبغـال وانصرف الى صيدا وخرج الاهالي طائعين وادّوا له التقادم . فغادرهم الى بيروت وفتحها بالسيف وسبى

اهليا وانطلق الى جبلة فناهضه اهاليها فاحتلها بالسيف وسباها وانصرف الى طرسوس . وهناك سقاه شقيق توفانة الملكة سمًّا . فاشتدّت علته وبادر الى العاصمة وفيها حلّت وفاته . واستغرق ملكه اربعة اعوام . وكان ملكاً محنّكاً بالجندية قويّ الجسم شجاعاً مظفراً في الحروب وقد ابدى الشهامة والعطف لكل احد وأطلق الاسرى وشاد كنيسة فخمة في عاصمته • واحتلّ مدناً وبلاداً شتّى . فتأسف عليه الكبير والصغير اشدّ التأسف . وخلفه باسيل وقسطنطين ابنا الملك رومانس ثماني وخمسين سنة وعاشا معاً بوفاق تامّ . واقام قسطنطين في العاصمة وتولّى باسيل شقيقه مناوشة العرب لانه كان منجّذاً بالحروب .

وفي السنة ٣٦٧ للعرب (٩٧٧م) فاض دجلة عشرين ذراعاً فوق المعتاد وتدفّقت المياه من آبار بغداد وبواليعها وانتقل اهاليها الى السفن ولزموها ليل نهار وهبطت دور كثيرة .

واقام الملكان الشقيقان دمستقاً يقال له وردوس انتقض عليهما وحاول ان يستبدّ بالبلاد التي اخذها الروم من العرب . ووجّه اخاه سفيراً الى عضد الدولة امير بغداد لينجده ويسعى لتأييده في بلاد الروم الشرقية ووعده بالطاعة طول حياته . ووجّه الملكان كذلك سفراء الى العرب يحرّضانهم ان يرفضا اقتراح وردوس العاتي . فأعمل عضد الدولة الروية وقضى بوجوب مساعدة الملكين وتظاهر بعطفه على وردوس ومساعدته في كل شيء . وبعد هذا وجّه الملكان العساكر لمناوشة وردوس . فكتب وردوس الى عضد الدولة وزحف الى الحدود في عددٍ قليل مطمئناً واثقاً به . لكن عضد الدولة اشار الى زعماء العرب فقبضوا عليه وعلى اخيه وعلى مَن معه ومضوا بهم الى بغداد وحبسوهم هناك زمناً مديداً .

وفي السنة ٣٧٢ للعرب (٩٨٢ م) مات عضد الدولة امير بغداد . وكان في زمانه عليّ بن العباس الطبيب فصنّف له كتاباً اسماه «الملكي» باسمه لانّ الامراء المشاركين للخليفة في الحكم كانوا يلقّبون بالملوك . وعاش في ذلك الزمان كذلك ابو سهل المسيحيّ الطبيب الفاضل في خراسان وهو مصنّف الكتاب المشهور بالمائة مقالة وغيره من الكتب . وعليه قرأ الشيخ الرئيس (ابن سينا) ومات في السنّ الاربعين وخلفه صمصام الدولة اخوه .

وفي السنة ٣٧٣ للعرب (٩٨٣) حدث غلاء في بغداد حتى بيع كور الحنطة باربعة آلاف(١٩٦) وثمانين درهماً والشعير بالفين واربعين وهلك خلق كثير جوعاً .

وفي السنة ٣٧٦ للعرب (٩٨٦) دخل صمصام الدولة ليحيّي الخليفة الطائع وهو مستوٍ على عرشه ويهنئه بالعيد . وقبّل الارض ثم انتصب الى يمين العرش. ودخل الاقطاب بعده وصنعوا مثلما صنع . ثم اقبل الشعراء وجعلوا يقرظون صمصام الدولة بقصائدهم ويفضّلونه على الاقطاب فامتعضوا وتشاوروا سرًّا مع شرف الدولة احدهم والقوا القبض على صمصام الدولة وبعثوه الى قلعة ببلاد العجم وفقأوا عينيه وتولّى شرف الدولة الامارة . ولم يبقَ للخلفاء في تلك الاونة سوى الاسم والمناداة بخلافتهم . واصبحت جميع الاوامر والجنود والخزائن بقبضة الاعاجم .

وفي السنة ٣٧٨ للعرب (٩٨٨ م) اجتمع شرف الدولة بفلاسفة العرب وابتنى برجاً لرصد حركات الكواكب وضبط آلاتها ودوائرها النحاسيّة اقتداء بالخليفة المأمون وولّى ابا سهل يحيى بن رستم الجبلي ليشرف على العمل .

وفي تموز هذه السنة هبّت ريح حارّة من الجنوب واجتاحت الكثيرين في الطرق وأتلفت الملّاحين بغتةً في نهرَي بغداد .

وفي السنة ٣٧٩ للعرب (٩٨٩ م) مات شرف الدولة وخلفه ابو نصر .

وفي السنة ٣٨٠ للعرب (٩٩٠ م) احتلّ سورية باجمعها العزيز خليفة مصر واستعمل عليها رجلاً نصرانياً مصرياً يقال له عيسى بن نسطور . وكان عيسى فاضلاً متضلّعاً من الفقه وملأ الخزائن الملكية اموالاً وافرة . واقام العزيز في سورية كذلك كاتباً يهودياً اسمه منشّى بن القزّاز . وهذان الكاتبان استغنيا عن فقهاء العرب ونصبا بدلاً منهم كتّاباً نصارى . على ان فقيهاً عربياً أسنى مبلغاً معتبراً (١٩٧) لامرأة مسكينة نجيبة ودفع اليها قرطاساً كتب فيه ما كتب واشار اليها ان تقف حيثما يمرّ الخليفة وتنادي بانها مظلومة وتدفع له القرطاس وكان فحواه : استحلفك بالله يا مَن عزّزت النصارى بعيسى بن نسطور واليهود بمنشّى بن القزّاز وذلّلت العربَ ان ترفق بي . قرأ العزيز تلك الكلمات وتبصر في معناها وارسل يطلب المرأة فلم يعثر عليها احد . فسخط وحبس

عيسى ومنتى كليهما . وكان اهل البلاط جميعاً يحبون عيسى فسألت ابنة الملك العزيز اطلاق سبيله . فدفع عيسى ثلاثمائة الف دينار وعاد الى منصبه .

واستبهظ اهالي تكريت يومئذ ما وضعه عليهم الولاة الظُلّام من الضرائب فانتزحوا عن وطنهم وتشتتوا في البلاد وشادوا في كل مكان حلّوا فيه كنائس وديورة وأغنوها . واشتهر منهم خصوصاً ثلاثة اخوة كرام من آل ابي عمران اقبلوا الى ملطية وشادوا فيها كنائس واديارًا للراهبات وابتنوا في ضواحيها ديورة للرهبان . وجعلوا يوزعون كلّ يوم الحسنات على المساكين من الصباح حتى الظهر . فحسدهم باسيل ملك الروم على نعمتهم واضطرهم ان يسكّوا للدولة دنانير سنةً واحدة ففعلوا ولم تنقص ثروتهم . ثم احتاج اليهم وقوع بابهم وسألهم قرضةً فلبّوا طلبه بكلّ ارتياح ودفعوا له مائة قنطار ذهباً وردّ اليهم المبلغ كلّه لانه كان متصفاً بالعدل والاستقامة . ولما غزا الاتراك بلاد ملطية اقبل الشيخ ابو سالم اخوهم الكبير من الدير وكان الاتراك قد حبسوه هناك فقالوا له افتدِ نفسك لانك غنيّ . فقال لهم : اني مستعد ان اشتري الغنيمة كلّها ان شئتم ان تبيعوها . فضحكوا وقالوا : كم تؤدّي ؟ قال : عن كل شخص اؤدّي خمسة دنانير . قالوا : اشترينا (١٩٨) وطلبنا . فبعث وأحضر الذهب ودفعه اليهم وأنقذ خمسة عشر الفاً من الأسرى . ذكرنا هذا بايجاز دلالةً على ما كان عليه ابناء جماعتنا يومئذ من الجاه والثراء . وما صاروا اليه من التعس والشقاء .

وفي هذه السنة عُزل الامير ابو النصر وخلفه الامير بهاء الدولة فطمع باموال الخليفة الطائع وتآمر سرًّا مع الديلم فثاروا عليه وهو مستوٍ على عرشه وجندلوه ولفّوه ببساط كان تحته . ثم اخذوا خطّ يده بتنزله عن الخلافة وأحضروا ابا العباس احمد بن اسحق بن المقتدر وبايعوه عام ٣٨١ للعرب (٩٩١م) وكنّوه القادر .

بعد الطائع القادر

تولى احدى واربعين سنة وثلاثة اشهر . وفي السنة ٣٨٢ للعرب و١٣٠٤ لليونان (٩٩٣ م) احتلّ الروم خلاط وملازكرد وارغيش . ورضي ابو عليّ القائد

الارمنيّ ان يؤدّي لهم الجزية فتركه الملك باسيل بارمينيـــة وعقد معه الهدنة لعشر سنوات .

وبرز في تلـك الغضون جمهور غفير من الارمن المدعوّين سينا كريماية اي سنحاريبيّين وتخلّوا عن حصونهم لباسيل ملك الروم فاعطاهم بدلًا منها سبسطية قبدوقية فتولّاها بطارقة ارمن وانتشروا فيها وفي تيليقية وسوريّة . قيل ان لدرملك وشراصر بعدما فتكا بسنحاريب ابيهما انهزما الى جبـال كردستان وامتزجا بالارمن ولذا لُقّبوا سنحاريبيّين .

وفي هذا الزمان وعك سعد الدولة امير حلب ومات . وأوصى ان يخلفه ابنه ابو الفضائل ويناظره لؤلؤ القائد . فتاقت نفس العزيز خليفة مصر الى احتلال حلب وابتزاز خزائنها ووجه اليها عبده منجوتكين في ثلاثين الف فارس (١٩٩) . فاستغاث لؤلؤ بالروم لان بغداد لم تنجده . وبعث سفيرًا الى الملك باسيل يتذلّل له ويطلب عسكرًا فسيّر اليه خمسين الفًا خيّالةً ورجّالـةً . ولمّا وصلوا الى نهر الارنط اعني العاصي بجانب انطاكية أسرع المصريّون وعبروا النهر واطبقوا على الروم وكسروهم وساروا الى حلب وحاصروها . فاحتـال لؤلؤ ورشى منجوتكين بذهب وافر فاغمض عنه وسار الى دمشق وكتب الى العزيز ان الجوع فتك بمن معي فاقبلت الى دمشق بالبقيّة ريثما نستجمع القوى فنعود الى حلب . فسخط العزيز اذ سمع انه انما ذهب الى دمشق لا للاستراحة بل للتنزّه وهو بعدُ في شرخ الشباب . فعزله واقام بدلًا منه قائدًا يقال له رُدبريا ووجّهه الى حلب . فابتاع ردبريا ذخيرة للجنود من الاسكندرية وانطلق الى افامية وخزن فيها مائتي الف قفيز حنطةً وشعيرًا وجعل العساكر يسيرون من حلب مسافة خمسة وعشرين فرسخًا وينقلون العلف لخيلهم . وظلّوا يحاصرون حلب ١٣ شهرًا وابتنوا لهم حمّامات وفنادق وحوانيت وتفاقم الجوع ضمن المدينة واشترى لؤلؤ القفيز بثلاثة دنانير وباعه من الحلبيّين بدينار واحد حرصاً على حياتهم . ثم احتال فارسل تكرارًا الى الملك باسيل يقول : إلّم تستعجل في ارسال الجيوش فسيحتلّ المصريّون حلب ولن يتركوا لك انطاكية كذلك . فحشد الملك ثلاثين الفًا قطعوا مسافة ثلاثمائة فرسخ في ستة عشر يوماً ووصلوا

الى مرابض المصريين وكانت خيولهم ترعى مروج الربيع . ثم ارسل ازاز الى دُبريا يقول : تدعوني العربية التي تربطني بك الى الشفقة عليك وعلى عسكرك . فاحذر لنفسك(٢٠٠) وانقذ العرب من فم السيف . واعلم ان الملك باسيل قادم بذاته لينقضّ عليك . ثم انساب بعض الجواسيس وبلغوه الامر فشمله الرعب واجفل عسكره وتركوا اثقالهم وأفلت كلٌ منهم بحصانه .ووصل الروم واحتووا على ذخائرهم . وسار ابو الفضائل ولؤلؤ للسلام على الملك وقدّما له التقادم . وترك الملك حلب وانطلق الى قلعة سيزين ودوّخها . ثم سار الى حمص ودوّخها كذلك وأجلى منها عشرة الاف نسمة ونيّفاً . وتوجه من هناك الى طرابلس وحاصرها اربعين يوماً فامتنعت عليه فتركها وعاد الى عاصمته .

اما العزيز خليفة مصر فحنق كل الحنق وحشد جيشاً ضخماً ينوي الزحف بذاته الى حلب ليحتلها . لكنّ القولنج الذي كان ينتابه لم يسوّغ له الزحف مدّة سنة كاملة . واخيراً سار عشرة فراسخ من مصر الى بلبيس وهناك عاجلته المنون وتولّى ابنه الحاكم الخلافة من بعده على مصر والمغرب عام ٣٨٦ للعرب (٩٩٦ م).

وقُتل في تلك الاثنا، عيسى بن نسطور في مصر وتولّى مكانه ابو العلاء فهد بن ابرهيم اليعقوبيّ القبطي وكان كاتباً لبرجوان الحاجب الابيض قائد العسكر وهو الذي نصبه رئيساً على الكتّاب . وكان المسيحيّون يومئذ متولّين شؤون الوزارة في الدولة العربيــة المصريّة دون ان يضطرّهم احد الى جحود دينهم بخلاف ما يجري في عصرنا اذ ان العرب لا ينيطون الوزارة الّا بمن ينضم الى الاسلام .

وفي السنة ٣٨٧ للعرب وهي السنة ١٣٠٨ لليونان (٩٩٧ م) توجه دوقاس الدمستق الى افامية وحاصرها وضيّق على اهاليها حتى بيع الكلب بدينارين ذهباً . واقبل اذ ذاك ابن صمصامة قائد الجيش المصريّ الى القلعة ليحرسها فتتبّعه الروم وفتكوا بالفي رجل من اصحابه وانهزم بقيّتهم .

اما الدمستق وابناهُ وعشرة من فرسانه فقد تسلّقوا تلّاً (٢٠١) ليشرفوا على اشتباك الجيش الرومي بالجيش العربي وانهزام العرب من وجه الروم . فظهر اذ ذاك رجل كرديّ اسمه ابن كافا قصد ذلك التــلّ راكباً حصاناً عربياً

ومدججاً بدرع وبيده رمح . فظنّ دوقاس انه قادم ليطلب الامان له ولاصحابه فلم يكترث له . غير ان الكردي فاجأ دوقاس برمحه وشقّ درعه وطعنه بين اضلاعه وفتك به وانقلب راجعاً . فبادر الروم الى قائدهم وقد سقط عن حصانه واوقعوا صيحةً في الجيش بان الدمستق قد صُرع . ورجع العرب فاوثقوا ابن الدمستق واستصفوا منه ستة آلاف دينار . وفتك العرب بعشرة آلاف من الروم ونقلوا رؤوسهم الى مصر . ثم ساروا الى انطاكية وسبوا وقتلوا واحرقوا الدساكر وتوجهوا ثانيةً الى دمشق واحتلّوها وكانت حتى هذا العهد في حوزة خلفاء بغداد .

وفي هذه السنة انتقض على العرب رجلٌ في صور اسمه علاقة ولاذ بالروم فقبض عليه المصريون ومضوا به الى مصر وسلخوه وهو حيٌ وحشوا جلده تبناً وعلّقوه .

وكان في ذلك الزمان رجلان نصرانيان كاتبان في مدينة دقوقة استبدّا بها وببلدها . واتفق ان جبرائيل بن محمد القائد الفارسيّ مرّ من هناك قاصداً بلاد الروم للغزو فخرج اليه الاهالي قائلين : لا حاجة الى الذهاب بعيداً فان عندنا رجلين نصرانيَّين يتعدّيان علينا اكثر من الروم لو احتلّوا بلدنا فاظهر بطشك ان امكنك . فثار جبرائيل وأجهز عليهما واستبدّ بالمدينة متفقاً مع اهاليها واطلقوا عليه لقب «دبوس الدولة» .

وفي شتاء السنة ٣٨٩ للعرب (٩٩٨ م) حدث برد قارس اجتاح الوف اشجار النخل ببغداد ولم يقم مقامها شيء من الشجر الّا بعد اعوام كثيرة (٢٠٢) . وفي هذه السنة سخط الحاكم خليفة مصر على برجوان الحاجب وقتله . مع ان هذا الحاجب كان يعطف على الحاكم لا يَدَعه يركب لغير ضرورة او يعطي احداً عطيَّة دون استحقاق . فتأثر المصريون تأثراً شديداً وضجّوا وثاروا وساروا الى باب البلاط فخافهم الحاكم وقصد عليَّة ووقف عند احد ابوابها وحيَّاهم بالسلام ثم قال : قد استبان لي غدرٌ من برجوان فقتلته . والآن ارجو ان تكونوا معي لا عليّ لاني فتًى بعدُ . وبكى امامهم ولاطفهم فتركوه وانصرفوا . وبعد هذا استدعى الحاكم فهداً النصرانيّ الكاتب ووشحه

بحلة ملكيّة ترطيباً لقلوب الاهالي وقال له : كن مطمئناً وتولَّ توزيع ارزاق الدولة .

بيد انه ما مرّت ثلاث سنوات حتى ناهض ابو طاهر وابن عدّاس الكاتبان العربيان فهدًا المذكور وافتريا عليه لدى الخليفة الحاكم فزجرهما ولم يكترث لدعواهما . ألّا انهما اتفقا بعد ذلك مع فريق من اصحابهما وجدّدوا الدعوى على النصارى فأمر الخليفة بقتل فهد على كرهٍ منه . وكان فهد اميناً جدًّا مستقيماً وعزيزًا على قلب الحاكم . فلم يَرَ ألّا ان استحضر ابناءه ووشّحهم بحلل ملكيّة وأمر ان لا يتعدّى احد عليهم وعلى دورهم . فاستشاط ابن عدّاس وابو طاهر واستقلّا بسورية وعاملا النصارى والعرب اقبح معاملة وفرضا عليهم ضرائب باهظة كي يتسنّى لهما ان يؤديا ما ضمنا للحاكم . وكان لاخت الخليفة كاتب قبطي في سورية ارسل يشكو لها أبا طاهر وكان اخوها الحاكم يُعزّها جدًّا ويسمع لها . فدخلت وبكت لديه وحصّلت منه امرًا بالاجهاز على ابي طاهر المذكور وارسال رأسه الى مصر وقد جرّه الصبيان في الازقّة تشفّياً . وامر الحاكم كذلك بقتل (٢٠٣) ابن عدّاس . فليكن ذكرهما للعنة ! واستراح منهما العرب والنصارى . وخلفهما في الكتابة منصور بن عبدون النصرانيّ فابغضه الاقطاب وتحاملوا عليه وعادوا النصارى بسببه وعذّبوا كتّاباً كثيرين حتى اجهزوا عليهم والقوهم للكلاب . ونكّلوا بمنصور عينه حتى ظنّوه قد مات وألقوه للكلاب لكنّ بعض الرجال مرّوا من هناك وحملوه على آخر رمق الى داره وقد ردّه الخليفة الى منصبه بعدما تعافى واطلق عليه لقب الكافي . واصبح الناس جميعاً يهابون الحاكم وخلت مصر من المجرمين وراح الاهالي يفتحون ابواب حوانيتهم ليل نهار والحاكم يطوف المدينة راكباً لا يتجرأ احد ان يقف او يسلّم عليه . وكانت المصابيح مضيئة طول الليل في عهده كأنّ الليلَ نهار .

وفي السنة ٣٩٢ للعرب (١٠٠١م) ثار العرب على النصارى في بغداد ونهبوا بيوتهم وتصدّوا للكنائس فاضرموا النيران في كنيسة اليعاقبة بجانب قطيعة القمح . فاندلعت والتهمت كثيرين من العرب رجالا ونساء وصبياناً في جملتهم الذين اضرموها فأمسوا عبرةً للناظرين .

وبعد سنة ظهر جراد كثير ببلد الموصل وبغداد ولاسيما في شيراز اجتاح الاعشاب واوراق الاشجار برمّتها وعاث باقمشة القصّارين حتى أمست رقعاً رقعاً اعادوها هكذا الى اصحابها . وحدث كذلك غلاء شديد حتى بيع كور الحنطة في بغداد بمائة وعشرين دينارًا . وبدت في الجوّ اعمدة ناريّة من القطب الشمالي حتى قبّة الفضا . وظهر في السنة ٣٩٦ للعرب (١٠٠٥ م) نجم في برج العقرب شكل الزهرة كبرًا وبهاء اخذت اشعّته تتموّج وتنير كالقمر وظلّ كذلك اربعة اشهر واضمحلّ . وسقط عام ٣٩٨ للعرب (١٠٠٧ م) ثلج في بغداد مكث نحو اسبوع على وجه الارض وبلغ علوّه ذراعاً او ذراعاً ونصف ذراع . واثلجت كذلك في ارض سنعار جماء اعني في البصرة وعبادان ومهربان وجنابة مما لم يسمع بمثله في قديم الاحقاب .

وفي هذه السنة حدث رخص وافر وبيع كور الحنطة باثني عشر دينارًا . وحدثت زلزلة هائلة في مدينة دينور اجتاحت دورًا جمّة . وأخرجوا من تحت الانقاض ستة عشر الف قتيل سوى من انشقّت الارض وابتلعتهم . وهبّت ريح سوداء في تكريت ودقوقة اتلفت بيوتاً عديدة واقتلعت اشجار النخل والزيتون برمّتها واغرقت مراكب كثيرة في بحر فارس .

وفي ٧ شعبان هذه السنة توفي ابو العلاء بن زرعة الفيلسوف النصرانيّ ببغداد . وفي هذه السنة عينها جاهر بالايمان المسيحيّ اهالي كريت احدى مدن الاتراك القاصية تنصّروا واعتمدوا باعجوبة حدثت لملكهم .

وفي هذا الزمان أمر الحاكم خليفة مصر ان تقوّض كنيسة القيامة باورشليم من اساساتها وتنهب كلّ امتعتها . ودكّ الوفاً من كنائس مملكته . وأمر المؤذّنين ان ينادوا بان النصرانيّ الذي ينضمّ الى دين العرب يكرّم والذي لا ينضمّ اليه يحتقر . وأمر النصارى ان يعلّقوا في اعناقهم صلباً واليهود شكل راس عجل إشارةً الى العجل الذي صنعه آباؤهم في البرية وسجدوا له . ونهاهم عن وضع الخواتم في الاصبع اليمنى وعن ركوب الخيل والاقتصار على ركوب البغال والحمار في سروج عاديّة وركب خشبيّة . والّا فمن أبى امتثال امره لزمه أن يرحل في ماله الى بلاد الروم . على ان النصارى الذين لم يرحلوا ولم

يجحدوا دينهم علّقوا في اعناقهم صلبانًا ذهبيّة وفضيّة واتخذوا لدوابهم سروجًا فاخرة ملوّنة . فسخط الحاكم واصدر الامر بقتل النصرانيّ الذي لا يعلّق في عنقه (٢٠٥) صليبًا خشبيًا وزنهُ اربعة ارطال بغدادية وقتل اليهودي الذي لا يعلق بعنقه خشبة شكل يد الجرس وزنها ستة ارطال . وان النصارى واليهود متى دخلوا الحمامات لزمهم ان يربطوا في رقابهم اجراسًا صغيرة تمييزًا لهم عن العرب.

أثار هذا الاضطهاد رجلٌ مبغضٌ للنصارى فأخبر الحاكم الخليفة بانهم عندما يجتمعون للاحتفال بعيد الفصح في كنيسة اورشليم يحتال وكلاؤها فيدهنون بالزيت سلسلة الحديد المعلّق بها قنديل القبر . وبعد ان يختم حاكم العرب باب القبر يوقدون من السطح نارًا في راس السلسلة فتجري حتى تصل الى الفتيلة وتضيئها ويصرخ الحاضرون كيرياليسون ويبكون كأنهم شاهدوا النور هابطًا من السماء على القبر ويرسخون في ايمانهم . وظلّ الخليفة الحاكم مسترسلًا في ضغطه على النصارى واليهود حتى ندم على فعلته هذه قبل وفاته واضطرّهم ان يعود كلٌّ الى دينه . ورخّص للنصارى فابتنوا كنائسهم أحسنَ ممّا كانت قبلُ. وعاد المنهزمون الى بيوتهم من بلاد الروم .

. وفي ٢٦ شوال ٤٠٠ للعرب (١٠٠٩ م) توفي ابو نصر بشير بن هرون بن الجمال الكاتب النصرانيّ في بغداد . وفي السنة التالية كتب قرواش بن المقلّد صاحب الموصل الى الحاكم خليفة مصر أنّ جرادًا كثيفًا ظهر هناك وأنّ العرب المعدّيين يتلصّصون في كلّ ناحية . وانّ الطاعون يفتك بالاهالي والغلاء متفاقم بخراسان حتى بيع رطل الخبز بدينار ذهبًا وأكل الناس الكلاب والخنافس ثم أجهزوا على الرضعان والفتيان وعلى من كانوا يشاهدونه سمينًا بادنًا فيقتلونه ويلتهمونه .

وفي السنة ٤٠٣ للعرب (١٠١٢ م) توفيت امرأة ابي نصر بن اسرائيل الكاتب المسيحي في بغداد وشيّعوها وقت الضحى (٢٠٦) في الصلبان والشمعات والقسّان والرهبان يصلّون والنساء يندبن بالدفوف . وان رجلًا عربيًا رجم النعش بالحجار فسخط عبيد الأمير مناصح وكانوا محيطين بالنعش يحرسونه وضربوا بالسيف ذلك العربيّ . فهاج الاهالي وماجوا والتحم القتال ووقع قتلى كثيرون

من العرب والنصارى . وانهزم ابو نصر زوج المتوفاة الى بيت الامير مناصح . ولم يهدأ الهيجان حتى استسلم ابو نصر وذهبوا به الى دار الخليفة فحبسه برهة ثم اطلقه وشمل الفرح جميع المسيحيّين .

وبعد سنة ظهر جراد كثير ببغداد ملأ الارض وحجب الجوّ واجتاح الاشجار والنبات . وجعل الفلّاحون يطردونه بالطبول والابواق .

وفي السنة ٤٠٥ للعرب (١٠١٤ م) حرّج الحاكم خليفة مصر على المرأة الخروج من بيتها والاشراف من الباب او من النافذة والسطح على الغادين والرائحين . ونهى السكافين ان يخيطوا احذيةً نسائيَّة . وقد ساقه الى ذلك اطلاعه على فواحش المصريات وخلاعتهنّ . وتذرَّع في اول الامر بعجائز اتخذهنّ جاسوسات يَنْسُبْنَ ويدخلن البيوت ويطّلعن على اسرار النساء ويُخبرنه عنهنّ وعمّن يختلف اليهنّ . وكان الحاكم يبعث حاجبه مع الجنود الى بيتٍ كائنٍ من كان من الاعيان او العامة فيقولون له : أخرج لنا فلانة ويسمّون اسمها امرأةً او اختاً او بنتاً ويمضون بها اليه . وكان اذا اجتمع عنده خمسٌ او عشر منهنّ أمر باغراقهنّ في نهر النيل . ومن ثم افتضحت أسرار العواهر المصريّات وأمسين هدفاً للعار والشنار ووقع رعب الحاكم على الرجال والنساء اكثر من فرعون .

واصطبر الاهالي اعواماً على مثل هذه الشدّة حتى كتب زعماء الجوار الى الحاكم يقولون : ان ارامل كثيرات لا اخوة ولا بنين ولا اهل لهنّ يهلكن جوعاً وعرياً ضمن بيوتهنّ ولم يبقَ مَن يشتري لهنّ قماشاً يشتغلنه او يتولى بيع ما ينسجنه . حينئذٍ (٢٠٧) أمر الحاكم ان يطوف السماسرة في البيوت وان تفتح المرأة باب بيتها وتعرض عليهم البضاعة بآلة دون ان تُظهر وجهها او كفّها وتقبض ثمنها بالآلة عينها . ونهى النساء نهياً مطلقاً عن مغادرة بيوتهنّ وعن الذهاب الى الحمّام . وظلّ يواصل تلك الاوامر الشاذّة حتى قُتل .

وفي السنة ١٣٢٥ لليونان (١٠١٤ م) برز من الشعوب الصينيَّة اثنتان وعشرون قبيلةً منها قبيلة الخطا وعددها مائتا الف وقبائل غيرها عددها ثلاثون الفاً او خمسون الفاً وزحفوا الى بلاد المونيّين . فسار اليهم احمد بن عليّ بن قراخان سلطان بخارى وناوشهم ونهب خيامهم واحتوى على الشيء الكثير من

آنية الذهب والفضّة والاقمشة الحريرية . وكانت قسيّهم وسهامهم اطول شبرًا من المعتاد .

وفي السنة ٤١٠ للعرب (١٠١٩ م) مات ابن قراخان سلطان بخارى وخلفه خوارزمشاه محمود بن سبكتكين وسار الى الهند واجتاح هناك مدنًا كثيرة وغنم غنائم وافرة وعاد راجعًا .

وتمادى الخليفة الحاكم حتى السنة ٤١١ للعرب (١٠٢٠ م) في الضغط على المصريّين حتى كرهوه وأبغضوه جدًا وجعلوا يكتبون رقاعًا يحشونها سبًا وذمًا وتهكّمًا به وبنسائه ويغلقونها ويدفعونها له ليلًا وهو راكبٌ ويختفون . وأفضى بهم الامر الى ان صنعوا من الجريد شكل امرأة باسطةٍ يدها وبين اصابعها رقعة مكتوبة ونصبوها في احدى الزوايا ليلًا حيث يمرّ الحاكم وأخفوا الشبح بقرطاس ابيض . ولمّا مرّ وشاهدها احتدم سخطًا وأمر عبيده ان يقطّعوها بالسيوف . فانتهوا اليها ورأوها صورة خياليّة وانتزعوا القرطاس من يدها وانقلبوا فاخبروا الحاكم ففتح القرطاس وقرأ فيه كلمات قبيحة تمسّ شرف اخته العذراء (٢٠٨) . فامر عبيده ان يجرّدوا السيوف ويفتكوا بكلّ مصريّ يصادفونه وينهبوا البيوت ويضرموا النيران في الشوارع . وقد تحرّش بهم المصريون مدة ثلاثة ايام وهلك من الجانبين خلقٌ كثير .

ولما خمد غضب الحاكم ارسل يقول لاختهِ : ان المصريين يكتبون لي ويتحاملون عليّ بسببكِ مدّعين انكِ تدخلين رجالًا الى بيتكِ وكذا وكذا . فبكت حتى هدأت روعه وانصرفت . ثم عرفت سرًا انه مزمع ان يرسل احدى القوابل لتشرف على بكارتها فخافت خوفًا شديدًا وانطلقت تحت الليل الى بيت شيخ كان يهاب الحاكم مثلها واستحلفته ان يحفظ السرّ ثم قالت له : ان اخي ساخطٌ عليّ وعليك وعلى كل الاهالي رجالًا ونساء . وانا كما تعلم ما زلت في ميعة الشباب . وما فائدتي ما دمتُ محرومة لذّتي الطبيعيّة . فان امكنك ان تحتال في اهلاكه فاني اضرب لك عهدًا بان تكون لي زوجًا وان يتولى الخلافة ابن اخي الصغير اطمئنانًا لخواطر الاقطاب وتصبح انت بمثابة أبٍ ومشيرٍ ومدبّرٍ له . استطاب الشيخ كلامها وقال لها : علّميني اذن كيف

ندبر المكيدة . قالت : من عادة اخي ان يذهب وحده ليلاً ويتسلق قمة التلّ الفلاني ليتبصر في النجوم اذ قد كُتب في طالعه ان الموت يدهمه في ليلة كذا فاذا فاتته نوبة الساعة عاش ثمانين سنة فوق ما عاش . بناء عليه استدع رجلين بطلين ممن يحفظون سرك وارسلها ليكمنا في حفرة من حفائر التلّ ثم يثبان اليه ويفتكان به .. وافق الشيخ على كلامها . وركب الحاكم جحشه وتسلّق التلّ وترك العبيد في لحفه واخذ معه صبياً لا غير . وجعل يتطلّع نحو المشرق فأبصر المرّيخ صاعداً نحو الافق الشرقي فتمتم بعض الكلمات وقال : لقد صعدتَ ايها اللعين سفّاك الدماء . قد ازفت ساعتي . وحين ذاك وثب اليه ذانك الرجلان من الكمين واوثقا رقبته بالنير وخنقاه . ثم قتلا الصبي والجحش وحملا الجثة وانحدرا من ناحية اخرى وأتيا بها الى اخته. اما العبيد فقد مكثا مكانهم حتى الصباح ولم ينزل الحاكم كعادته . فتسلّقوا حتى قمة التلّ وشاهدوا الصبيّ مقتولاً والحمار مقززاً ولم يعثروا على الحاكم وانقلبوا راجعين الى البلاط .

اضطرب الاقطاب والعبيد معاً فاستدعتهم اخت الحاكم وقالت لهم : لا تنزعجوا ولا تقلقوا فانّ اخي قال لي : انه معرّض للموت في هذه الايام وانه سيتسلّق التلّ وينتقل من هناك راجلاً الى البرّية ويلبث سبعة ايام مختفياً ثم يعود . امّا الصبيّ فهو الذي قتله لئلا يُفشي السرّ . ولما هدأ روعهم جعلت تدعوهم واحداً فواحداً وتبذل لهم العطاء بسخاء وتعدهم وعوداً طيبة . ثم استحلفتهم في تلك الفترة بشأن ابن اخيها الفتى ودعت اسمه الطاهر . وارسلت فاستحضرت اخاه الكبير من دمشق على ان يخلف اباه . ولمّا وصل الى تنّيس بعثت من اوثقه وسجنه . ثم اشارت الى بعض العبيد فقبضوا على ذلك الشيخ الذي عقدت السرّ معه وعلى العبدين اللذين فتكا بالحاكم وعلّقوا الثلاثة وقضوا عليهم . وأمرت المنادين ان ينادوا بانهم هم الذين غدروا بمولاهم وقتلوهُ وقد ردّ الله كيدهم في نحرهم .

تصرّفت تلك المرأة الجريئة بمثل هـذا التصرّف الغريب حتى اهلكت اخاها قبل ان يهلكها هو . وافتكرت في ان الثلاثة اذا ظلّوا احياء يُرزقون فلا بدّ من ان يذيعوا السرّ (٢١٠) وتُصبح عرضةً للذل والاحتقار . هكذا

نجت من كلّ خطر وتولّت تدبير المملكة واطلقت الحرية لاهوائها دون وجل.

وغلب على ظنّ الكثيرين لمّا اظاموا على مسئلة الحاكم كما شرحنا انه انتقل الى برّية الاسقيط وترهّب وقضى حياته هناك. ولمّا كنتُ انا الحقير مقيماً في دمشق سمعتُ بعض الكتّاب المصريين يقولون: ان ربّنا يسوع المسيح تجلّى للحاكم وقتما كان يضطهد النصارى كما تجلّى لبولس الرسول فآمن وانتقل الى البرّية سرًّا ومات هناك. ويقال ان الحاكم لولا القليل لماثل فرعون في كفره. ففرعون كان يقول: لي النيل وانا خلقته (حزقيال ٢٩ : ٣) وهذا كان عنده اناس يدخلون ويقولون له: السلام عليك ايها الفرد الوحيد. عليك السلام يا مَن يميت ويحيي ويُغني ويفقر فيبتهج بذلك. على ان رجلًا من مماليه ذهب الى مكّة ودخل المسجد وحطم الحجر الاسود بزراقه وهو يقول: لِمَ تسجدون وتقبّلون ايها الضالّون؟ هل تسجدون لِما لا يضرّ ولا ينفع وتتركون مَن يميت ويحيي في مصر؟

واشتهر في تلك الغضون ابو عليّ حسن بن الهيثم البصريّ المهندس البارع. وكان يقول: لو كنتُ في مصر لصنعتُ بنهر النيل صنعاً يفيد ملوك الارض وعامّتها معاً. فبلغ قوله هذا الحاكم الخليفة وارسل فاستدعاه وتحفّى له ووعده باموال طائلة اذا اكمل ما يقول. فانطلق ابن الهيثم وطاف ارض القبط وشاهد اشكالًا سماوية مصورة هناك تصويرًا عجيباً وامثلة هندسيّة ونماذج باهرة فقال في نفسه: لو ان في الامكان انشاء عمل افضل من هذا لسبقني اليه الاقدمون. ثم انطلق الى مكانٍ عالٍ تجاه اسوان من حيث تتدفق وتنحدر مياه النيل واعمل الرويّة فيما فعرف انه يتعذّر عليه النهوض بما افتكر فيه. ذلك لشدّة تدفّق تلك المياه الوافرة. فاعتراه الخجل واعتذر للحاكم بعجزه. لكن الحاكم لم يقبل عذره. فخاف ابن الهيثم وتظاهر بالجنون تخلصاً من دهائه وشرّه. ولمّا افتضح امره اوثقوه بالسلاسل واستنزفوا كلّ ما اقتناه. وظلّ مخبلًا حتى توفيّ الحاكم ثم افاق وانزوى في بيت ملاصق للمسجد الكبير بالقاهرة واكبّ على النسخ والتأليف وصنّف نحو سبعين كتاباً في الهندسة. وكان ينسخ كلّ سنة ثلاثة كتب من المجسطيّ والمتوسّطات واقليدس ويبيعها بمائة

وخمسين ديناراً مصرياً ويتعيَّش حتى توفيَ عام ٤٢٠ للعرب (١٠٢٩ م) .

وفي السنة ٤١٤ للعرب (١٠٢٣ م) سار خوارزمشاه محمود ثانيةً الى بلاد الهند ودوّخ مدناً شتّى وتوغّل هناك مسافة اربعة اشهر حتى وصل الى قلعة كواكير وفيها ملكٌ هنديّ فحاصرها حصاراً شديداً حتى جاءه سفير هندي جالساً على سرير يحمله اربعة رجال وقال له : ان مولاي يقول لك : من انتَ من البشر ؟ قال محمود : انا رجلٌ مسلمٌ ادعو الكفّار الى دين الله واضطهد عبدة الاوثان . فانتم الهنود إما ان تومنوا بالاهنا وتنهضوا بشريعتنا وتاكلوا لحم الثيران او تؤدوا لنا الجزية كل سنة ألف فيل والف وزنة من ذهبٍ . قال السفير : لا يتيسّر لنا ان نأكل لحم الثيران . اما الدين الذي ذكرته فارسل الينا (٢١٢) من يلقّننا اياه فاذا رأيناه افضل من ديننا قبلناه . فوجّه محمود معلّماً عربياً دخل القلعة وكلّم الهنود بواسطة ترجمان فقالوا : لسنا نبدّل ديننا . وليس عندنا ذهب نؤديه لكم . لكنَّ عندنا فضة كثيرة وفي وسعنا ان نقدّم لكم ثلاثمائة فيل وكميّةً وافرةً من الفضة والاواني الفاخرة والعقاقير . قال المعلّم : نوافق على ذلك بشرط ان يلبس ملككم مثل ثيابنا ويتزنّر بسيفٍ ومنطقة ويبتر راس اصبعه كعادة الهنود تأييداً للقسم .

قال السفير العربيّ : لمّا دخلت مسكن الملك الهنديّ ألفيتُهُ على سواده شابّاً جليـلا جميلا ظريفاً مستوياً على عرش فضّي لابساً رداء وسروالاً شفّافاً ومنديلاً في راسه . ولمّا لحته صفّقت تصفيقاً حادّاً وركعتُ بيديّ كعادة الهنود وسألته ان يلبس ثوباً فاعتذر كثيراً وقال : ارجو ان تعفيني من اللبـاس . وقل لمولاك : اني لبستُه . قلتُ : لا يمكنني ان اكذب على مولاي . فاضطر ان يلبس ويتزنّر ويتقلّد سيفاً على حقويه . وبعد هذا خجلتُ ان اقول له : ابتر اصبعك واكتفيت بان اسأله ان يحلف . فقال ان حلفنا هو بالاصنام والنار وانتم لا تقبلونها فبمَ تروم ان احلف لكم ؟ قلت له : انت تعرف . وعند ذاك أمر احد عبيده فجاءه بموسى تناولها بيمينه وبتر راس خنصره الايسر دون ان يتبدّل لونه وذرّى عليه دواء وربطه . ثم غسلوا القطعة المبتورة بماء جعلوا معه كافوراً وصرّوها . وبعد هذا اعطاه الملك بعض اوانٍ وفضّةً وحصانين .

وفي السنة ١٣٣٦ لليونان (١٠٢٥ م) توفي باسيل ملك الروم وقد ساس المملكة سياسة قوية حكيمة خمساً وخمسين سنة وأخضع البلغار للروم وخلفه (٢١٣) اخوه قسطنطين وحده ثلاث سنوات . وكان قسطنطين دمث الاخلاق بشوشاً شهم النفس أوصى بالمملكة حين احتضاره لابن اخيه رومانس . وفي بعض النسخ صهره زوج ابنته .

وفي السنة ٤١٧ للعرب (١٠٢٦ م) حدث برد نارس في بغداد زمان الشتاء . وجمدت سواحل الفرات ودجلة وتلفت اشجار النخل . وجعل الناس يمرون ماشين فوق الجليد في السواقي الصغيرة وتعذر على الفلاحين زرع اراضيهم .

وفي هذه السنة صدر امر في مصر بان لا يقتل احد ثوراً يجرّ محراثاً . وفي هلال الربيع الاول من السنة التالية سقط بَرَد ضخم في بغداد نظير بيض الدجاج .

وفي السنة ١٣٤١ لليونان (١٠٣٠ م) وهي السنة ٤٢١ للعرب زحفت جيوش الروم من انطاكية الى حلب فناوشهم قليل من العرب وانتصروا عليهم وقتلوا منهم كثيرين واحتووا على كثير من الخيل والاسلحة . على ان الملوك السابقين لرومانس كان النصر حليفهم في الحروب لانهم لم يكونوا يتشبثون بالمسائل الدينيَّة . اما رومانس هذا فقد عادى بطريركنا القديس ابن عبدون (١٠٠٤—١٠٣٠) واساقفته ونفاهم جارياً على عادة اليونان المكارين القدماء . ولذا سمح الرب بسحقهم تجاه أعدائهم .

بلغ رومانس خبر انكسار الروم في حلب فحشد مائة الف جندي ونيِّفاً وأقبل الى انطاكية ومنها سار الى حلب . وسبقه رجلان من كبار الصقالبة في جيشهما فلاقاهم نحو مائة فارس من المعدّين والف من الرجّالة وانصبّوا عليهم فرجعوا القهقرى واخبروا ان جيوشاً كثيفة بالغة حدّ الكثرة من مصريين ومعدّيين قادمون . فتخوّف الروم وامتطوا الخيل وانهزموا الى انطاكية دون حرب او ضرب . وتتبعهم العرب وانتزعوا منهم سبعين بعيراً محمّلة (٢١٤) نقوداً وآنية ذهبيَّة وفضيَّة واقمشة فاخرة وبغالاً كثيرة حتى بيع البغل الجيد في حلب بدينارين . ولم يبقَ مع الملك رومانس فيما قيل خيمة او كاس يشرب

بها ماء . وتوفي بغتةً وخلفه ميخائيل فناهضه قلفاط احد أنسبائه وظلّ خمسة اشهر يعانده حتى قُبض عليه وفُقئت عيناه كلتاهما .

وفي السنة ٤٢٢ للعرب (١٠٣٠ م) توفي الخليفة القادر بالغاً السابعة والثمانين . وكان ممتازاً بعفافه وفضله خلافاً لاسلافه . وبويع ابنه جعفر ودُعي القائم .

بعد القادر القائم ابنه

تولّى اربعاً واربعين سنة وثمانية شهور . وبايعه اقطاب العجم والاتراك والعرب قاطبةً مجبورين مسرورين . الّا ان الاتراك طالبوه كالعادة بالهدايا في فرصة مبايعته بالخلافة فلم يوضح لهم في اول الامر شيئاً بسبب فراغ الخزانة من المال . لان الامراء الاعاجم كانوا متولين البلاد كلها حتى بغداد عينها ولم يَدَعوا للخليفة سوى ارزاقه لا غير فاضطرّ ان يبيع الفندق والحدائق وبعض امتعة داره ويؤدي للاتراك ما طلبوه .

وكان يومئذٍ في الرها اميرانِ عربيّان يقيمان في برجين من ابراجها وهما ابن حطير وابن شبل فارسل اولهما الى ميخائيل ملك الروم وباعه برجَهُ واربع قرى بلاد الروم بعشرين الف دينار . وعند الليل اقبل الروم ودخلوا المدينة وملكوا البرج وتحصّنوا به وكان يشبه مدينة صغيرة . ثم خرج بعضهم الى المدينة واخربوا مسجد العرب . فسمع ناصر الدولة وبعث الجيوش فحاصروا الرها ونقبوا سورها ودخلوها وكبسوا الكنيسة الكبرى وقد انهزم اليها النصارى فنهبوهم ونساءهم . ثم حاصروا البرج فامتنع عليهم (٢١٥) فاحتجوا بهبوط الثلج وانصرفوا . وتمّ احتلال الروم للرها في خريف السنة ١٣٤٣ لليونان (١٠٣٢ م) و ٤٢٢ للعرب .

اما ناصر الدولة فوجّه الى الملك ميخائيل يعاتبه ويقول: ما الذي استفدتَهُ بقدومك الى حلب دفعتين حتى طمعتَ بالرها الآن ؟ اني اشير عليك مشورة حبيّة ان تنقل اصحابك منها والّا فسترى ما يصيبك من الجيش العربي . فاجابه الملك : اني لم آخذ الرها عنوةً لكني اشتريتُها من صاحبها شرعاً . ولو عرفتُ انها تبقى لك لرددتها . لكني على يقين من ان المدنيين بني نمير لن يتركوها .

هكذا استخف ميخائيل بالعرب وبعث عشرة آلاف فارس يحرسون الرهـا وبينون ما تهدّم ثم اخذوا يغزون بلد اكساس وحرّان وسروج حتى اضطرّ ابن وثاب النميري صاحب حرّان ان يؤدي لهم الجزية . وخضع كذلك حسّان صاحب سورية للروم وعلّق الصلبان في رؤوس ألويته .

وفي السنة ٤٢٣ للعرب (١٠٣١ م) ولدت امرأة في بغداد شكل حيّة قصيرة القامة لها راس انسان وفم ورقبة دون يدين ورجلين . ولمّا سقط على الارض قال : من الآن الى اربع سنوات سيُهلك الجوع الناس ويخرج الرجال والنساء والصبيان والبهائم ويبكون امـام الرب طالبين انحدار المطر . وبلغ الخليفة الخبر فأمر ان يخرج الاهالي جميعاً ويقيـون الطلبات فخرج القليلون وظلّ الكثيرون ممن لم يصدّقوا الخبر .

وفي تلك السنة جمدت المياه في بغداد وثار رملٌ احمر وهبط كالمطر وأتلف الاشجار ولم تثمر ثمرًا . وحدث غلاء فظيع في البريّة حتى اكل المعدّون جمالهم وخيلهم واولادهم . وكان كلّ رجل يبدّل ولده بولد جاره ويذبحه لئلا يتأثر . وما عدا الغلاء فقد ضايق الناس العطش بسبب قلّة المطر . فقصـدوا الانهر القريبة من المدن والقرى واقاموا هناك . وحدث طاعون في الهند وفي العجم كلّها حتى شيّعوا في اصفهان مدة اسبوع واحد اربعين الف نعش . ولم يبقَ بيت في بغداد دون حداد . ومات في الموصل بداء الجرب اربعة آلاف صبي .

وفي كانون ٤٢٥ للعرب و١٣٤٥ لليونان (١٠٣٤ م) عصفت ريح شديدة سوداء في نصيبين اقتلعت كثيرًا من اشجار الزيتون والتوت والعناب وقوّضت بعض ابنية الحجار والكلس . ولحقها وابلٌ من المطر وبَرَد كثير شكل كفوف وسواعد واصابع . وحدثت زلزلة في مصر وفلسطين وانهزم الناس من بيوتهم وظلّوا تحت الفضاء ثمانية ايام . وهبط نصف بلد بالس وابتلعت الارض عدّة قرى في سورية مع اهاليها وهُدمت اساسات كنيسة اورشليم ومأذنة العرب في عسقلان وراس مأذنة غزّة ونصف عكا . وجزّر البحرُ نحو ثلاثة فراسخ ودخل الناس ليلتقطوا السمك والحلزون فرجعت المياه وابتلعت بعضهم . وظهر في شباط شكل عمود نور في برج السنبلة منذ المساء حتى الصباح اياماً كثيرة

ثم هبط بعد ايام كوكب كالبرق الخلّب واضاء ارض سنعار جمعاء. وتوهم الكثيرون من العامّة ان السماء انشقّت . وحدث طاعون في بغداد اجتاح نحو سبعين الفاً من البشر بداء الخانوق . وهبّت بعد سنة رياح قويّة في بحر فارس اغرقت اكثر من خمسين سفينة واهلكت اكثر من الف وخمسمائة انسان . وفاض البحر والانهار وتفجّرت ميازيب السماء. واجتاحت المياه كثيرًا من القرى . قيل ان بعض الناس أفلتوا من الغرق بدفوف السفن والواحها وما كادوا يصلون الى البرّ حتى دهمهم الغمر وردّهم ثانيةً (٢١٧) الى البحر واغرقهم .

وفي السنة ٤٢٧ للعرب (١٠٣٥ م) حشد ابن وثّاب النميريّ صاحب حرّان جمهورًا غفيرًا من الاكراد والمدنيّين وسار الى سويرك وهي للروم ودوّخها . وقتل فيها ثلاثة الاف وخمسمائة انسان . وسبى طائفة من النساء والفتيان . ثم زحف الى الرها وحاصرها ومنع عنها المؤونة . فتضايق الاهالي جوعاً وسلّموه المدينة وانهزم الروم وتحصّنوا في البرج فصوّب العرب القتال نحوه وفتكوا بمائتين وخمسين رجلاً وتعذّر عليهم اخذه فنهبوا المدينة وانقلبوا راجعين . وبلغ عدد الفتيان والفتيات الذين سبوهم فيما قيل ثلاثة آلاف نسمة .

(لاله صلة)

كتاب الفتاوى الحامدية

لحامد افندي علي العمادي

مفتي دمشق الشام

مخطوط قديم

وصفهُ ونشر بعض مقاطع منهُ

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

وجدنا هذا الكتاب الخطيّ الثمين في مكتبة المثلّث الرحمة العلّامة المطران يوسف نجم ، في بيت ابن شقيقه الوجيه الكريم السيّد بطرس عبدالله نجم في جديدة كسروان . وهو عبارة عن اسئلة واجوبة في الشرع لحامد افندي ابن علي افندي العامدي مفتي دمشق الشام ، مدّة ثاني عشرة سنة ، اي من سنة ١١٣٧ — ١١٥٥ هجرية (١٧٢٤ — ١٧٤٢ م) وقد شرح ما غمض او أُشكل من هذه الفتاوى ونقّحها مَن خلَفَهُ في منصب الافتا . وسمّاها : «العقود الدرّيَّة في الفتاوى الحامديَّة» على ما سترى في النبذة الملحقة في آخر هذا الكتاب . ولم يُعرف اسم الملخص المنقح لسقوط ورقات مخرومة من اول الكتاب ولعلَّ اسمه كان مدوناً فيها مع اسم الكتاب ومقدمته . وتمت كتابته سنة ١٢٦٧ هـ (١٨٥٠ م) وتوفي منقحهُ سنة ١٢٥٢ هـ (١٨٣٦ م) وفرغ حامد افندي من تأليفه في ١٨ ربيع الاول سنة ١٢٣٨ هـ (١٨٢٢ م) .

وهذه هي ابواب الكتاب وقد كُتبت بحرف ثخين :

البيوع . الدعوى . الاقرار . الوديعة . العارية . الهبة . الاجارة . الاكراه . الغصب . الشفعة . القسمة . الغرامات الواردة على القرى ونحوها . المزارعة . المساقاة . الخيارات . الشهادات . مشد المسكة . الذبائح . الشرب . المداينات . الرهن . الجنايات . الحيطان وما يُحدث الرجل في الطريق

وما يتضرر به الجيران ونحو ذلك . الوصايا . الفرائض . مسائل وفوائد شتّى من الحظر والاباحة وغير ذلك ، وهو الباب الاخير .

يقع هذا الكتاب في ٥٥٤ صفحة ولهُ هامش عريض علّق عليه المنقح بعض الشروح لفتاوى تتطلّب الايضاح . طوله ٢٣ سنتمترًا بعرض ١٧ سنتمترًا ، وعرض هامشه ٤ سنتمترات ، يحتوي الوجه على ٢٤ سطرًا ، مكتوب على ورق عادي غير سميك ، بخطّ عربيّ رفيع منمنم قريب من الخط الكنسي ، والسين والجيم اي السؤال والجواب بالحبر الاحمر ، وهو مجلّد تجليدًا حديثًا .

ورد في آخر فتاوى باب البيوع ما هو بالحرف الواحد :

« وهذا آخر الجزء الاول من الاصل الذي هو فتاوى العلّامة المرحوم حامد افندي العمادي . قال محررها وقد فرغتُ من تلخيصه وتنقيحه وتحريره وتوضيحه باقل من نصف الاول مع زيادة الفوائد الفريدة والتحريرات السديدة على وجه الصواب مما لا يوجد في غير هذا الكتاب . وذلك في ليلة الاربعاء لسبع وعشرين خلون من شهر رمضان سنة ١٢٣٦ هـ . (١٨٢٠ م) ست وثلاثين ومائتين والف والحمد لله رب العالمين امين تم » .

واليك امثلة من فتاوى بعض ابواب هذا الكتاب :

اولًا – البيوع

س : في رجل باع من زيد بضائع معلومة بثمن معلوم أجّل بعضهُ المعلوم على المشتري الى أجل معلوم وقسّط باقيه اقساطاً معلومة ثم مات البائع في اثناء مدة التأجيل والتقسيط فهل يبقى كذلك ولا يحل الثمن بموته والحالة هذه .

ج : بموت البائع لا يحل الاجل اي الثمن المؤجل وبموت المشتري يحل كما في البزازية والاشباه .

قال المنقح الملخص : الصواب ان القول للبائع مع يمينه وعبارة الهداية وان اختلفا في الاجل او في شرط الخيار او في استيفاء بعض الثمن فلا حالف بينهما والقول قول من ينكر الخيار والاجل مع يمينه فان هلك المبيع ثم اختلفا لم يتحالفا عند ابي ح وابي س والقول قول المشتري . وقال محمد يتحالفان

ويفسخ البيع على قيمة الهالك اه قال في معراج الدراية : قوله فان هلك المبيع اي بعد قبض الثمن اذ قبل قبضه ينفسخ العقد بهلاكه . وقوله ثم اختلفا اي في مقدار الثمن هكذا ذُكر في المبسوط اه فعلم ان قول الهداية فان يهلك الخ غير راجع الى قوله وان اختلفا في الأجل الخ بل الى ما ذكرهُ قبل ذلك من الاختلاف في قدر الثمن وفي متن المجمع وان اختلفا في الأجل او شرط الخيار او استيفاء بعض الثمن كان القول للمنكر او في الثمن بعد هلاك المبيع امر محمد بالتحالف والفسخ على قيمته وجعلا القول للمشتري اه .

قوله او في الثمن اي لو اختلفا في قدر الثمن كما في شرحه لابن ملك وقوله كان القول المنكر صريح في ان القول للبائع في استيفاء بعض الثمن لانه المنكر . وذكر في البحر عن النهاية ان التقيد ببعض الثمن اتفاقي اذًا لا اختلاف في قبض كله كذلك وانما لم يذكره باعتبار ان مفروع عنه بمنزلة سائر الدعاوى اه .

ثانيًا – الخيارات

س : فيما اذا اشترى زيد من عمرو كرماً معلوماً بثمن معلوم من الدراهم واثمر ونمى في يــد المشتري ثم مات عن ورثة يدعون ان مورثهم لم يرَ المبيع زاعمين ان لهم خيار الروية فهل لهم ذلك ؟

ج : نعم خيار الروية يبطل بحدوث الثمرة والزيادة في يدي المشتري او وكيله وبعد ما حدثت على يده ليس له الرد بحال تناولها او لم يتناولها . الفتوى من فصل خيار الروية ولا يورث خيار الروية كما لا يورث خيار الشرط خافيه ومثله في خزانة المفتين وفي الاشباه من كتاب الفرائض وفي شرح المجمع لابن الضياء . واما خيار الروية فالصحيح انه يورث اه قلت ونقل ابن الضياء لا يقاوم المتون الموضوعة لنقل المذهب . والله تعالى اعلم .

ثالثًا – الشهادات

بنيّة : لزوج انها امرأته من المهر اولى من بنيّة المرأة انــه كان مقرًا به الى الآن .

قال المنقح : قوله بنيّة الزوج انها امرأته الخ لان بنيّة المرأة على الاقرار

قد بطلت باقرار الزوج به لما ادعى البراءة ولم تبطل البراءة وكذا في دعوى اللين وكذا البيع والاقالة فان بينة الاقالة اولى لبطلان بينة البيع باقرار مدعي الاقالة . وينبغي ان يحفظ هذا الاصل فانه يخرج به كثير من الواقعات كما في القنية : من الهامش .

رابعاً — الدعوى

س : في عقار معلوم جار في جهة وقف برّ والمتولون على الوقف واضعون يدهم عليه ومتصرفون فيه لجهة وقف البرّ من مدة تزيد على اربعين سنة بلا معارض لهم في ذلك ولا في شيء منه فادعى متولي وقف برّ آخر على وكيل الوقف الاول لدى نائب محكمة بجريان العقار المذكور في الوقف الآخر وحكم نائب المحكمة لجهة الوقف الآخر بالعقار المزبور بشهادة بينة شهدت على خلاف المشهور المتواتر .

وان الدعوى بعد مرور المدة المزبورة بلا مانع غير مسموعة واثبتت دعواه المزبورة ومنع نائب قاضي القضاة المتولي المزبور وجهة وقفه من معارضة الوقف الاول في العقار المذكور وحكم به لجهة الوقف الاول حكماً مستوفياً شرائطه وكتب به حجة شرعية فهل يعمل بمضمونها بعد ثبوته بالوجه الشرعي .

ج : نعم لان الدعوى لا تُسمع بعد ثلاث وثلاثين سنة كما صرّح به في البحر عن المبسوط ولان البينة على خلاف المشهور المتواتر لا تُسمع ولا تُقبل .

قال المنقح : من كون العقار جارياً في جهة الوقف الاول وبعد مرور المدة المزبورة تصرف المدعي بالعقار مدة اربع سنين ثم ادعى وكيل شرعي عن متولي الوقف الاول لدى نائب قاضي القضاة على متولي الوقف الآخر بان الحكم المزبور صدر بشهادة البينة على خلاف المشهور المتواتر وان الدعوى صح .

خامساً — الوديعة

س : فيما اذا اودع زيد عند عمرو خنجراً في طريق الحاج فاخذهُ عمرو ووضعهُ تحت رأسه حفظاً لهُ ونام ثم انتبه فلم يجدهُ فهل الاضمان عليه .

ج : نعم ولو نام ووضع الوديعة تحت رأسه او جنبه فضاعت لا يضمن وكذلك ان وضعها بين يديه وهو الصحيح واليه مال الإمام السرخسي قالوا واذا

لا يجب الضمان في الفصل الثاني اذا نام قاعدًا اما اذا نام مضجعاً كذا ذكرهُ في الذخيرة وذُكر في العدة لو نام واضعاً جنبهُ على الارض فضاعت الوديعة يضمن . وان نام قاعدًا لا يضمن وفي السفر لا يضمن في الوجهتين . عمادية من الفصل ٣٢ .

قال المنقح : مضجعاً يضمن هذا اذا كان في الحضر اما اذا كان في السفر فلا ضمان نام قاعدًا او مضجعاً صح .

سادساً : الاجارة

س : في اجارة الدار من مؤجرها فهل تكون غير جائزة .

ج : نعم اذا اجر من المؤجر لا يجوز وبطلت الاولى . وقال الحلواني لا تجوز الثانية ولا تبطل الاولى لان الثانية فاسدة فلا ترفع الصحيحة وهو الاصح اه منح في مسائل شتى وتقدم في البحر عن الجوهرة ما يخالفهُ اقول ووفق في الدر المختار بين ما في الجوهرة وما قبله بما فيه نظر كما اوضحته فيما علقته عليه وكتبتُ فيه ان الاظهر ما ذكره شمس الائمة لما ذكرهُ من العلة ولتصحيح قاضي خان لهُ وقوله في المضمرات وعليه الفتوى وكتبت ايضاً ما نصهُ وفي التتارخانية استأجر الوكيل بالايجار من المستأجر لا يجوز لانه صار آجرًا ومستأجرًا . وقال القاضي بديع الدين كنتُ افتي به فرجعت افتي بالجواز . اقول يظهر من هذا حكم متولي الوقف لو استأجر الوقف ممن اجرهُ له وقد توقف فيه بعض الفضلاء . وقال لم ارهُ . تأمل اه .

قال المنقح : وهو الصحيح بزازية المستأجر ان يؤجر من غير مؤجره ومنه اي من مؤجره لان الاجارة تمليك المنفعة والمستأجر في حق المنفعة قائم مقام المؤجر فيلزم تمليك المالك هكذا علله بعض الشرَّاح . وفي خلاصه الفتاوى قال في النوازل المستأجر اذا آجر المستأجر من الآجر لا يجوز وبطلت الاجارة الاولى . وقال شمس الائمة الحلواني لا تجوز الثانية ولا تبطل الاولى لان الثانية فاسدة فلا ترفع الصحيحة وهو الاصح اه .

سابعاً — الذبائح

س : في ذبيحة الذمي الكتابي هل تحلّ مطلقًا ام لا .

ج : تحل ذبيحة الكتابي لان من شرطها كون الذابح صاحب ملة التوحيد حقيقة كالمسلم او دعوى كالكتابي ولانه مؤمن بكتاب من كتب الله وتحل مناكحته فصار كالمسلم في ذلك ولا فرق في الكتابي بين ان يكون ذمياً يهودياً او نصرانياً حربياً او عربياً او تغلبياً لاطلاق قوله تعالى : وطعام الذين اوتوا الكتاب حلٌ لكم . والمراد بطعامهم مزكاهم . قال البخاري رحمه (اي رحمهُ الله) في صحيحه قال ابن عباس ومن طعامهم وذبائحهم ولان مطلق الطعام غير المزكى يحلُّ من اي كافر كان بالاجماع فوجب تخصيصهُ بالمزكى وهذا اذا لم يُسمع من الكتابي انه سمّى غير الله كالمسيح والعُزير .

أما لو سُمع فلا تحلُّ ذبيحتهُ كقوله تع (تعالى) وما اهل لغير الله به وهو كالمسلم في ذلك . وهل يُشترط في اليهودي ان يكون اسرائيلياً وفي النصراني ان لا يعتقد ان المسيح اله . مقتضى اطلاق الهداية وغيرها عدم الاشتراط وبه افتى الجد في الاسرائيلي وشرط في المستصفى لحل مناكحتهم عدم اعتقاد النصراني ذلك . وكذلك في المبسوط فانهُ قال : ويجب ان لا يأكلوا ذبائح اهل الكتاب ان اعتقدوا ان المسيح اله وان العُزير اله ولا يتزوجوا نساءهم . لكن في مبسوط شمس الائمة وتحلُّ ذبيحة النصراني مطلقاً سواء قال ثالث ثلاثة او لا ومقتضى الدلائل واطلاق الآية الجواز كما ذكرهُ التمرتاشي في فتاويه والاولى ان لا يأكل ذبيحتهم ولا يتزوج منهم إلَّا لضرورة كما حققهُ الكمال ابن الهمام والله ولي الانعام .

قال العلَّامة قاسم في رسائله : قال الإمام ومن دان دين اليهود والنصارى من الصابئة والسامرة اكل ذبيحته وحلَّ نساؤهُ . وقد حكي عن عمر رضي الله عنه ان كُتب اليه فيهم او في احدهم فكتب مثل ما قلنا فاذا كانوا يعترفون باليهودية والنصرانية فقد علمنا ان النصارى فِرقٌ فلا يجوز اذا جمعت النصرانية بينهم ان نزعم ان بعضهم تحلُّ ذبيحته ونساؤهُ وبعضهم يحرّم إلَّا بخبر ملزم ولا نعلم في هذا خبراً فمن جمعتهُ اليهودية والنصرانية فحكمه حكم واحد . اه بحروفهِ .

س : في الكبد والطحال هل هما طاهران قبل الغسل ام لا .

ج : هما طاهران وان قبل الغسل حتى لو طلي بهما وجه الخف وصلّى جازت صلاته كما صرح بذلك قاضي خان في فصل النجاسة تصيب الثوب او الخف. وهما حلالان كقوله صلع (صلى عليه وسلّم) احلّت لنا ميتتان السمك والجراد ودمان الكبد والطحال اه وهو بكسر الطاء. والمكروه تحريمًا من الشاة سبع : ١ الفرج ٢ والخصية ٣ والغدة ٤ والدم المسفوح ٥ والمرارة ٦ والمثانة ٧ والذكر . وقد نظمها بعضهم بقوله :

اذا ما ذكّيت شاةٌ فكُلها سوى سبعٍ ففيهنَّ الوبالُ
فحاءٌ ثمّ خاءٌ ثمّ غينٌ ودالٌ ثمّ ميمانِ وذالُ

اقول وكنتُ نظمتُها بقولي :

انّ الذي من الشاة يُحرَّم يجمعهُ حروفُ فخذ مدغم

هذا ما رأينا ان نبسطهُ للقراء من بعض مواضيع هذا الكتاب . وقد جاء في آخرهِ ما هو بالحرف الواحد :

« وهذا آخر ما يسّر المولى القدير . على عبدهِ العاجز الحقير . من العقود الدرّية في تنقيح الفتاوى الحامديّة التي سُئل عنها علّامة عصرهِ ونتيجة دهرهِ . صدر الافاضل والاكابر . مَن ورث العلم كابرًا عن كابر . مولانا حامد افندي ابن علي افندي العمادي . سقى الله ثراه صوب غمام الرحمة الغادي . وهي التي أفتى بها وجمعت في حياتهِ في مدة قيامهِ بمنصب الافتاء في دمشق الشام . ذات الثغر البسّام . ثمانية عشرة سنة ١١٣٧ الى ١١٥٥ . ولما ابتليتُ بمانات امانة الفتوى . التي هي في زماننا من اعظم البلوى . رأيتُ هذه الفتاوى من احسن ما يُعتمد عليه . ومن انفع ما يجنح عند المراجعة اليه لتأخر جامعها وسعة اطلاع واضعها . وتحريره ما اعتمده المتأخرون الثقاة . وذكرهِ لعامة الحوادث الواقعات في هذه الاوقات . إلّا انه رحم (اي رحمهُ الله) لم يلتزم فيها الترتيب المعتبر . ولم يُسقط منها ما تكرر او اشتهر . وكثيرًا ما يذكر الجواب في محل ويذكر النقل المناسب في محلّ آخر ولذا صرف عنان العنان نحو تنقيحها واختصارها . والاقتصار على ما يفوح من طيب عرارها . بترك ما اشتهر من الاسئلة وظهر . واسقاط ما أُعيد منها وتكرر . واختصار بعض الالفاظ

بعبارات محررة . وحذف بعض النقول المعادة المكررة . حتى جاء اقل من نصف الاصل حجماً . واكثر من ثمره وافادة ونعمى . بما حواه زيادة على الاصل . في كل بابٍ وفصل . من التنبيه على مواضع هي محض وهم اوكبا فيها جوادُ القلم . وتحقيقات بديعه وتحريرات منيعه . وحلّ شكالات عويصه . واستخراج خفيّات غويصه . انا ابو عذرها . ومُعاني حلوها ومرّها . لم يحم حول كشفها سابق . ولم تفتح مقفلاتها قبلي لطارق .

قد خبأ المولى استخراج كنوزها لعبده الضعيف . واظهر اشارات رموزها على يد هذا العاجز النحيف . حتى حقّ ان ينشد الناظر : كم ترك الاول للآخر . واعتقادي ان حكمة ذلك الظاهره . هي اظهار القدرة الباهره . فان هذا العبد فكرتهُ كليله . وقريحتهُ قريحة عليله . وبضاعتهُ مزجاة قليله . مع ما امتزج بالبال . من عظائم البلبال . وتراكم الهموم والأهوال . وفقد المسعف . وعدم المنصف . وتسلط الحساد . بالسنةٍ حداد . وغير ذلك مما يورثُ الوهن . وكلال الذهن . ولكن لله درّ من قال . وابدع في المقال :

ان المقادير اذا ساعدت ... الحقتِ العاجزَ بالقادرِ

فدونك كتاباً قد اعملتُ فيه الفكر . والزمتُ فيه الجفن السهر . قد غرستُ لك فيه من فنون التحريرات افناناً . وفتحتُ لك فيه من عيون المشكلات اجفانا . واودعتُ فيه من كنوز الفوائد . عقود الدرر الفرائد . وبسطتُ فيه من اعظم المقاصد احسن الموائد . وجلوتُ فيه على منصّة الانظار . عرايس ابكار الافكار . وكشفتُ فيه بتوضيح العبارات قناع مخدّراته . ولم اكتفِ بتلويح الاشارات لاجل تحريرات خفيّاته . وليس يدري فضلهُ سوى عالمٍ فقيه . فاضلٍ نبيه . اجرى سُفُن انظاره في سفُن بحره . واجرى جواد افكاره في شيح برّه . واني أُعيذ بالله تعالى من شرّ كلّ غمرٍ جاهل . او حاسد متغافل . على اني لا ابرك[1] نفسي . فاني مقرّ بعجزي وبخسي . ارتجي ممن وقف فيه على عثرةٍ ان يتداركها بالعفو والاحسان . فان الانسان محلّ الخطاء والنسيان .

١) كذا في الاصل . وهي غلطة فرّطت من القلم . والصواب : لا ابرّئ نفسي .

واني الجأ الى الله تعالى الذي امتنّ عليَّ بذلك وتفضّل ومن فيض فضله اطلب واسأل ان ينفع به كلَّ قاصٍ ودان . ويحيِيَ لجوده الحسان كلَّ كفوءٍ محسان . وان يغفر لي ما طغى به القلم . او زلّت بهِ القَدَم . وان يتجاوز عن عثراتي . ويعفو عن سيئاتي .

قال المؤلف رحمه (رحمهُ الله) وقد فرغتُ مَن تحريرهِ وتنسيقه وتحبيرهِ لثمان عشرة ليلة خلت من شهر ربيع الاول سنة ١٢٣٨ ثمان وثلاثين ومائتين والف للهجرة »

وتأتي بعد هذه الكتابة هاتان العبارتان وهما :

« صح توفى منقّحها سنة ١٢٥٢ »

« وكان ختام كتابتها سنة ١٢٦٧ » .

في سر الزواج

لنيوفيطوس روديس

نشره الاب اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

مقدمة

في لائحة مخطوطات المكتبة الشرقية تحت علامة ٥٠٠ يلفت الاب لويس شيخو الانظار لمؤلَّف من نيوفيطس روديس عنوانه : « الجواهر النفيسة في لوازم الكنيسة » وهو موجود في آخر كتاب « الامانة المستقيمة » للقديس يوحنا الدمشقي. وينعته الاب شيخو بانه مؤلف قيّم[1]. وهو بحث عقائدي ادبي كتبه احد قادة الكنيسة اليونانية الارثوذكسية في القرن السابع عشر.

وفي إعدادنا لائحة جديدة بالمخطوطات الباقيــة التي لم يسمح العمر للاب شيخو بتنسيقها او بتلـك التي ابتيعت بعد وفاته ، عثرنا على نصين آخرين للمخطوطة ذاتها . وهذا ما يدلنا على اهمية هذا المؤلَّف الذي تنوقل مرات عديدات وعلقت عليه الشروح[2].

ونعرف كاتبه نيوفيطوس روديس بما تركه لنا المترجم (وقد تُرجم الكتاب من اللغة اليونانية سنة ١٧١٥) : «وبعد فيقول العبد الحقير المعترف لله بالذنب والتقصير الياس بن فخر الشهير بابن الفخر الطرابلسي الاصل والوطن والملكي الارثوذكسي الملة والسنن . لما وقفت على كتاب الذمة في علم الفقه المسيحي الذي الفه الأب الفاضل والعالم العامل فخر الملة المسيحية وجمال الكنيسة الارثوذكسية الكاهن في الرهبان كير ناوفيطوس روديس القبرسي السيناني الغيور في انتشار صحة امانته

١) Catalogue raisonné des Manuscrits de la Bibliothèque Orientale, Beyrouth, 1926, p. 209, n. 500.

٢) راجع الاب لويس شيخو : كتاب المخطوطات العربية لكتبة النصرانية ، بيروت ١٩٢٤ ، ص. ٢٠٤ ، عدد ٧٨٦

الحريص على تثقيف كنبة الروم من ابنا. ملّته فرأيته كتاباً مفعماً حكمة سامية تنير العقول المظلمة بالجهل الصريح وتهدي المتعلم الراغب الخلاص الى اسد الطريق الصحيح لانه يتضمن كلما هو ضروري الى معرفة خلاص الذمة في طريق الفقه الشرعي وبه يهتدي الكاهن المعرف والعامي المعترف الى معرفة خبايا الخطايا المستترة في زوايا الذمة ... » (المقدمة ق ١ ^ٰ — ٢ ^ٰ) .

وبما ان هذا المؤلف يظهر لنا بمكان من الاهمية وتمييزاً لفائدته رأينا ان ننشر فصلاً منه يبحث في سر الزواج ونكتفي بما في هذا الفصل من وضوح فلا نزيد عليه تعليقاً[١] . ويلاحظ القارئ من خلاله آراء المؤلف في الطلاق .

الفصل التاسع

من الكتاب الاول « في سرّ الزيجة »

« هذا الترتيب لكثيرين[٢] من المعلمين الذين يعدون السبعة اسرار الكنيسة ويعقبون[٣] سر الزيجة في آخر الكل . وهذا السر على ما يقوله بولس الرسول لسرّ عظيم . كان سرّاً عظيماً ، لكونه يدل على اتحاد المسيح مع الكنيسة . وهذا السر يدعى زواجاً[٤] وعقداً واقتراناً قد رتبه الله تعالى لما جبل آدم ووضعه داخل الفردوس وضع بعد ذلك حوى[٥] واعطاهـا للانسان امرأةً له ومعينة لاجل التناسل ونمو جنس البشر . ولما حضر بعد ذلك السيد المسيح[٦] الى[٧] العرس الذي صار في قانا الجليل جعله سرّاً ليس بالاعجوبة[٨] التي فعلها فيه فقط بل لكونه وُجد فيه بنفسه . فانه اعطاه قوة لان يكون سرّاً من اسرار الكنيسة ايضاً . واما الزواج فهو شي مكرم ومقدس على ما يقوله الطوبان بولس : أن الزواج مكرم في الجميع ومضجعه غير دنس . اما غيره من اسرار

١) اتخذنا حروفاً ترمز الى النصوص الثلاثة وتعفينا من التطويل : ب (المخطوطة الذي تكلم عنها الاب شيخو) ج ح (النصّان الآخران) . ذكر الاب جوجي كاتبنا مرتين في كتابه : *Theologia dogmatica christianorum orientalum Ab Ecclesia Catholica dissidentium*. Paris, 1930, III. pp. 81, 413.

٢) ج ح : لكثير. ٣) ج يعقوب. ٤) ج زواج. ٥) ب حوي.
٦) ح يزيد الذي. ٧) ج ح في. ٨) ب لاعجوبة .

الكنيسة فقد صارت بعد سقوط آدم الّا ان الزواج قد رتبه الله اولًا وامر به من داخل الفردوس قبل سقوط ادم منه وجعله ليس لاجل لذة جسدانية بل لاجل التناسل ونمو جنس البشر خلوًا من انزعاج ولا رداوة اصلا . واما بعد سقوط ادم[١] ومعصيته فانه اعطاه الزواج اولًا لاجل نمو جنس البشر وثانياً لكون الناس لا تقدر ان تمسك ذواتها[٢] عن الزناء . فليكتفي كل رجل بامرأته وكل امرأة برجلها . ولمحذور الزناء قال بولس الرسول: ان كل رجل[٣] له امرأته وكل امرأة لها بعلها . فالزواج[٤] اذًا هو عقد وجمع الرجل مع الامرأة دايم ابدي عديم الحل والانفصام : واقترانهما واتحادهما الواحد مع الاخر هو ليعيشا معاً حياتهما كلها : وقد يقال ان الزواج هو عقد دايم غير منحل ولا منفك اصلًا لكونه حسب ارادة الرجل والامرأة والكنيسة ، قد[٥] اقترن كلاهما واتحدا برضاهما لا يقدر[٦] احد على ان يفرقهما ما دامهما احيا كما امر به المسيح القايل ما قد جمعه الله لا يقدر ان يفرقه انسان لان الرجل الذي يترك امرأته ويأخذ غيرها يزني . فالحاجة تدعو الى انهما يقيمان بعضهما مع[٧] بعض حياتهما كلها . واما اذا عرض بينهما عارض[٨] عثرة ما[٩] سوا كان الرجل او الامرأة فلا يعود يمكنهما السكنى معاً فليفترقا من السكنى في مكان واحد الّا انهما مع هذا كله يلزمهما ان يمكثا بلا زيجة الرجل والامرأة كلاهما حتى يتصالحا ويتحابا ويعيشا بعضهما مع بعض ويتفقا بالسكنى ايضاً كما كانا[١٠] اولًا وهذا الذي نقوله هو تعليم بولس الرسول الذي قاله عن لسان المسيح بقوله هكذا[١١] اقول للمزوجين ، ليس انا بل الرب ان المرأة[١٢] لا تعتزل عن زوجها وان هي اعتزلت عنه فلتقم بلا زوج او فلتراجع بعلها . والرجل لا يطلق امرأته . وما قد جمعه الله لا يقدر ان يفرقه انسان . فالمفهوم من مناشدة بولس هذه عن الزيجة الناموسية التي لا يداخلها سبب من الاسباب الذي يجعل تلك الزيجة خارجة عن الشريعة لانها اذا كانت خارجة عن الناموس فحلها

١) ب يعيد السطر السابق. ٢) ج ذاتها . ٣) ج نسي الكلمة .
٤) ج الزوج . ٥) ب وقد . ٦) ب يقد. ٧) ب على.
٨) ب عارف. ٩) ج اسقطها . ١٠) ب ج كان .
١١) ج اسقطها . ١٢) ج الامرأة

ممكن الكون رباطها بئس الرباط . واما اذا لم يداخلها سبب من الاسباب المانعة شرعاً فلا يمكن الفرقة فيها ولا ان يصير طلاق ولا انفصال بينهما اصلاً حسب مناشدة المسيح وبولس الرسول بقدر وثاق رباط الزيجة السرية . وقد اوضح بولس الرسول الرباط الوثيق والاتحاد الدايم الذي في الزيجة السرية وكيف ينبغي حفظه غير منحل ولا مفترق اصلاً بمثل عجيب حيث قال كيف ان الرجل رأس المراة[١] كما ان المسيح رأس الكنيسة . ومن هذا بيان ان المسيح كما انه لم يشاء ان يفترق عن الكنيسة البتة لاجل ما عاهدها[٢] به من انه يكون معها دائماً حيث قال انا معكم كل الايام الى انقضاء الدهر . هكذا لا يقدر الرجل ان يفترق عن امرأته ان كانت زيجته ناموسية لاجل العهد الذي عاهده. والشرط الذي اشرطه على نفسه قدام الله بانه يُقيم معها[٣] حياته كلها. ومثله المرأة فانها لا تقدر ان تفترق عن زوجها كما ان الكنيسة لا تفترق عن المسيح[٤] ختنها . فمن الواجب على الكهنة اذاً ان يعرفوا ما قد علمه[٥] المسيح عن هذا الافتراق وكيفية الطلاق وما علمه[٥] بولس الرسول والاباء القديسون[٦] معلموا الكنيسة وانهم لا يفسخون الزيجات الناموسية الشرعية بعلة من العلل ولا بسبب من الاسباب ولا يطلقون لاولئك المطلقين ان يتزوجوا على مقتضى اهوايهم لان الرجل اذا تزوج امرأة اخرى وزوجته الاولى الناموسية كانت حية وكذلك المرأة اذا تزوجت رجلاً آخر وبعلها الاول الناموسي كان حياً فهو زنا محض ظاهر وخطية دايمة وليس بسر البتة . ولا يجوز للامراة ان تعطي اذناً لزوجها ليأخذ غيرها برضاها كما ظن بعضهم جهلاً وشناعة فظيعة[٧] . ولا يجوز للرجل ايضاً ان يعطي اذناً لزوجته لتأخذ غيره برضاه لان ذلك ليس بمفوض له على ما يقتضي هوايه . ولا المراة ايضاً لكونهما لما تزوجا عاهدا الله والكنيسة بانهما يقيمان بعضهما مع بعض ، لا يفرقهما سوى الموت وحده . والرسل القديسون[٨] يحرمون ويفرزون كل من كان هذا الفعل فعله بقولهم في القانون الاربعين ،

---

١) ج الامراة. ٢) ب عداهلها. ٣) ب ح اسقطا معها .
٤) ب اسقط المسيح. ٥) ب علمه . ٦) ب القديسين .
٧) ب ح فظيناً . ٨) ب ح القديسين .

هكذا[١] : اي رجل علماني اخرج امراته عنه واخذ غيرها او تزوج مطلقة من اخر فليكن[٢] محروماً . والقديس باسيليوس الكبير يقول في قانون الثامن والاربعين هكذا[٣] : المراة المعتزلة عن رجلها[٣] فلتكث هكذا وان اخذت غيره تكن زانية حسب قول الرب[٤] . والقديس امبروسيوس يقول في تفسيره بشارة لوقا ان هذا زنا ظاهر محض لاسيا يقول هذا القديس انه ان[٥] كان الرجل يجد على زوجته زلة ينبغي له ان يصفح عنها لاجل محبة اولاده التي هي امهم . وهذا بعينه يعلمه القديس يوحنا فم الذهب في المقالة السابعة من تفسيره بشارة متى . فمن هنا يتضح قبح انحراف عقول بعضهم الذين يكتبون اراء وخيمة تنفي اقوال المسيح والرسل[٦] والاباء والقديسين[٧] وتضادها ، اخذين عن بعض المحدثين الذين كتبوا وفسروا بعض القوانين الناموسية بالتدليس[٨] على ما تقتضيه آراوهم واهواء انفسهم لاهلاك كثير من الناس ويعطون سماحاً[٩] في الطلاق وفي افتراق الزيجات الناموسية ويضعون الناس تحت هذا المقدار من الحرومات .

اقول[١٠] ايضاً انه لا يجوز لاحد ان يترك امراته ويأخذ غيرها وتلك المراة حية من غير علة عدلة شرعية البتة . ولا يجوز للمرأة ان تأخذ غير رجلها وهو حي ولو اراد كلاهما فان ذلك لا يمكن على ما يقوله بولس الرسول[١١] اي انهما لا يمكثان بعضهما مع بعض معاً . لكن لا يطلق لهما الافتراق والانفصال اصلاً وذلك مراعاة لرباط سر الزيجة الوثيق[١٢] . مادة[١٣] هذا السر همن[١٣] الاشخاص الناموسية اعني الرجل والمراة اللذين باتفاقهما وحسن رضاهما جمعتهما الكنيسة ليكون كلاهما اثنين في جسد واحد ليلدا الاولاد[١٤] ويعيشا بعضهما مع بعض[١٥]

---

١) ج اسقط هكذا .   ٢) ب فليكون .
٣) ب زوجها .   ٤) ج اسقط الرب وزاد يريد بقوله المرأة المعتزلة عن رجلها اي الملفة لا المطلقة .
٥) ج اسقط ان .   ٦) ج اسقط الرسل .
٧) ب ج اسقطا « الواو » .   ٨) ج البدليس   ٩) ج يزيد في ذلك .
١٠) ج اسقطها .   ١١) ب اسقطها .   ١٢) ج اسقطها .
١٣) ج اسقطها .   ١٤) ب اولاداً .
١٥) ج يزيد الرجل والامرأة .

معاً[١] دايماً[٢] . اما[٣] صورته فهي اقوال اولئك المزوجين اعني قول الرجل للمراة هل تريديني زوجاً لك وقول المراة نعم اريدك . فلاجل ذلك تستحسن وتمدح عادة البيعة حين يسأل الكاهن في الوقت الذي يصير فيــه الاكليل ويستفهم من العريس قدام الاشابين قايلًا له يا فلان هل تريد فلانة زوجة لك ناموسية مباركة حسبما تأمر به كنيسة[٤] الله[٥] المقدسة والعريس يجاوب قايلًا نعم اريدها . ومثل ذلك يسال العروس[٦] ان كانت تريد فلاناً بعلًا لها ناموسياً مباركاً وهي تجاوب عن ذلك بالقول كان او بالاشارة انهــا تريده . والسبب الذي تتزوج الناس لاجله[٧] الاول وَهُوَ الاخص لاجل التناسل ونمو جنس البشر . والثـــاني لاجل الفرار من الزنا وقد نلاحظ في سر الزيجة ثلثة اشيا.[٨] الاول هذا اي التناسل واتلاد[٩] الاولاد . الثاني صدق المرأة مع الرجل[١٠] وصدق الرجل مع الامراة[١١] . الثالث الرباط الوثيق الدايم الغير المنحــل والغير المنفصم.[١٢] اصلًا الذي ترابط به اثنانهما ليسكنا بعضهما | مع بعض ويقيما ما دامها احيا . وانهما يحب بعضهما |[١٣] بعضاً كما احب المسيح الكنيسة . امـــا الشباب المحدثون[١٤] البالغوا السن الشرعي[١٥] لهم ان يتزوجوا من غير ارادة اهلهم واقاربهم لكنهم[١٦] يخطون غالباً حين لا يسمعون نصيحة اهلهم واقاربهم الذين يحبونهم ويريدون لهم الخير والرأي الحميد . ومع هذا كله[١٧] فان زواجهم تام . وهو[١٨] ناموسي بحسب الشريعة ولا يجوز لاحد ان يفرقه ولا يفسخــه اصلًا لانه صار باتفاق ورضى من الجانبين . وكما ان الاهل والاقارب لا يقدرون ان يلزموا الشباب في الزيجة خصوصاً اذا كانت قصده الرهبانية هكذا لا يقــدرون ان يطلقوه من زيجته حين يتزوج بغير رضاهم حيث لم يكن مانع من الموانع الشرعية التي تمنع الزواج بالحقيقة . اعلم انه توجد موانع تمنع صيرورة الزواج ويمكن حله

١) ب اسقطها. ٢) ب يزيد ابدًا . ٣) ج اسقطها .
٤) ج الكنيسة . ٥) ج اسقطها . ٦) ج العريس .
٧) ب وضعها قبل تتزوج . ٨) ج اسقطها. ٩) ج الاتلاد .
١٠) ب بعلها . ١١) ج المراة. ١٢) ب ح منفصم .
١٣) ا – ا ب اسقطها . ١٤) المحدثوا . ١٥) ب يزيد ليس .
١٦) ح اسقط الجملة من لكنهم الى اقاربهم. ١٧) ب ح كلهم. ١٨) ج اسقطها

وفسخه اذا صار وتبيح لذاك الشخص ان يتزوج من ساير الوجوه من غير ان ينافي ويضاد تعليم المسيح ولا يناقض رباط سر الزيجة الوثيق[١] الدايم . وهي اثنا عشر مانعاً . ونحن نسردها[٢] هنا مانعاً فمانعاً بطريقة مختصرة[٣] موجزة[٤] .
المانع الاول يدعى خديعة . وهو ان يخدع الواحد الاخر ويهزو به ويضحك عليه في عقد الزيجة . وذلك[٥] لا يعقل ولا يعلم ماذا يفعل لكونه اما انه صغير حدث السن وليس له معرفة ولا ادراك ولا يتصور فيما يعمله او انه مجنون ابله او متشيطن من الارواح الخبيثة او فيه مرض من الامراض الطبيعية المعضلة ولاجله لا يقدر ان يقيم بعضها مع بعض معاً . وهذا المنع يكون لمن كان هذا الحال حاله سوا كان الرجل او المراة[٦] . المانع الثاني لما يظن احد بانه يتزوج امراة حرة ويزوجونه[٧] امة او[٨] امراة حرة تتزوج رجلاً مملوكاً بغير علمها والسبب في ذلك هو ان الانسان لا يلتزم ان يصير بنيه عبيداً فلاجل ذلك يمكن حل تلك الزيجة وفسخها . واما اذا كانا عارفين بهذا وراضيين به قبل الزيجة ثم تزوجا فزواجها شرعي . المانع الثالث العهد اي اذا عاهد الله احد قبل ان يتزوج على انه[٩] يصير راهباً او المراة[١٠] تعاهد الله بانها تصير راهبة او انهما[١١] ينذرن بان يعيشا في البتولية مدة حياتهما فان كان بعد لم يصير[١٢] ذلك الرجل راهباً ولا تلك المراة راهبة بل ندما وتزوجا فذاك الزواج ليس بناموسي ويمكن حله وفسخه . واما اذا كان الشخص الواحد منهما عمل ذلك العهد وحده فلا ينحل ذلك الزواج اصلاً الا ان ذلك الشخص الذي عمل العهد لا يقدر ان يلتمس استحقاقه من الشخص الاخر الذي لم يعاهد في العفاف . لكن ذلك الشخص الذي لم يعمل العهد له ان يلتمس استحقاقه من ذلك الشخص الذي عمل العهد ويحتاج ذلك[١٣] ان يعطيه ملتمسه . تنبيه اعلم ان اولئك الذين عاهدوا الله ونذروا[١٤] على انفسهم ان يحفظوا ذواتهم ويصونوها

١) ب بقول والوثيق .
٢) ج نرد ب نورد .
٣) ج مختصرة .
٤) ب ج وجيزة .
٥) ب ج وذاك .
٦) ب الامراة .
٧) ب يزوجوه .
٨) ب اسقطها .
٩) ج اسقطها .
١٠) ب امراة .
١١) ب اسقطها .
١٢) ح يصر .
١٣) ب ذاك .
١٤) ب ح نذدوا .

من اللذة الجسدانية . ثم نكثوا بعد ذلك[١] ولم يحفظوا ما عاهدوا به فالمجمع الرابع يفرزهم في القانون السادس عشر كالعصاة المارقين . ويولس الرسول يقول عن مثل هولاء انهم رفضوا ايمانهم الاول . المانع الرابع القرابة . اعني ان تزوج احد قرابته . ولم يحفظ درجات القرابة التي امرت بها الكنيسة . المانع الخامس اذا كان الرجل مزوجاً امراة ناموسية او امراة مزوجة رجلاً ناموسياً . ويمضي احدهما الى بلدة اخرى يكون مجهولاً فيها فيتزوج . المانع السادس اذا كان رجل غير معمد[٢] وتزوج امراة مسيحية معمدة او امراة غير معمدة تزوجت[٣] رجلاً مسيحياً معمداً وهذا يمنع الزواج من ان يصير واذا صار يمكن حله وفسخه على كل حال لا محالة لانه لا يجوز جمع المعمد مع الغير المعمدة ولا المعمدة[٤] مع الغير المعمد لكيلا يصير[٥] اولاد المسيحي كفرة[٦] بلا ايمان . واما اذا كان الشخصان معمدين ومعترفين بالثالوث الاقدس غير ان احدهما اراطيقي فزيجتهما شرعية لا يجوز حلها ولا فسخها اصلاً . واما اذا كان الشخص الواحد كافراً والاخر مؤمناً ويتفقان بان يمكثا بعضهما مع بعض على نية ما يقوله بولس الرسول ان المؤمن يجتذب الكافر الى الايمان فيمكن مكثهما بعضهما مع بعض واما اذا لم يتفقا يلزم افتراق بعضهما من[٧] بعض وذلك[٨] يأخذ غيرها . وتلك تأخذ[٩] غيره على[١٠] ما يقوله بولس الرسول نفسه هكذا[١١] ان كان الذي لا يؤمن يريد الفرقة فلتفارقه لان الاخ او الاخت ليس بلزوم للعبودية في هذا . المانع السابع . اذا كان رجل فسق بامراة غيره ثم اخيراً قتل زوجها الناموسي وتزوجها ليتمكن منها بالكلية فهذا لا يجوز له ان يتزوج تلك المراة التي كان يفسق[١٢] بها في حياة زوجها . واذا تزوجها فزواجه هذا خارج الناموس ويمكن حله وفسخه لا محالة . المانع الثامن ان تزوج احد[١٣] كرهاً وجبراً من غير ارادته بل التزم بذلك من احد المردة الظالمين[١٤] وذوي

١) ج اسقط بعد ذلك . ٢) ب معتمد . ٣) ج وتزوجت .
٤) ب المتمدة . ٥) ج تصير ب يصيروا . ٦) ج ح كفرا .
٧) ب ح مع . ٨) ج ذلك . ٩) ج اسقطها . ١٠) ب وعلى .
١١) ج اسقطها . ١٢) ب فسق . ١٣) ب أحداً . ١٤) ب المتصبين .

السطوة خوفاً من ان يقتلوه . المانع التاسع ان كان احد من اصحاب الدرجات الكهنوتية نذر وعاهد الله لما تشرطن ايبودياكنًا او شماساً انجيليًا او قسيساً انه لا يتزوج اصلًا فهذا لا يقدر بعدها ان يتزوج وان تزوج فزواجه ليس بناموسي بل خطية الزنا الدايم بل انها خطية باهظة[1] تدعى فجورًا بالالهيات . المانع العاشر ان يتزوج احد ولم يحفظ درجات الشبونية التي صارت بواسطة المعمودية اي ان احدًا يتزوج من له علاقة شبونية . المانع الحادي عشر ان يتزوج احد وهو عاجز عن المجامعة من ضعف طبيعي ولهذا لا يولد له اولاد واما اذا كان ذاك الرجل معقودًا بسحر وما يشاكله من الحيل الشيطانية التي يعملها بعض من لا يخاف الله فلا ينحل ذلك الزواج ولا ينفسخ لان قوة الشيطان لا يمكنها تبقى زمانًا طويلًا . وان كان احيانًا يبطي ذاك السحر لسبب من الاسباب . اما لموت[2] الذي عقده من غير ان يفكه وان ذاك السحر معمول للدوام وقد[3] مضى[4] عليه زمان[5] كثير ولم ينحل . فالكنيسة لها النظر والحكم في[6] ذلك . واما الذي يكون عاجزًا من تلقا ضعف طبيعي عن المجامعة فليتوقف له ثلث سنين وبعد انقضا مدة الثلث سنين يمكن افتراق المرأة عنه ولها ان تتزوج غيره وهذا مفوض لرأي الاسقف وارادته . وان كان الرجل يعرف زوجته ولو لم يأته منها اولاد فلا يجوز حل ذاك الزواج ولا فسخه البتة . وان كانت المرأة تعطي زوجها احيانًا اذنًا لان يصير راهبًا فلا تقدر[7] تلك المرأة على ان تتزوج غيره بحال من الاحوال اصلًا ما دام زوجها في الحياة[8] ولو كان راهبًا بل فلتمكث بلا رجل او انها[9] تصير راهبة ايضًا ولاجل ذلك يقول بولس الرسول[10] هكذا[11] ان كنت يا هذا مقيدًا بزوجة فلا تطلبن فرقتها . وان كنت خلوًا من زوجة فلا تطلبن زوجة . ومن يعمل خلاف هذا فانه يقيم دائمًا في الخطية المميتة . المانع الثاني عشر ان كان يفسخ احد المتزوجين عقد الزواج[12] الشرعي تعديًا ويتزوج شخصًا اخر فذاك الزواج ليس بناموسي

١) ج باهضة . ٢) ج الموت . ٣) ج اسقطها . ٤) ج ومضى .
٥) ب زمانًا . ٦) ج بذلك . ٧) ج يقدر . ٨) ج حيًا .
٩) ب ج واما . ١٠) ب اسقطها . ١١) ج اسقطها . ١٢) ب الزيجة .

بل هو فسق ظاهر وزنا محض وقد ينبغي لكل رجل اتى[١] بلدة وهو فيها مجهول ويريد ان يتزوج في تلك البلدة فلا يكلله الكاهن ما لم يستفحص عنه بقدر الامكان حذرًا من ان[٢] يكون مزوجاً في بلدته . وان كان لا يتحقق امره كما ينبغي فلا يكلله لاجل هـذه العادة الواجبة المستحسنة يلزم الكاهن قبل ان يصير الاكليل باحدين او ثلثة ان ينادي في كل احد في القداس قدام الشعب عن ذلك الزواج ان كان احد يعرف ان فيه مانعاً من الموانع الشرعية فليعلم به الكاهن والاكليل[٣] ينبغي ان يصير في الكنيسة بعد القداس كما يفسره الافخولوجيون . ومن[٤] الواجب والمستحب[٥] والمستحسن ان العريس والعروس يعترفان ويتقربان قبل الاكليل ليكونا موجودين في نعمة الله ليعطيها[٦] الله تلك النعمة التي يسديها في سر الزيجة هذا بالترويج الناموسي . لان هذا السر يدعي سر الاحيا . ايضاً . والواجب على من يتناوله ان يكون معترفاً وحيًّا في نعمة الله تعالى وايضاً[٧] ان تلك الايام التي تمنع الكنيسة ان تصير[٨] فيها الزيجات لا يجوز ان يصير[٩] فيها اكليل الزيجة .. ولكن مع هذا اذا صار فيها زواج فهو ناموسي ولا يجوز حله ولا فسخه اصلاً غير انه يلزم تأديب ذلك الكاهن الذي كلل[١٠] في تلك الايام الممنوعة حسب العادة الكنايسية تأديباً كنايسيًّا والايام الممنوعة هي الصوم الكبير المقدس وصوم الميلاد وصوم السيدة الكلية القداسة[١١] وصوم الرسل القديسين . حاشية[١٢]

اعلم ان منع عقد الزواج في الاربعة الاصوام المذكورة هي عادة جارية في بلاد الروم ويباح فيما عداها من الايام . واما في[١٣] البلاد الغربية الكنيسة تمنع عقد الزواج فيما عداها من الايام[١٤] في الصوم الكبير وصوم السيدة وتبيح عقده في صوم الميلاد وصوم الرسل ثم تمنع ايضاً في الاثنا[١٥] عشر يوماً التي من عيد الميلاد الى عيد الظهور الالهي وفي سبة الفصح وسبة العنصرة وقد يجب حفظ العادة في كل اقليم على ما هي جارية من القديم[١٦] »

١) ب يزيد الى . ٢) ح انه . ٣) ج اسقط الواو . ٤) ج اسقط الواو .
٥) ج اسقطها . ٦) ب ليعطيها . ٧) ج اسقط الواو . ٨) ب ج يصير .
٩) ب تصير . ١٠) ح ب اسقطها . ١١) ج اسقط صوم الميلاد وصوم السيدة الكلية القداسة . ١٢) ج يقول تنبيه . ١٣) ج اسقطها .
١٤) ح اسقط فيما عداها من الايام . ١٥) ح الاثنتا . ١٦) ج يزيد انتهى .

نزوح الامير بشير الى مصر

في سنة ١٨٢٢

بقلم الاستاذ ميشال شبلي

« يظهر قريباً في عالم الطباعة مؤلف باللغة الافرنسية بقلم الاستاذ ميشال شبلي عن تاريخ لبنان من سنة ١٦٣٥ حتى سنة ١٨٤١ اي منذ نهاية عهد فخر الدين معن حتى زوال حكم الشهابيين .

وقد شاء المؤلف ان يلخص لنا باللغة العربية هذه الصفحة من كتابه : »

ونشب النزاع في تلك السنة (١٨٢٢) بين عبدالله باشا الخازندار حاكم عكا وبين درويش باشا حاكم الشام .

وقد كانت الاقطار العثمانية الفت مثل هذه المنازعات بين الحكام تدفع اليها المطامع والفوضى وضعف السلطة المركزية التي لم يكن لها من هم سوى استدرار المال بارهاق الشعوب الخاضعة لها .

اما في هذا النزاع فان التاريخ يروي له سبباً مباشراً يدعو للدهشة . فهو قد اثاره صيارف يهود انتقاماً . وحكاية ذلك هي ان عبدالله وكان فتى نزقاً تسنم الحكم في عكا في سنة ١٨١٩ وهو لم يتجاوز الثانية والعشرين من سنيه بمعاضدة « المعلم حاييم اليهودي » وكان هذا يدير خزنة عكا منذ عهد الجزار .

ولما بلغ عبدالله اربه كافأ المعلم حاييم بان خنقه ورمى جثته في البحر دون ما ذنب اقترفه .

وكان للمعلم حاييم اقارب في دمشق هم الصيارف سلمون ورافايل من عائلة فارحي فاضمروا لعبدالله الانتقام . وكان هذان من ذوي النفوذ بسبب وفرة مالهم يكتسبون به من يشاؤون من رجال الدولة وقد رووا عن مبلغ نفوذهم انه لما اراد احد رجال الدولة ارهاقهم ضبط دفاترهم وارسلها الى الاستانة لاجل فحص قيودها ولكن ما لبث ان اعيدت اليهم دون اي ارهاق. ويمكننا

تفسير ذلك اما بصحة قيودها واما بكون المدققين لم يفهموا منها شيئاً واما على الارجح بان الرشوة لعبت دورها التقليدي لدى الحكام .

وقد استخدم سلمون ورافايل درويش باشا اداة لانتقامهم من باشا عكا وحماوه على محاربته وتجريد قوى الدولة عليه .

وكان على درويش ان يأمن اولاً جانب الامير بشير في حربه هذه وهو يعلم ان بشيراً تربطه بعبدالله رابطة صداقة وتحالف . فحاول اولاً تهديد بشير وارهابه بالاعتداء على قرى البقاع ولكن بشير جابهه بالقوة وبعد ان اوعز الى اهل البقاع بان يرحلوا الى قرى الجبل والى زحله ارسل ابنه الامير خليل على رأس رجاله فطرد المعتدين واسر عسكراً من الاكراد .

اما درويش فالقى القبض على اهالي الجبل الموجودين في الشام وارسل يخابر بشيراً بالمصالحة على الشروط الآتية :

١ً — رفع الضبط عن قرى اللبنانيين في البقاع على ان يكون الحاكم فيه « من تحت امر الامير كما كان قديماً » .

٢ً — يكون حكم وادي التيم للامير من آل شهاب وحكم بلاد بعلبك للامير من آل حرفوش يختارهما بشير .

وكل ذلك بغية ان يظهر بشير عدم تضامنه مع باشا عكا .

ولكن بشير كان يعتقد بقوة هذا الاخير وكان قد بنى سياسته على موالاة حاكم عكا بعد ما ذاق الامرين من معاداة الجزار فولى وجهه شطر عكا .

وكان درويش يدرك صعوبة النيل من بشير في عرينه جبل لبنان وقد التف حوله الحزب الجنبلاطي واخلص له الامراء اللمعيون فضلاً عن مؤازرة الموارنة . اجل ان الحزب اليزبكي يرئسه آل عماد كان قليل الولاء للامير يعاضده بعض الامراء الشهابيين مثل فارس وسلمان ولدي سيد احمد وحسن ابن الامير اسعد وهم من ابناء عمومة بشير الذين يطمحون بالحكم ويزاحمون عليه . فارتأى درويش ان يستميلهم فقصدوا اليه وعين الامير فارس على حكومة وادي التيم وهي الطريق المؤدية الى عكا .

فاثار هذا التصرف قلق بشير واثار على الاخص قلق عبدالله الذي ارسل

عساكره لاحتلال راشيا . وقد خاطبهم بهذه الرسالة التي نقلها الينا حيدر في مؤلفه وهي تدل على اللغة التي كان يستعملها الولاة آنئذٍ . ومنها:

« ماذا يكون هذا الكلب الذي في راشيا حتى يقف قدامكم هـذا الموقف . . . فما مضى مضى واضربوا راشيا بفرد راس . . . » الخ .

ولكن عساكر عبدالله باءت بالفشل في هذه الدورة الاولى من المعركة وقد ترك لنا الشدياق وصف انكسار عبدالله فيها قال :

« حينئذ همهمت الفرسان واطلقوا العنان وزمجرت الشجعان واصطدم الجحفلان وانصب على الفريقين الرصاص كالبرد ونعب غراب الحين الذي لم يكن له متلد وجردت السيوف اللمع وشرعت الذوابل الطلع ونصب عثير الدخان عليهم سرادق وخيلت ضوضاؤهم اصوات صواعق وما زالت ريح الحرب تهب السموم وتعطل نار السوم حتى استظهر الاميران (فارس وسلمان سيد احمد) على عسكر عكا . . . »

اما بشير فلما بلغه ذلك اطلق التنبيه بجمع الرجال وسار على رأس اربعة آلاف مقاتل قاصداً راشيا . « فتيقن عسكر الشام ان ليس له قدرة على القتال وعرض على الامير ان يقوم من راشيا بدون معارضة . فقبل الامير بذلك . ولما عادت العساكر الى الشام مخذولة صارت رجه وخوف عظيم وعزلوا جميع قرى الشام لداخل المدينة حتى الصالحيه والميدان . . . . » وقد روى الشدياق ان درويش استشاط غيظاً من هذا الاستسلام وشتم قادة عساكره وطرد الامراء اللبنانيين وزعماء الحزب اليزبكي من معسكره .

فازداد يقين درويش باشا بصعوبة النيل من عبدالله باشا ما دامت مؤازرة بشير له مستمرة وطريق لبنان موصدة دون زحفه . فاختار الوصول الى عكا عن طريق نابلس ووجه اليها قواته بقيادة كاخيته فيزو باشا . وحسب الامير منزلته فاخذ يفاوضه مجدداً للوقوف على الحياد لان « الدولة وجهت عليه (على درويش) ولاية عكا . . . » ثم ارسل اليه مع اسكندر كاتب رسالة « ليكون مطمأن البال وكل ما يطلبه منه يصير حسب ارادته حيث انه يتمكن في محله ولا يبدو منه اسعاف الى عبدالله » ولكن بشير كان قد عزم على ربط مقدراته بمقدرات حليفه في عكا فاعاد رسول درويش بدون جواب بل كان جوابه ارسال رجاله بقيادة ابنه خليل لمعاونة عبدالله فرابطوا على جسر بنات يعقوب .

لقد اخطأ بشير في موقفه هذا لان خطة الحياد التي سار عليها سابقاً في سياسته خصوصاً عند زحف بونابرت على عكا كانت الخطة المثلى للبنان كل ما استطاع سلوكها .

نعم ان الامير تظاهر مع عبدالله حفظاً للعهد الذي قطعه ولكنه كان يعلم ان الحكمة تقضي بعدم التورط في محاربة درويش اذا عزمت الدولة على معاضدته . فذهب الى عكا لمقابلة عبدالله « ودخل المدينة في غراضه وعز عظيم وتوسَّت له المدافع والابراج » وهناك يقول حيدر نصح الامير خليفه « بعدم الزحف على الشام لانها باب الكعبة » بل كان مرامه من هذا كما قلنا نصح عبدالله بعدم التهور ضد الدولة .

عندئذ دفع الغرور عبدالله الى عمل ندر وقوعه في التاريخ وقد يكون اقدم عليه لاجل حمل بشير على المحاربة في صفوفه ذلك انه «زور فرماناً سلطانياً باسناد حكم الشام اليه» وهو عمل يدل على غرور ذلك الشاب من جهة وعلى الفوضى في امور الدولة العثمانية آنئذ وسقوط هيبتها وارتباك امورها .

وبعد ان « اختلى الامير بشير بالوزير عبدالله نحو ثلاث ساعات » خرج الامير من عكا في مقدمة رجاله ورجال عكا وزحف على الشام عن طريق جسر بنات يعقوب وكان ذلك في ربيع سنة ١٨٢٢

اما عساكر الشام فخرجت وتحصنت في محلة المزه واجابت على محاصرة بشير باطلاق المدافع والزمبركات عندئذ شدد الامير الحصار من كل جانب واختار من رجاله نحو الالفين هجم معهم « هجمة واحدة فملكوا المزة وكانت خسائر اعدائه نحوًا من ٢٥٠ قتيلًا و ٥٠٠ اسير واستولى عسكر بشير على وطاق العدو والجبخانه والمدافع وجميع الخيل ».

ولم تكن هذه المرة الوحيدة في انتصار بشير على ابواب دمشق بل اننا نعلم انه دخل المدينة فاتحاً في سنة ١٨١٠ ضد يوسف كنج باشا .

وقد كان بين الاسرى اتباع اليزبكيه من اللبنانيين فاطلق الامير سراحهم ولهذا « نسب اليهم الدمشقيون الخيانة واتهموهم بعدم محاربة مواطنيهم من اهل الجبل ... »

وبعد هذا الانتصار ارسل بشير قوة بقيادة ابنه خليل يوصد الطريق على فيزو باشا وعساكره دون العودة من نابلس فتم لخليل النصر عليهم في قرية مرجانه.

●

كانت عاقبة هذا الفوز سيئة على بشير وعلى عبدالله باشا ذلك لان درويش اعرض للباب العالي عن موقفهما فصدرت الاوامر الى باشا حلب والى باشا مرعش وسواهما للمبادرة الى اعانة درويش بقوة تجاوزت العشرين الف رجل . فلم يبق امام بشير سوى العودة من ضواحي الشام الى بتدين ينتظر الحوادث وقد يكون ادرك آنئذٍ حيلة عبدالله بتزوير الفرمان السلطاني وقد سبق السيف العذل ...

اما درويش باشا فكان عليه دائماً ان يأمن جانب امير لبنان عند زحفه على عكا ولم يكن ذلك هيناً عن طريق امتشاق الحسام فعمد الى سياسة التفريق وابعاد الزعماء عن بشير وكان ذلك اولا بمعاضدة الاميرين حسن وسلمان شهاب المطالبين بالحكم يؤازرهم الحزب اليزبكي فولاهما على لبنان ونزل بعساكره على نبع عنجر في البقاع « احتساباً على الجبل ... » — ولما كان يعلم ضعف الحزب اليزبكي سعى باستمالة الشيخ بشير جنبلاط العضد الاكبر للامير وكان ذلك بواسطة المعلمين سلمون ورافايل فارسلوا الى الشيخ الجنبلاطي «بان يوجه لهم من قبله شخصاً يعتمد عليه لكي يفهموه المتوقع فوجه لهم يوسف العكاوي وبعد مفاوضات رجع بكلام مناسب تحت بعض الشروط ...»

ذلك ان هم بشير جنبلاط كان كبيراً بتلافي سيادة الحزب اليزبكي وهو خصمه الالد . وكان الشيخ مخلصاً للامير في موقفه هذا كما كان طيلة سيرته السابقة فحاول اولا المصالحة بين الامير وباشا الشام عن يد سلمون اليهودي ودامت المراسلة بهذا الصدد شهراً. ولكن الامير « ابى ذلك لانه لا ينكث عهده مع عبدالله باشا ... » — عندئذٍ فكر الشيخ بتولية امير شهابي موالٍ للحزب الجنبلاطي اقصاءً للحزب الاخر ووقع الاختيار على الامير عباس الذي كان قد تولى الحكم اكثر من مرة في عهد الجزار.

اجل ان بشيراً قبل عن مضض هذا الحل ولكنه اضمر للشيخ الجنبلاطي الحقد الكامن من جراء موقفه هذا وقد انتقم منه بعدئذٍ الانتقام الهائل بالاعدام

كان درويش ناصباً خيامه مع عسكره في قرية المرج في سهل البقاع عندما اقبل اليه الامير عباس مع مأية خيال من رجال الشيخ جنبلاط « فسر درويش سروراً زائداً حيث انه كان فاهماً انه لا يقدر على تملك الجبل ولا على تغير الامير بشير وان ما وعده الحزب اليزبكي هو أفك وبهتان... »
ولم يكن بوسع الاميرين حسن وسلمان وكانا مقيمين في جديتا سوى الامتثال لهذا التدبير فسارا في ركاب عباس عند عوده الى الجبل « حتى مفارق الطرق فودعوه وذهب حسن الى وادي شحرور وسلمان الى الحدث ودخل عباس دير القمر حاكماً ... وقد فرح الاهالي بذلك التدبير لانهم كانوا خايفين انه اذا حكم الاميران سلمان وحسن يدخل عسكر الدولة الى البلاد ويكثر الظلم والتعدي... »
فاعرض درويش للدولة « بانه تملك جبل لبنان بالسيف وهدم قلاعه الحصينة ... » على ان جل ما فعل هو هدم قامة قب الياس التي كان قد حصنها فخر الدين ثم الشهابيون بعده ولم يدخل درويش المذكور اراضي الجبل .

اما بشير فقد كان يود البقاء في الجبل ينتهز الفرص للمقاومة كما قاوم حليفه عبدالله باشا في عكا وفاز بالنهاية . ولكن تصرف بشير جنبلاط فت في عضده فغادر الجبل واراد الاعتصام في بيروت ولكن اهل بيروت « كانوا لا يرضون تملك اهل الجبل فاوصدوا دونه الابواب واعلنوا الموالاة لدرويش باشا » .
لقد روى بعض المؤرخين ان بشير قد خابر محمد علي باشا وطلب اللجوء اليه منذ عوده من معركة المزه احتساباً للطوارئ وكان لمحمد علي اطماع ومرام في البلاد منذ زمن طويل فرحب بحضوره وبعد ان اقام بشير مع رجاله زهاء خمسة ايام في حرش بيروت استأجر في اثنائها المركب الافرنسي بواسطة التاجر اوبان لكي يقله الى مصر فأبحر اليها من ساحل خلده بتاريخ ٦ آب سنة ١٨٢٢ مع ولديه الاميرين امين وخليل وزهاء المائة من رجاله .
هذا بينا كانت عساكر الدولة تضع الحصار على عكا ذلك الحصار الذي استمر تسعة شهور وانتهى بفوز عبدالله بفضل مداخلة الامير بشير لدى محمد علي باشا . وهذا موضوع بحث آخر .

قضية مراكش واثرها في السياسة العالمية
في مطلع القرن العشرين

لمحة تاريخية

بقلم الاستاذ ن. ص.

أثيرت قضية مراكش في مطلع القرن العشرين، وحلت بين الدول الكبرى بسلسلة من الاتفاقات والمعاهدات، بدأت بالاتفاق الافرنسي — الانكليزي في نيسان عام ١٩٠٤ واختتمت بمعاهدة فرساي في حزيران ١٩١٩ وقد كان الباعث العميق الى اثارتها وحلها على الشكل الذي نعرفه اليوم، ان الدول الغربية الكبرى — انكلترا وفرنسة والمانيا — بعد ان استكملت جهازها الصناعي في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، جدت في التسابق الى منابع المواد الاولية في سائر انحاء العالم، وفتح اسواق واسعة لتصريف منتوجاتها الصناعية وتوظيف رساميلها الضخمة، واحتلال مراكز ستراتيجية تمكنها من المحافظة على ممتلكاتها وتضمن سهولة الدفاع عنها عند الاقتضاء. وما كانت مراكش، وارضها تزخر بالثروات المعدنية والكيماوية والزراعية، وشواطئها تنبسط تجاه جبل طارق، على مئات من الاميال، واصلة البحر المتوسط بالمحيط الاطلسي، الا لتسترعي انتباه الدول الكبرى وتوقظ مطامعها. فانكلترا، وقد مدت شبكتها الامبراطورية على جبل طارق وجزيرتي مالطه وقبرص، وعلى مصر والسويس، وعلى بلدان عديدة من افريقيا الشرقية والجنوبية والغربية، وجزر في المحيط الهندي والمحيط الباسيفيكي وبرما وغيرها من البلدان؛ وفرنسة، وقد احتلت تونس بعد الجزائر، والكونغو، والسنغال، ومدغسكر، والهند الصينية؛ والمانيا، وقد توصلت الى غربي افريقيا واواسطها، والى الشرق الاقصى ومحيط الباسفيك، مستولية على كل جزيرة

وكل منطقة نجت من الاحتلال الانكليزي او الفرنسي ؟ كل هـذه الدول الاوروبية الغربية – حتى ايطاليـا الحديثة العهد بالاستعمار ، واسبانيا التي لم تنطفئ شعلة طموحها بعد – كانت تنظر الى بلاد الغرب بيقظة وانتباه .

غير ان فرنسة كانت تفوق جميع هذه الدول اهتماماً بمراكش . فلها تونس والجزائر على المتوسط ، ولها ، على الكونغو والنيجر ، نواة امبراطورية واسعة ، لو اتصلت بالمتلكات الشمالية ، لالفت كتلة قوية لا يضارعها ، في جميع انحاء الارض ، من حيث المناعة والثروة ، سوى بلاد الهند ، دعامة الامبراطورية البريطانية ومصدر عزها وازدهارها .

فعملت فرنسة على تذليل الصعاب . والصعاب لم تكن قائمة في مراكش نفسها ، وسلطانها مشغول عن تدبير امور رعيته بالبذخ واللهو ، وقواها ضئيلة لا يقام لها وزن ، وشعبها مقسم ممزق مفكك ، لم تنبعث بعد روح العصبية القومية فيه . افلم يتقيد السلطان بقروض مالية ضخمة خيل اليه انه انتزعها من باريز عقيب توقيع اتفاق بينه وبين الحكومة الفرنسية (٢٠ تموز ١٩٠١) ، وهي في الواقع اعباء تثقل كاهله وقيود تكبل يديه ؟ ام هل حرك الشعب ساكناً يوم اغارت على بلاده ، في عام ١٩٠٢ ، فرق الكولونيل ليوتي (Lyautey) ، منطلقة من الجزائر بحجة حماية الرعايا الاوروبيين وتأمين الامن ، فاحتلت واحات كثيرة ، ونثرت المخافر والثكنات عبر الحدود ، تمهيداً لحملة عسكرية مقبلة ؟

لم تقم الصعاب في مراكش بل في اوروبة ، واوروبة وحدها ، في تصارع المطامع الاستعمارية وتعديل كفة التوازن الدولي .

وقد وجه الفرنسيون اهتمامهم ، في بدء الامر ، الى التحالف مع ايطاليا واسبانيا ، متجنبين مجابهة الخصمين الكبيرين : الانكليزي والالماني . فعقدوا مع الحكومة الايطالية اتفاقاً سرياً في كانون الاول عام ١٩٠٠ ، اعترفت فيه ايطاليا ، « بمصالح خاصة » لفرنسة في مراكش ، واعترفت فرنسة « بمصالح ايطاليا الخاصة » في طرابلس الغرب . ثم فاوضوا مدريد سراً على اساس تقسيم مراكش الى منطقتي نفوذ ، واحدة منهـا لاسبانيا ، وهي تتألف من مدينة فاس والمقاطعات الشمالية ، والثانية لفرنسة ، وهي تشمل جميع المناطق الاخرى .

فتسربت اخبار المفاوضات الى لندن ، ولم يرضَ الانكليز ان تجرى الصفقة بدون ان يشتركوا بها ، فاوعزوا الى الاسبانيين ان يتخلوا عنها فتخلوا .

فلم يكن بد للحكومة الفرنسية ، في هذه الاحوال ، من ان تبحث الامر صراحة مع حكومة لندن . وكان الظرف مؤاتياً اذ ذاك . فانكلترا ، وهي الحريصة منذ وجدت على تأمين التوازن الاوروبي – اي على ايجاد قوى متعادلة متنافسة في اوروبة ، لا تستطيع واحدة منها ان تطغي على الاخرى ولا ان توحد القارة الاوروبية في وجه الجزر البريطانية – اخذت تنظر بقلق ، منذ السنوات الاخيرة للقرن التاسع عشر ، الى انتشار النفوذ الالماني وازدياد القوة الالمانية في الميادين السياسية والعسكرية والاقتصادية معاً . وضاعف قلقها ان المانيا اخذت تباشر تأسيس امبراطورية جديدة ما وراء البحار ، وتبني اسطولاً حديثاً وتزاحم التجارة الانكليزية في اسواق العالم قاطبة ، حتى في الاسواق التي كانت تعتبر من قبل معقل التجارة الانكليزية الحصين .

فكان محتماً ان تسعى انكلترا الى معاضدة فرنسة وشد ازرها وتشجيعها على الصمود في وجه التوسع الجرماني . وقد اثبتت الاتفاقات المعقودة في لندن في ١٨٩٦ و ١٨٩٨ و ١٨٩٩ ، وهي اتفاقات حددت فيها مناطق النفوذ في افريقيا الوسطى والمحيط الهندي ، ان مصالح الامبراطوريتين الفرنسية والانكليزية قابلة للتسوية والتوفيق . فجرت المباحثات في لندن وباريس ، في عام ١٩٠٢ والعامين التاليين ، بقصد تسوية المشاكل الامبراطورية المعلقة والتمهيد ، من وراء ذلك ، الى عقد تحالف سياسي عام . وساهم في انجاح المفاوضات مساهمة فعالة رجال من اصحاب النفوذ الواسع ، كالملك ادوارد السابع واللورد كرومر في انكلترا والوزير دلكسيه (Delcassé) والسفير بول كامبون (Paul Cambon) في فرنسة ، كانوا من المؤمنين ايماناً راسخاً بضرورة التحالف بين البلدين لخدمة مصالحهما المشتركة . فذللت العقبات بعد جهد طويل ووقعت الاتفاقات في ٨ نيسان ١٩٠٤ ، وكان توقيعها فاتحة عهد جديد في السياسة الاوروبية والامبراطورية معاً ، عهد طبع بطابع «التفاهم القلبي» (Entente cordiale) بين انكلترا وفرنسة .

واتفاقات ١٩٠٤ تحل جميع المشاكل الامبراطورية بين البلدين : في الهند

الصينية ومدغسكر وغيرهما من البلدان والجزر التي تعتبر قواعد الامبراطوريتين في العالم ، وعلى الاخص في مصر ومراكش ، وقد ربطت قضيتا مصر ومراكش ربطاً وثيقاً وجرت تسويتها في ميثاق واحد ، تنص بعض مواده على اعتراف فرنسة بالنفوذ الانكليزي في مصر ، وينص البعض الاخر على اعتراف انكلترا بالنفوذ الفرنسي في مراكش . والنفوذ الفرنسي معناه ان انكلترا تعترف لفرنسة بحق التدخل في مراكش لتأمين الامن والمساهمة في تحقيق « الاصلاح » في الادارة والمالية والتنظيم العسكري . على ان الدولتين المتعاقدتين اعلنتا عن رغبتهما في احترام « استقلال » البلاد « وسيادتها » . اما ما كانت تضمرانه لها ، وقد اتفقتا عليه في ملحق سري ، فان تطلق يد فرنسة في احتلال مراكش وحمايتها اذا « اضطرتها الظروف » الى ذلك ، على ان تترك لاسبانيا منطقة نفوذ خاصة في الجهة الشمالية المقابلة لجبل طارق . وهذا الشرط الاخير موافق للمصالح الانكليزية . فما كانت انكلترا لتقبل بان تحتل دولة كبيرة كفرنسة منطقة قريبة من جبل طارق ، تمكنها من تهديد الحصن الانكليزي الشهير في حالة وقوع خلاف بين الدولتين .

وما كاد التفاهم يتم بين انكلترا وفرنسة ، حتى استؤنفت المفاوضات مع مدريد وادت الى عقد اتفاق فرنسي اسباني في ٣ تشرين الاول ١٩٠٤ ، على تحديد منطقتي النفوذ في مراكش وفقاً لاتفاقات نيسان ١٩٠٤

ولم يبقَ الا ان توافق المانيا على ما تمّ . وكيف توافق عليه ، وهي تعلم ان التفاهم بين انكلترا وفرنسة على قضايا المستعمرات ، انما هو مظهر من مظاهر سياسة « التطويق » التي يسعى جيرانها الى تحقيقها ؟ فمن جهة ترى تحالفاً فرنسياً روسياً وثيقاً ، عقد في الاعوام الثلاثة الاخيرة من القرن التاسع عشر ، ومن جهة ثانية « تفاهماً قلبياً » بين فرنسة وانكلترا مبنياً على اساس متين . فسعت المانيا الى تصديع كلتا الجبهتين . واخذت تضرب تارة الى يمين وتارة الى يسار ، ضربات عنيفة هوجاء ، احدثت دوياً هائلاً في العالم ، غير انها لم تصب الموقع الحساس ، وآبت في النهاية بفشل ذريع .

سددت الضربة الاولى الى التحالف الانكليزي الفرنسي قبيل توقيعه بايام

قليلة . وخيل الى رئيس الحكومة الالمانية ، البرنس دي بيلوف (Bülow) ان صلب هذا التحالف قضية مراكش ، فاذا تمكن من احراج موقف فرنسة وزجها في مشاكل معقدة في المغرب ، فلا شك ان انكلترا تتخلى عنهـا ، فتغضب فرنسة ، فينحل التفاهم .

وكانت فرنسة ، على اثر تعاقدها مع انكلترا واسبانيا ، قد اسرعت في إرسال بعثة الى فاس ، في تشرين الثاني ١٩٠٤ ، لحمل السلطان عبد العزيز على التعهد ببعض « الاصلاحات » في شؤون الادارة والمـال والجيش . فاوعزت الحكومة الالمـانية الى ممثليـا القنصليين بان يحملوا السلطان على الرفض ، وينادوا بوجوب احترام سيادة البلاد ، ويثيروا حركة مقاومة شاملة في وجـه التدخل الفرنسي .ووافق ان الامبراطور غليوم الثاني كان في تلك الاثنا. يقوم بجولة في البحر المتوسط على يخته الخاص . فاقنعه « بيلوف » بان يزور مدينة طنجه زيارة رسمية ، ويعلن فيها بشكل حازم ان المانيـا ستصون مصالحها في مراكش وانها تعتبر السلطان سيدًا حرًا لا يجوز التعدي على حقوقه . فتمت الزيارة في ٣١ اذار ١٩٠٥ . وزدد الامبراطور بلهجة غاضبة صاخبة ما كان قد املاه عليه وزيره فاحدث تدخله على هذا الشكل العنيف ضجة عظيمة في جميع انحاء العالم .

وعبثاً حاول دلكسيه وزير خارجية فرنسة ان يسوي المشكلة بهدوء . فعرض على الحكومة الالمانية ، في نيسان ١٩٠٥ ، ثلاث مرات متوالية ، ان تدخل في مفاوضات ثنائية بشأن مراكش . فكان يجاب طلبه بالرفض في كل مرة . اذ ان غاية الحكومة الالمانية كانت ان تعقد القضية لا ان تمهد حلها ، وان تعرضها على مؤتمر دولي عام تتصدى فيه مباشرة للسياسة الفرنسية فتقلم اظافرها وتفصل ما بينها وبين حليفتها الجديدة انكلترا . ومـا طال الامر بالسياسة الالمانية حتى احرزت فوزًا باهرًا هزت به المحافل السياسية الفرنسية هزًا . فتدخلت رسمياً في السياسة الداخلية في فرنسة ، وطلبت في ٢٠ ايار ١٩٠٥ اقالة وزير الخارجية « دلكسيه » بحجة ان بقـاءه في الحكم يحول دون تقرب وجهتي النظر بين الحكومتـين . فكان لها ما ارادت وذهب

« دلكسيه » في ٦ حزيران ١٩٠٥ وتولى المفاوضات بعده رئيس مجلس الوزراء روفيه (Rouvier) ، وهو رجل ضيف الثقة بانكلترا ، حريص على التفاهم مع المانيا خوفاً من نشوب الحرب . وفي اليوم نفسه ، كشفت الحكومة الالمانية عن حقيقة نياتها ، ودعت الى مؤتمر عالمي عام للنظر في مشكلة مراكش ، واتبعت هذا الاقتراح بتهديدات صريحة موجهة الى فرنسة، فاذعنت الحكومة الفرنسية في اول تموز ١٩٠٦ ، وقبلت بانعقاد المؤتمر .

وسنحت في الشهر نفسه فرصة فريدة لالمانيا ضربت فيها ضربتها الثانية، متعمدة هذه المرة تصديع الجبهة الروسية — الفرنسية وتوحيد القوى السياسية في اوروبة في ظل النفوذ الالماني . ففي ٢٣ تموز اجتمع غليوم الثاني امبراطور المانيا في مدينة «بيوركي» (Bjorkë) في فنلندا بنيقولا الثاني امبراطور الروس ، واقنعه بان يوقع سراً معاهدة تحالف روسي - الماني دون ان يستشير احداً من اعضاء حكومته . فوقع القيصر الوثيقة المعروضة عليه ، وهي تتضمن تعهداً بالتعاون المتبادل في حالة اشتراك احد الطرفين في حرب دفاعية ، ووعداً من قبل روسيا باشراك فرنسة في الحلف الجديد . واصبحت خطة المانيا بعد ذلك ، ان تتساهل مع فرنسة في قضية مراكش ، وتثبت لها «حسن نيتها» ، ليتسنى لها اجتذابها الى الحلف الروسي — الالماني . فتساهلت بالفعل ، وعقدت اتفاقاً مع الحكومة الفرنسية ، في ٢٨ ايلول ١٩٠٥ حددت فيه صلاحيات المؤتمر الدولي ، فحصرتها بشؤون اقتصادية ومالية وادارية صرفة ، دون ان تتعرض الى جوهر القضية ، الى الوضع السياسي الخارجي .

وما من شك في ان الخطة الالمانية ، لو كتب لها النجاح ، لكانت بدلت وجه اوروبة والعالم . ولكنها لم تعمر سوى اربعة اشهر . ففي ٢٣ تشرين الثاني طلب القيصر ان يعاد النظر في المعاهدة السرية ورفض التخلي عن التحالف الفرنسي . فانهارت مشاريع السياسة الالمانية دفعة واحدة وتبدل موقف المانيا فجأة من فرنسة . فبعد ان كانت قد اغرقت في التساهل ، طمعاً منها باجتذاب جارتها الى الحظيرة الالمانية ، عادت الى الوعيد والتهديد . وعقد رجال حكومتها المسؤولون اجتماعاً في ٢٣ كانون الاول ١٩٠٥ ، قرروا فيه ان يسعوا بشتى

الوسائل الى قهر فرنسة سياسياً في المؤتمر الدولي ، حتى ولو جرهم ذلك الى الدخول بنزاع مسلح ضدها .

وافتتح المؤتمر اعماله في « الجزيرة » واشتركت فيه معظم دول الارض بما فيها الولايات المتحدة الاميركية . ويجدر تخصيص الولايات المتحدة بالذكر لانها لعبت دوراً هاماً لم تكن المانيا تتوقعه على ما يظهر ، عندما رسمت خططها واعدت عدتها للدخول في المعترك . فقد اخذت الولايات المتحدة بناصر فرنسة ، مشاركة انكلترا مشاركة فعالة في تفنيد المقترحات الالمانية والعمل على اسقاطها . ففازت وجهة النظر الفرنسية باستمرار في جميع القضايا الهامة ، وعلى الاخص في قضية تنظيم قوى الامن في مراكش ، واعترف المؤتمر لفرنسة واسبانيا وحدهما — دون الدول الصغرى كما كانت تود المانيا — بحق الاشراف على تنظيم هذه القوى وقيادتها . وانفض المؤتمر بعد مناقشات طويلة ادت الى « ميثاق الجزيرة » في ٧ نيسان سنة ١٩٠٦ ، وهو ميثاق تاريخي خطير سجل انتصار المصالح الفرنسية ، ومتانة « التفاهم القلبي » وخذلان المناورات الالمانية .

على ان فرنسة ، بالرغم من انها صمدت في وجه العاصفة وحافظت على مركزها السابق ، لم تفز بكل ما كانت تتمناه في البدء اي بموافقة المانيا على اطلاق يدها في مراكش بدون قيد ولا شرط . فالمؤتمر لم يسمح لها الا بالتدخل ولم يجز ما اجازه الاتفاقان السريان المعقودان سابقاً مع انكلترا واسبانيا ، من « تعديل للوضع الخارجي » ، واقتسام للارض ، وامكان احتلال وحماية دائمين .

وبقيت المسألة معلّقة بين فرنسة والمانيا خمس سنوات اخرى ، كثر فيها الاخذ والرد . فبعد ان ارتضت المانيا عقد اتفاق اقتصادي في ٩ شباط سنة ١٩٠٩ يشركها في استثمار اقتصاديات مراكش ، عادت مجدداً الى سياسة التهويل في صيف عام ١٩١١ . وكانت المناسبة ان قامت ثورة في مراكش في ربيع تلك السنة وادت الى حصار فاس فاعتبرت فرنسة نفسها مسؤولة عن المحافظة على الامن وحماية الرعايا الاوروبيين المحاصرين في العاصمة المراكشية ، وارسلت فرقاً مسلحة في ايار ، اخترقت الحدود ووضعت حداً للاضطرابات . فثارت ثائرة

المانيا ، واتهمت فرنسة بخرق الميثاق الدولي ، وارسلت باخرة حربية رابطت في مرفأ اغادير في اول تموز ١٩١١ . وكانت ترمي من وراء ذلك كله الى اكراه فرنسة على الدخول بمفاوضات جديدة تخرج منها المانيا بارباح سياسية وتكسب مناطق نفوذ جديدة في الاراضي المجاورة للمستعمرات الفرنسية في افريقيا الغربية . فبدأت المفاوضات في منتصف تموز ، وكشفت المانيا عن حقيقة ما تضمر ، فطالبت لقاء اطلاقها يد الفرنسيين اطلاقاً تاماً في مراكش ، ان تعطى الكونغو الفرنسي برمته ومناطق اخرى تمكنها من احتلال اواسط افريقيا باجمعها ، من الغرب الى الشرق ، فتفصل بين الممتلكات البريطانية في الشمال والجنوب وتصل ما بين الاطلسي والمحيط الهندي . فتدخل الانكليز عند ذاك تدخلًا فعالًا ، واوعزوا الى اسطولهم الحربي ان يتأهب للقتال ، فتراجعت المانيا عن قسم كبير من مطاليبها ورضيت بربح يسير في مستعمراتها ، فوسعت الحدود في ناحية ، ونالت منفذًا الى البحر في ناحية ثانية ووقعت في ٤ تشرين الثاني ١٩١١ عهدًا باطلاق يد الفرنسيين في مراكش ، واعترفت لهم سرًا بحق فرض «حمايتهم» على البلاد .

فكان للسياسة الفرنسية ما ارادت ولم يبق لها ، بعد ان فازت بموافقة ايطاليا (كانون الاول ١٩٠٠) ، وانكلترا (٤ نيسان ١٩٠٤) ، واسبانيا (٣ تشرين الاول ١٩٠٤) ، والمانيا (٤ تشرين الثاني ١٩١١) سوى ان تفرض حمايتها صراحة ، فحملت سلطان مراكش على توقيع معاهدة الحماية في ٣٠ اذار ١٩١٢ . ثم اعادت النظر في علاقاتها مع ايطاليا واسبانيا ، فعقدت مع الاولى معاهدة جديدة في ٢٨ تشرين الاول ١٩١٢ تنازلت ايطاليا بموجبها تنازلًا نهائياً عن كل مطلب في مراكش ، وعقدت مع الثانية معاهدة في ٢٧ تشرين الثاني ١٩١٢ خططت الحدود ، وحددت حقوق الدولتين صاحبتي الحماية .

وبعد انهزام المانيا في الحرب العالمية الاولى ، افرد فصل خاص في معاهدة « فرساي » (حزيران ١٩١٩) تنازلت فيه المانيا تنازلًا تاماً عن كل حق اعطي لها في اتفاقات تشرين الثاني ١٩١١

وفي ١٨ كانون الاول ١٩٢٣ وقع ميثاق دولي حدد فيه وضع طنجه ، ثم ادخلت عليه بعض التعديلات في ٢٥ تموز ١٩٢٨ .

ما قبيل النهضة

مظاهر الأدب

في بَلاطِ ضاهر العُمَر

بقلم فؤاد افرام البستاني

ننتقل في هذا الحديث ، من دمشق وصور حيث شهدنا ، في اوائل القرن الثامن عشر ، تلك المساجلات الدينية بالشعر الصوفي بين الشيخ عبد الغني النابلسي والشيخ احمد الحُر[1] ، الى مدينة عكا ، فنشهدُ في منتصف القرن المذكور ، ما شاده بين أطلال القامة القديمة ، مُغامِرٌ جري. عرف ان يستغلّ ، الى أبعد حدّ ، تنازع الأمراء. والولاة المحلّيين في مصر ولبنان والشام ، وتطاحُنَ المطامع الدولية في البحر المتوسّط . فأركز على هذا التوازن المضطرب إمارة مستقلة كان لها قدرها في حساب الدول فترةً من الزمن . حتى اذا استقرّ التوازن ، تهافتت تلك الإمارة المصطنَعة ، وعاد اربابها كما بدوا ، زعماء عشائرهم فحسب . هو الشيخ ضاهر العُمر الزيداني ، سيّد الزيادنة الضاربين في برّ عكا ، فعامِلُ الامير بشير الأول على صفد وضواحيها ، فسيّد القلعة التاريخية المنيعة ، فشريك علي بك الكبير في التواطوء على السلطان ، فحليف كاترين الثانية ، وعدوّ الدولة العثمانية ، فقتيل الغدر والخيانة في أسوار قلعته ، سنة ١٧٧٥ .

بيد انّ ما يهمّنا في هذا الكلام ، لا تسلسل الاحداث السياسية ، وان يكن فيها تبصرةٌ وتوضيح لما يجري كلّ يوم في الشرق الادنى ، انما هو مظاهر ما نجرؤ على تسميته بالادب في تلك البيئة . ولا بأس بهذه التسمية ما دُمنا أسبغنا نعت الأدب على آثار النابلسي والحرّ وشاكرِ البلول .

١) اطلب « مشرق » هذه السنة ، ص ٧١-٨٠

كان في بَلاط عكا — ان جاز لنا ان نُسمّيه بَلاطاً — كاتب متطبّب من نصارى عكا الملكيين هو ابراهيم الصبّاغ. وكان، على ما يبدو، يحتكر المعارف جميعها اذ ذاك، فيسهر على صحة ضاهر العُمر الجسدية والمالية، والسياسية، فيداوي أسقامه، ويضبط حساباته، ويدبّر شؤونه كلّها. فلا يُخالَف له قول. الّا ان وصفته السياسية الاخيرة لم تنجح، إذ نصحه بمحاربة حسن باشا القبودان، قائد الحملة العثمانية البحرية، فأغضب احمد اغا الدنكزلي، احد رجال ضاهر المتواطئين مع الباشا المذكور. وما هو ان أعلن ضاهر عزمه على الحرب، حتى دبّر الدنكزلي المكيدة لاغتياله ضمن الأسوار، وسهّل دخول القلعة لحسن باشا.

وكان من ضحايا النصيحة صاحبُها الطبيب نفسه. فاعتقله القائد العثماني واقتاده « بالذلّ والهوان » — على لفظة الامير حيدر — الى قبرص ثم الى القسطنطينية. وهناك قتله « معلّقاً بشراع بعض السفن كيلا يُخبر بما غنمه من الأموال الوفية والتحف السنيّة. »[1]

ولم ينجُ الدنكزلي من انتقام حسن باشا، على ما كان من خيانته لمولاه وقد خاف منه الباشا وشاية عليه بما نهبه من اموال عكا. فقتله في القلعة نفسها. فسوّى الموت بين الأمانة والخيانة.

وترك ابراهيم الصبّاغ ذريّةً حفظت تقاليد العلم، بعد انتقالها الى مصر وأشهر من يُذكر من هذه السلالة حفيداه عبّود وميخائيل اللذان اتّصلا بعلماء الحملة الفرنسوية على مصر وساعداهم في كثير من الدروس والتاليف. ثم لحقا بهم الى فرنسة. ولهما في مكاتب اوربة حتى اليوم، آثار في الشعر العربي والتاريخ لا تزال في اكثرها مخطوطة. انما هي تخرج عن موضوعنا هذا، لبعدها عن بلاط عكا.

اما هذا البلاط فأنِس بشاعر أمير، لولا تقليده الضيّق الأفق، لكان

---

١) الامير حيدر الشهابي: الغرر الحسان — طبعة اسد رستم وفؤاد افرام البستاني — ١ : ١١٧

صورةً خافتة الالوان لابي فراس الحمداني ، او لأسامة بن مُنقذ. هو ابن ضاهر العُمَر، الشيخ عثمان . وقد كان للشيخ ضاهر عدة اولاد كما يُستنتج من إشارة للامير حيدر الى أنه « تزوج جملة نساء ، وأتاه منهنّ اولاد ذكور . وطلع بهم ذكر مشهور في الشجاعة والقوّة والبراعة»[١] يُعرف منهم صالح ، وصليبي ، وعبّاس، وعلي ، وكلهم من رجال السيف ، وعثمان هذا من رجال السيف والقلم . ولعلّه الوحيد بينَ اخوته في جمعه بين المتناقضين في مجتمعه ، في عكا ذاك المجتمع المُجنَّد بكامله ، المتحفِّز ابدًا لهجوم او لدفاع . ينتهز فترات السلام والطأنينة المتقطعة ، فيكبّ على دفاتره يتثقف بما فيها من شعر قديم ويُمرّسُ قريحته بتسطيره ومعارضته . حتى يحدث ما يؤدّي الى تنافر بينه وبين ابيه ، فيعتقله الشيخ مدةً . وحينا يخلص من حبسه ، يغضب على ابيه ، ويهرب لاجئاً الى لبنان ، شأن الكثيرين من المضيّق عليهم في البلاد المجاورة ، على اختلاف العصور . فينزل على الامير منصور سنة ١٧٦٦ . والامير منصور صديق ضاهر العُمَر، كما كان ابوه الامير حيدر من قبله . فيستقبل الشاعر الشاب ، ويطيّب خاطره ، ويسعى فيُصلح الحال بينه وبين ابيه .. ولا يُهمل الامير حيدر ان يصوّر لنا الشاعر فاذا هو « حسن الصورة ، طويل القامة » .

اما شعره ، فينبوعه جاهليّ محض ، وإخراجه مَتين فيه شيء من روعة التركيب ، الّا انها روعة القِدَم المُقلَّد لا روعة الجِدّة والابتكار . وجدير بالذكر ان هذا التقليد لا يأخذ بأساليب العبّاسيين او الانحطاطيين ، وهي من السهولة بمكان ، انما يرقى الى الجاهلية ويكاد ينحصر بها كأن لم يكن هناك تجدّد عباسي ، او تنوّع أندلسي ، او مَيعة انحطاطية . ويكاد ينحصر ، من الجاهلية ، بباب الفخر والحماسة ، وهو امرٌ معقول بالنظر الى أمير عاش عيشة الشيخ عثمان في بيئة ابيه وزمانه . واذًا فمن الطبيعي ان يكون مثاله الأعلى الشعر العنتري ، وان تكون افضل قصائده تلك التي يترسّم فيها خُطى ابي الفوارس في المعلّقة .

---

١) الامير حيدر : الكتاب المذكور ؛ ص ٧٨

كم غادر الشعراء من مُتَرَنِّمِ ! وعَرَفتُ رَبعَ الدار ، قبلَ توَهُّمي.
كيف الضلالُ عن المَجَرَّة ، والرجا كَالْقٌ لناظرِ مُقلَةٍ غيرِ العَمِي !
دارٌ لِمُشرِقَةِ الجبين ، كأنّها بدرٌ أنارَ بِجُنحِ ليلٍ مُظلمِ ،
عهدي بها ، وبها الظِباءُ أوانِسٌ يرفُلن بالوشي الزَهيِّ المُعلَمِ .
من كل مُخطَفَةِ الحشاء ، أديمَةٍ ، تزهو بِطرفٍ ناعسٍ ، وبِمَبسَمِ ،
بلهاءَ ، فاتِنَةٍ ، لَعوبٍ بالنُّهى ترمي لواحظُها القلوب بأسهُمِ .

ولا ينقص هذا النسيبَ شيءٌ من الصور الجاهلية ، بل من ألفاظها وتعابيرها

برهاءَ ، بارعةِ المحاسنِ ، غادةٍ ، ترنو بِعينَي جُؤذُرٍ لم يُفطَمِ ،
ميَّاسةٍ ، لَعِبَ الدلالُ بِعَطفِها ، فتَرَنَّحَت كالراغبيِّ اللهذَمِ ؛
رِعبيَّةِ اللحظاتِ واللفتاتِ ، بل خمريَّةِ الوجنات والمُتَبَسَّمِ .

ويخطر على باله تشبيهات من آثار الشعر الصوفي فيُضيف الى وصف آنسته

روحيةٌ ألفاظُها ، لو كَلَّمَت جَدَثًا لقام الى حياةِ المُنعَمِ .

وينتقل الى الفخر التقليدي كذلك :

اني من النفر الذين اذا اعترى ضيمٌ ، أبَوه بكل عَضبٍ مِخذَمِ ؛
واذا الخطوب دَجَت بكل مَهولةٍ ، بزغوا شموسًا في المُلِمِّ المُظلمِ ؛
وإذا السنون ترادَفَت أزماتُها ، سالوا سيولَ سماحةٍ وتكرُّمِ .
قتلوا الزمان تجارِبًا وتَجارُبًا ، وجرَوا على سَنَنٍ بمجدٍ أقدَمِ .
هم يَنقَمون على الأنام فِعالَهُم ، وفِعالُهُم مَرضيَّةٌ لم تُنقَمِ .
كم مِنهمُ مِن أصيَدٍ ذي رِفعَةٍ ، أو أصيدٍ ذي مَنعَةٍ ، او مُنعِمِ ؛
او أبلَجٍ قد يُستضاءُ بوجهه ، وبِرأيه في المُدلَهِمِّ المُبهَمِ ؛
لو فاخَرَتهُ النيِّرات ، لَبَذَّها بِنيرِ فكرٍ في المُلِمِّ مُعلَمِ ؛
او ساجلته الغادياتُ بِسَحِّها لَثَنَى عليها جودَها المُتصرِّمِ .
من كان منهم مُقتِرًا ، فنوالُه بِحُسامه ، والناس تسألُ بالفَمِ .
شُمسٌ على كيد الزمانِ ، وغيرهم متضائلٌ في الحادثِ المُتَجَهِّمِ .

قد يؤخذ على الشيخ عثمان تَقَلقُلٌ في بعض القوافي ، وهَلهَلةٌ في بعض

الأبيات ، وتساهلٌ في الصيغ والقوافي احياناً . انما لا يُنكر عليه ايمانه الشعري ، واخلاصه ، وهذا النفس الطويل السائل المستند الى القوالب العنترية حتى ليُدفَعُ الى استعمال الفاظ يجرّها التقليد ، ولا معنى لها ، ولا مُبرِّر الّا ورودها على صيغ محفوظة في الشعر القديم .

واشدّ ما يكون هذا النَفس اندفاعاً في الفخر بنفسه ، والإشادة بشجاعته وبطشه في المعركة ، اذ يستشهد بفريدة ، وهي عروس شعره وعلة معلّقته ، فيقول :

هَلّا سألتِ بني أبينا – إذ أتوا يتآمرون على جيادٍ عُزَّمِ ،
يتبادرون الى الوطيس ، كوابِساً ، وحواسراً ، يُزجون كلَّ مَطِيِّهِمِ ؛
حيثُ التقى الجمعانِ ، واتّسمت بنا حَربٌ ضَروسٌ – كيف كان تقدُّمي ؟.
لمّا تراأوا زُرتُهم بِنعامةٍ رَزَمَت صواعقُها بنوءٍ مُحجمِ .
ومساعِرٍ أَلِفوا الحروبَ ، كأنّهم أُسْدٌ تَزأرُ وسْطَ غِيلٍ مُشهِمِ ،
من كلِّ خوّاضِ المجاجِ ، مُقذَفٍ يَهيجِ الى داعي النزالِ غَشَمْشَمِ .
ما زلت أرميهم بصدرِ فتيّةٍ ذَرْواءَ ، تنفضُ انتفاضَ الأقدمِ ،
شَمّاءَ ، مُهضَمَةِ الخواصِرِ ، ضَمرةٍ ، تَنحطُ فيهم كالقضاءِ المُبرَمِ ،
حتى تراجع جمعُهُم مُتكاعِباً ، واستَنَّ فارِطُهم لضنكِ المُهزَمِ ؛
متسابقين الى الفرار ، كأنّهم لم يسموا بجوانِ مَن لم يُقدِمِ ؛
يتناجَمْ من بيزِّ كلِّ مُثَقَّفٍ ، صَدقٍ ، ومَضرب كل عَضبٍ أخذَمِ ،
طَعنٌ كأفواهِ المَزادِ ، يَحفُّهُ ضَربٌ كأشداقِ المخاضِ الهُيَّمِ .

وفي هذه المعلقة ابيات صارخة في الشكوى من قومه لسوء معاملتهم اياه لعلّ افضلها قوله :

ما غدرُ قومي لي ، وقد سالمتُهم ، إلّا سواداً في وجوه الأنجمِ !

هذه الشاعرية الفطرية ، هذا النَفَس المندفع ، هذه الرغبة في الجمع بين حياة السيف ، وحياة الفكر ، في إحياء البيئة الجاهلية بما امتازت به من شجاعة

وكم ؛ لم ينقصها لتبلغ مستوى الفنّ سوى استقرار المجتمع ، واتساع الافق التفكيري ، والاتجاه بالثقافة جهة الكمال الإنساني . وهي شروط لم يكن بالإمكان تحقيقها في عكا في القرن الثامن عشر . فكفى البلاط فخراً أن كان له شاعر ، وشاعر أمير ، يتناسب شعره وسائر المظاهر الأدبية في عصره.

وثائق تاريخية عن المجمع اللبناني

بقلم الخوري باخوس الفغالي

المأذون في اللاهوت

والدكتور في الحق القانوني ، والمحامي الروتالي

تمهيد

طلب الينا حضرة الاب المحترم اغناطيوس عبده خليفه، رفيق الدراسة والمشرف الآن على ادارة مجلة « المشرق » المعروفة ، ان نساهم في تحريرها ، فشكرنا له هذا التقدير وعرضنا عليه ان نكتفي الآن بتعريب ونشر بعض الوثائق التي نسخناها بكل دقة من الخزائن الفاتيكانية وهي غير منشورة وجزيلة الفائدة ، يتعلق معظمها بالمجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦ .

وقد قرّ رأينا ان نبدأ بمقال الاب تشاسكا وهو على ما نظن آخر ما كتب مما يستحق الذكر في هذا المجمع ويشير الى كثير من الكتابات التي سبقت وطرقت نفس الموضوع ويستند اليها باجمعها تقريباً كما يبدو لمطالعه . وقد آلينا على نفسنا ان نعرّب وننشر ايضاً ما نراه موافقاً من الوثائق المشار اليها فيه ، مراعين بذلك اللغة الاصلية الطليانية كما نقلناها حرفاً حرفاً دون ما تغيير البتة في المتن او الحواشي . اما في النص المعرّب الحاضر فقد انزلنا في الحواشي المصادر التي يذكرها المؤلف في المتن، وزدنا عليها ما لا بدّ منه تارةً بين هلالين وطوراً بين نفس حواشي المؤلف وميزنا الحواشي عن بعضها بنسبتها الى المؤلف او المعرّب . وهدفنا من ذلك خدمة العلم والتاريخ بقدر ما يتيسر لنا ، وحسبنا ان ننال رضى القرّاء وتشجيعهم ، ونحظى بحلمهم وصفحهم عن كل تقصير .

مقـــال

المستشار الاب الجزيل الاحترام اغسطينوس تشاسكا
من رهبانية القديس اغسطينوس بصدد اختلاف النشرتين العربية واللاتينية
للمجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦ والمسائل الناجمة عن ذلك
والمتعلقة بسلطان البطريرك الماروني

(خزانة مجمع البروبغندا المقدس الموكولة اليه امور الطقس الشرقي
تلخيص السادس والعشرين من حزيران سنة ١٨٨٣
المتعلق بالمجمع الاقليمي الماروني المنعقد سنة ١٧٣٦)

VOTO

del Consultore Rmo Padre Agostino Ciasca dell'Ordine di S. Agostino
sulla discrepanza dell'araba dalla latina edizione del Sinodo Libanese del 1736,
e le conseguenti questioni sulle facoltà del Patriarca Maronita.

(Archivio della S. C. de Propaganda per gli affari del rito orientale.
Ponenza del 26 Giugno 1883, sul Sinodo Provinciale Maronita del 1736)

ايها السادة السامو النيافة والاحترام

١) في الاجتماع العام المنعقد في ٢٣ ك٢ سنة ١٨٨٢ أخضع لحكم نيافاتكم سؤال زواجي يتعلق بصحة زواج عُقد بين جميلة عبده وذوي قرباها[١] مخول ضاهر اولاً ومسعود ثانياً وكلهم موارنة من ابرشية طرابلس في سوريا . وقد فسَّح البطريرك الماروني من مانع القرابة الدموية في الدرجتين الثانية والاولى وفسَّح الكرسي الرسولي من مانع القرابة الاهلية في الدرجتين الاولى والثانية. الا انه شُك في صحة هذين التفسيحين لان التفسيح البابوي اعطي استناداً الى عروض كاذبة وناقصة ايضاً . والتفسيح البطريركي مُنح خاواً من السلطة اللازمة . وهذه السلطة يمنحها للبطريرك الماروني النص العربي للمجمع اللبناني (١٧٣٦) بينما النص اللاتيني لنفس المجمع يمنعها عنه .

---

١) حاشية المعرّب : ان النص الطلياني يحتوي على لفظتي cugino و cognato وقد عربناهما بذوي قرباها ولفظة cugino معناها ابن العم والعمة او الخال او الخالة ودرجة القرابة الدموية بين هولاء هي الثانية في الحساب اللاتيني والرابعة في الحساب الشرقي. والدرجة الثانية والاولى في الحساب اللاتيني هي الدرجة القائمة بين الابنة وخالها او عمها وفي الحساب الشرقي تسمى الدرجة الثالثة . وعليه فلا تصح ترجمة cugino هنا بلفظة ابن العم او الخال ولم نرَ في المعجمات الطليانية ان لفظة cugino معناها القريب او النسيب مثل لفظة cognato فان معناها الصهر وابن الحمى والقريب او النسيب وعليه نظراً للدرجات المذكورة قد تكون جميلة تزوجت اولاً من خالها او عمها وثانياً من صهرها الذى هو ابن شقيق او شقيقة زوجها .

Eminentissimi e Reverendissimi Signori.

1) Nella generale adunanza dei 23 Gennaro 1882 fu sottoposta al giudizio dell'EE. VV. una questione matrimoniale sulla validità de' sponsali contratti da certa Giamilè Abdu prima col suo cugino Maccul Daher, poi col suo cognato Massaud, tutti Maroniti della Diocesi di Tripoli in Siria. E poichè erano concorse nel caso le dispense dagl'impedimenti di consanguinità, in secondo grado col primo, concessa dal Patriarca maronita, e di affinità in primo grado col secondo, data dalla S. Sede, si dubitò del valore di dette dispense: della pontificia per surrezione, od anche orrezione: della patriarcale per difetto di facoltà: giacché il Patriarca maronita ne sarebbe investito se si stasse alla redazione araba del Sinodo Libanese del 1736, ne sarebbe privo secondo il testo latino dello stesso Sinodo.

٢) اما نيافاتكم فانكم بعد ان اعلنتم بطلان التفسيح البابوي من مانع القرابة الاهلية قررتم ان تلتمسوا من قداسته ان يتنازل ويصحح بمقتضى الحاجة التفسيح البطريركي المعطى كما ذكرنا آنفاً . وبعد ذلك تحول انتباه نيافاتكم الى موضوع شديد الخطورة وهو اختلاف النصين العربي واللاتيني للمجمع المذكور وعليه امرتم « ان يعمل تلخيص يشتمل على اختلافات النص اللاتيني للمجمع اللبناني عن الترجمات العربية ولن يبحث خاصة في مسألة سلطة التفسيح من درجة القرابة الدموية الثانية التي تحق للبطريرك استناداً الى الترجمات المذكورة . وان يُنظر فيما يجب اتخاذه من تدابير » وقد حكمتم ايضاً بانه يعود في هذه الاثناء الى امين السر والى الكلي القداسة ان ينظرا فيما يتعلق بالماضي والمستقبل

٣) وتنفيذاً لهذا القرار تكرم سيادة امين السر وكلفني بان ابحث في هذا الامر واحقق :

اولاً : اي هو بالتدقيق نص المجمع الماروني الذي ثبته الكرسي الرسولي

ثانياً : هل يحق للبطريرك الماروني ان يفسح من درجة القرابة الدموية والاهلية الثانية بموجب احكام المجمع المذكور او غيرها من مستند مهما كان نوعه او تفويض . ولهذه الغاية سلمني ابحاثاً في الموضوع اخصها التي قام بها

2) L'EE. VV. dopo aver dichiarata la nullità della dispensa pontificia sull'impedimento di affinatà, decisero *Supplicandum SSmo*, perchè si degnasse convalidare, *quatenus opus sit*, la dispensa come sopra data dal Patriarca. Dopo ciò si volse l'attenzione dell'EE. VV. sul gravissimo argomento della discrepanza tra la redazione araba ed il testo latino del detto sinodo; su che ordinarono «Che *fiat positio* sulle discrepanze fra il testo latino del Sinodo Libanese e le versioni arabe; e *nominatim* si proponga la questione sulla facoltà di dispensare nel secondo grado di consanguinità etc. attribuita al Patriarca in forza delle dette versioni, e sul modo di provvedervi.» E che intanto *quoad praeteritum et futurum ad Secretarium cum Sanctissimo.*

3) In esecuzione di tale disposizione Mons. Segretario mi dava l'onorevole incarico di esaminare questo affare per riconoscere:

1° *Quale sia precisamente il testo del Sinodo Maronita approvato dalla S. Sede.* 2° *Se il Patriarca Maronita abbia la facoltà di dispensare nel secondo grado di consanguinità ed affinità, sia per le disposizioni di quel Sinodo, sia per altro qualsivoglia titolo o concessione.* Ed all'effetto mi transmetteva gli studii fatti

سيادة ڤالرجا[٢] السعيد الذكر ومفكرة كتبها البطريرك الحالي[٣] وملحوظتين خزانيتين قديمتين[٤] وردت كلها في المجمل[٥]. ولكي اقوم بهذه المهمة اتجرد للتوسع في السؤالين المذكورين آنفاً وهما موضوع هذا الملخص .

٤) ولطرق هذا الموضوع الدقيق طرقاً على شيء من الوضوح يُرى موافقاً ان يقسم هذا البحث الى اربعة فصول يتضمن اولها تاريخاً موجزاً لانعقاد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ ولطبعتيه العربية واللاتينية . ويدور البحث في الفصل الثاني على اختلافات النصين وتعيين الشرعي منهما اي الذي ثبته الكرسي الرسولي . واما في الفصل الثالث فعلى سلطة التفسيح من الموانع الزواجية المعطاة للبطريرك الماروني وفي الفصل الرابع على ما يجب القيام به لمنع التشويش الناتج عن النصين المختلفين لنفس المجمع ولترتيب النقاط الموافقة في النظامين القانوني والطقسي .

٢) حاشية المعرب : بطريرك اورشليم اللاتيني والقاصد الرسولي في سورية بالنيابة

٣) 〃 〃 : بولس مسعد (١٨٥٤ – ١٨٩٠)

٤) 〃 〃 : الملحوظة الخزانية كتابة في موضوع ما يعرض على المجمع المقدس كانتخاب الاساقفة مثلاً يكتبها احد المتخصصين مستنداً الى الوثائق المحفوظة في الخزانة .

٥) حاشية المعرّب : المجمل هو مجموعة المستندات والوثائق من رسائل وغيرها يستند اليها في ترتيب الملخص .

su tale argomento specialmente da Mons. Valerga di f. m. con una *memoria* dell'attuale Patriarca Maronita unitamente a due antiche note di Archivio, quali tutte si riportano in *Sommario*. In adempimento di tale incarico, mi accingo allo svolgimento de' suaccennati due quesiti, che formano l'oggetto della presente Ponenza.

4) Per trattare una questione si delicata con una qualche chiarezza, si crede espediente di dividerne la trattazione in quattro capitoli, nel primo si darà breve storia della celebrazione del Sinodo Libanese del 1736, e delle sue edizioni araba e latina.

Nel 2° si dirà delle varianti fra le due redazioni e si cercherà quale sia l'*autentica*, ossia quella che venne approvata dalla S. Sede.

Nel 3° Della facoltà di dispensare dagl'iimpedimenti matrimoniali attribuita al Patriarca Maronita.

Nel 4° Dei provvedimenti da prendersi per togliere l'anomalia dei due diversi testi dello stesso Sinodo e per regolare gli analoghi punti di disciplina: sia canonica che liturgica.

الفصل الاول

تاريخ وجيز لانعقاد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦ ولطبعتيه العربية واللاتينية .

البحث الاول

في انعقاد المجمع اللبناني سنة ١٧٣٦

٥) ان البطريرك الماروني يوسف بطرس الخازن واساقفته رغبةً منهم في اصلاح بعض خروق تسربت تدريجاً في طائفتهم ولاجل النهوض بالتهذيب الكنسي الساقط التمسوا في اليوم الثامن والعشرين من تموز سنة ١٧٣٤ من اكليمنت الثاني عشر الطيب الذكر ليتفضل وينفذ اليهم سيادة يوسف سمعان السمعاني الشهير بصفة زائر لكونه من افراد الطائفة المارونية ومتضلع من واسع العلم وله المام كامل بما يختص بطقس الكنيسة المارونية وعاداتها . ولأنه اصلح من غيره لهذه الغاية[٦] .

٦) ولذلك اجتمع المجمع المقدس وفحص عرائض البطريرك والروساء

٦) حاشية المؤلف : المجمع اللبناني الطبعة اللاتينية سنة ١٨٢٠ صفحة ٢ و٣ (الطبعة العربية تعريب سيادة المطران يوسف نجم صفحة ٢ و٣)

Capo I

Breve istoria della celebrazione del Sinodo Libanese del 1736, e delle sue edizioni araba e latina.

Articolo I

Della celebrazione del Sinodo Libanese del 1736.

5) Il Patriarca Maronita, Giuseppe Pietro Gazzeno, una co' suoi Vescovi, affine di emendare alcuni abusi insensibilmente introttisi (sic) nella sua Nazione, e di rialzare la disciplina ecclesiastica già scaduta, ai 28 Luglio del 1734 supplicò Clemente XII di sa. me. a volere colà mandare in qualità di Visitatore l'illustre Mons. Giuseppe Simone Assemani, come quegli che, Maronita di Nazione, e fornito di non mediocra dottrina, non'che di perfetta scienza intorno al rito ed alle consuetudini della Chiesa Maronita, avrebbe meglio di ogni altro corrisposto allo scopo (*Sinodi Libanese, ed. lat. del* 1820, p. II-III).

6) Adunatasi a questo fine la S. C., ed esaminate le predette istanze del

المارونيين المذكورة فالقى الملخص الكردينال زنداداري تقريره وصدر القرار التالي بتاريخ ٢٤ تموز سنة ١٧٣٥ : « ينبغي ان يجاب السادة الآباء المحترمون بطريرك انطاكية ورؤساء اساقفة الطائفة المارونية واساقفتها الى امانيهم التقوية وان يُنفذ اليهم بحسب التماسهم السيد يوسف سمعان السمعاني المحترم بصفته قاصداً رسولياً.»[٧] . وصادق صاحب القداسة اكليمنت الثاني عشر على القرار المذكور وارسلت الموجزات اللازمة[٨] .منها واحد موجه الى السمعاني بتاريخ ٢٦ ك ٢ من السنة المذكورة وهو يتضمن ما يلي : « ثم اننا نحثك ونوصيك ان تبذل جهدك وتستنفد وسعك بموآزرة المذكورين اي البطريرك يوسف بطرس ورؤساء الاساقفة فتقرر باحكام وتأمر بضبط بكل ما تراه عائداً الى حفظ التهذيب الكنسي وتجديده واثباته وتوسيع نطاقه الميمون في تلك البلاد واذا

٧) حاشية المؤلف : تقرير قصادة سيادة السمعاني الرسولية لدى الطائفة المارونية الى مجمع الانتشار المقدس : عدد ٤ وهو موجود في الخزانة في المجلد الثاني عشر من المختلفات المارونية (سننشر هذا التقرير ونعربه. والمختلفات المارونية تحتوي على ما يتعلق بالمجامع والطقوس الطائفية) .

٨) حاشية المعرب : لم يجد المعربون الى الان لفظة عربية غير لفظة براءة لتعريب الكلمتين اللاتينيتين Brevis و Bulla . وقد رأينا ان نشذ عن هذه القاعدة ونحفظ كلمة براءة لتعريب Bulla ونعرب لفظة Brevis بكلمة موجز . كما ان اللغة الافرنسية تقول Bref وكلمة موجز كما لا يخفى هي ترجمة حرفية للفظة Brevis او Bref

Patriarca e Prelati Maroniti, Referente o Ponente il Card. Zondadari, li 24 Luglio 1735 fu emanato il seguente Decreto: *Annuendum esse piis eorumdem RR. PP. DD. Patriarchae Antiocheni, Archiepiscoporum et Episcoporum nationis Maronitarum votis, et mittendum, ut petitur, praedictum R. P. C. Josephum Simonium Assemanum, tamquam Ablegatum Apostolicum»* (1). Approvato il detto decreto dalla S. di Clemente XII, furono spediti i relativi Brevi, in uno de' quali, diretto il 26 Novembre dello stesso anno all'Assemani, dicevasi: «Deinde te hortamur atque monemus, ut quaecumque ad disciplinae ecclesiasticae in iis partibus conservationem, restaurationem ac incrementum, felicem progressum pertinere intellexeris, omni ope, ac studio cum praedictis Josepho Petro Patriarca, ac Archiepiscopis et Episcopis rite, recteque statuenda atque ordinanda cures; sin autem ita se occasio tulerit, aut res exegerit, ut ad haec

(1) *Relazione dell'Ablegazione Apostolica alla Nazione de' Maroniti di Mons. Assemani alla S. C. di Propaganda §. IV. esistente nell'Archivio. Tom. XII delle Miscellanee de' Maroniti.*

اقتضى المقام عقد مجمع اقليمي لاجل ترتيب هذه الامور من اصلح وجه فاننا نخوّلك السلطان على النداء به وعقده.»[9] ودفع الى السمعاني المذكور علاوة على الموجزات التي ذكرنا ارشاد من المجمع المقدس يعين عشر موادٍ تتعلق بالاصلاح المنوي اجراؤه في الكنيسة المارونية[10].

٧) حمل السمعاني تلك الوثائق وغادر روما في ١٧ من كانون الاول من السنة المذكورة ١٧٣٥ فوصل الى بيروت في ١٧ من حزيران من السنة التالية. وتلبية لدعوة البطريرك انتقل من بيروت الى قنوبين الكرسي البطريركي حيث: «قرئت في الكنيسة في اول تموز ١٧٣٦ الموجزات الرسولية ورسائل المجمع المقدس بحضور البطريرك ورؤساء الاساقفة والاساقفة... وابدى البطريرك والرؤساء والرهبان والاكليروس والشعب رغبتهم اولًا في اقتبال البركة الرسولية بكل احترام وثانياً لكي يظهروا استعدادهم للخضوع لكل مراسيم الكرسي الرسولي والمجمع المقدس التمس كل من البطريرك والرؤساء من القاصد ان يدفع اليهم المجلد اللاتيني حيث كتب بناء على ارشاد المجمع المقدس ما ارتآه

٩) حاشية المؤلف: المجمع اللبناني الطبعة اللاتينية صفحة ٤ (تعريب نجم صفحة ٧)

١٠) حاشية المؤلف: تقرير قصادة عدد ٧ (سنعرب وننشر هذه المواد والارشاد المذكور.

---

salubrius peragenda Synodus Provincialis congreganda sit, illam indicendi, et celebrandi facultatem concedimus». (Sin. Ed. lat. p. IV). Una co' suddetti Brevi fu data altresì al sullodato Assemani un'istruzione della S. C., nelle quale venivano determinati dieci articoli spettanti alla riforma da farsi in quella Chiesa (*Relazione dell'Ableg.* §. VII).

7) Munito l'Assemani di tali documenti, partiva da Roma il 17 Decembre del predetto anno 1735, e giungeva a Bairut ai 17 Giugno dell'anno seguente. Di là, dietro invito del Patriarca, si recò alla Sede Patriarcale di Canubin, ove «letti nella Chiesa il 1 Luglio 1736 li Brevi Apostolici, e le lettere della S. C. in presenza del Patriarca, degli Arcivescovi, e Vescovi... volse Mons. Patriarca colli suddetti Prelati, Monaci, Clero e popolo, primieramente ricevere con tutta divozione la benedizione apostolica...., e poi per dimonstrare la prontezza, ch'aveva di seguire tutti gl'ordini della S. Sede, e della S. C., dimandò all'Ablegato, si esso Mons. Patriarca, si li suoi Prelati, che gli consegnasse il *volume latino*, in cui stava steso ciò, ch'esso Ablegato secondo la

ضرورياً لان يعرض على المجمع لتثبيته . واجهدوا النفس ليوقعوه . اما القاصد الرسولي فلم يرضَ ... بل قال انه ينبغي اولاً ان يُعرّب ليطالعوه ويتفهموه وبعد ذلك يسمح بتوقيعه[١١] ، وتم الاتفاق على عقد المجمع في كسروان في الخامس عشر من شهر آب القادم . وعندما صرف البطريرك القاصد طلب اليه : « ان يرتب في هذه الاثناء مواد المجمع ويعربها كلها »[١٢] . ويُستخلص من ذلك ان السمعاني حمل معه من روما مشروعاً لاعمال المجمع العتيد واحكامه مكتوباً باللغة اللاتينية وقد عرّبه في الشرق .

٨) واعلن البطريرك انه بداعي الاهتمام بامور كرسي قنوبين لن يتمكن من الشخوص الى كسروان في ١٥ آب ولذلك تأخر موعد انعقاد المجمع الى شهر ايلول . فانزوى السمعاني في هذه الاثناء في دير سيدة لويزة التابع للرهبان اللبنانيين حيث انهى نقل مشروع المجمع من اللسان اللاتيني الى اللسان العربي

١١) حاشية المؤلف : تقرير قصادة ١٣

١٢) حاشية المؤلف : المحل المذكور عدد ١٥

istruzione della S. C. avea stimato necessario per esser proposto ed approvato nel Sinodo: e fecero gran sforzo per sottoscriverlo: ma l'Ablegato apostolico non si contentò... dicendo, che bisognava prima che fosse tradotto in arabo acciocchè lo leggessero, ed intendessero, e poi, avrebe permesso che lo sottoscrivessero». (Relazione dell'Ableg. §. XIII). Dopo ciò fu convenuto di tenere il Sinodo nei Kesroan pel 15 Agosto prossimo; ed il Patriarca nel licenziare l'Ablegato, lo pregò, «che intanto disponesse la materia del Sinodo, traducendo il tutto in lingua arabica» (l. c. §. XV). Dal che risulta che l'Assemani portò seco da Roma lo *schema* degli Atti e Decreti del futuro Sinodo, scritto in lingua latina, e che in Oriente ne fece la traduzione araba.

8) Intanto, avendo significato il Patriarca che per gli affari della Sede di Canubin non si sarebbe potuto trovare nel Kesroan per il 15 Agosto, la celebrazione del sinodo fu differita al mese di Settembre. L'Assemani in questo frattempo si ritirò nel Monastero della *Madonna* di *Loaize*, spettante ai Monaci Libanesi, ove terminò la traduzione delio schema latino del Sidono in lingua arabica, ed attese la venuta del Patriarca (l. c. §§. XVI-XVII). Questi difatti sul principio di Settembre si portò nel Convento di Raifun, lontano circa due ore da quello di Loaize, ove si recò a restituire la visita all'Ablegato, ed intendersi intorno al Sidono. Circa il quale si convenne, che tutti quelli che doveano intervenirvi, si portassero al Convento di S. Sergio, detto

بانتظار قدوم البطريرك[١٣]، الذي انتقل فعلاً في بدء ايلول الى دير ريفون وهو يبعد مسير ساعتين عن دير اللويزة . وقصد البطريرك هذا الدير ليرد الزيارة القاصد ويتفق معه على ما يتعلق بالمجمع . واتفقا على ان يذهب الى دير مارسركيس ريفون كلُّ من ينبغي اشتراكه في المجمع و « هناك يُبحث في جميع المواد المكتوبة باللغة اللاتينية والتي عُربت فيا بعد لتذاع في المجمع.»[١٤]

٩) وفي الرابع عشر من ايلول سنة ١٧٣٦ اجتمع في كنيسة مارسركيس ريفون المذكورة البطريرك والقاصد ورؤسا. الاساقفة والاساقفة ما عدا اربعة منهم بداعي المرض والمسافة والرئيسان العامان لرهبانيتي مار اشعيا وجبل لبنان وتلامذة روما واخيراً المرسلون اللاتينيون « الا انه نظراً لما تمسك به البطريرك من ادعاءات بصدد توزيع الميرون ونظراً لاختلافه مع الاساقفة على بعض المسائل[١٥] اعلن انه عدل عن عقد المجمع وانه لا يريد ان ينفذ شيئاً يصدر

١٣) حاشية المؤلف : المحل المذكور عدد ١٦ و١٧

١٤) حاشية المؤلف : تقرير قصادة عدد ١٩

١٥) حاشية المؤلف : نجد اشارة الى هذه الاختلافات في الطبعة اللاتينية للمجمع صفحة ١٥ (تعريب نجم صفحة ٢٢) وشرحاً اوسع لها في رسالة مطران بيروت الى الكردينال زندادري ، المحل المذكور صفحة ٤٥٥ (تعريب نجم صفحة ١٦٥) وفي رسالة الاب ايدفنسو الكرمليتاني في نفس المحل صفحة ٤٥٧ (تعريب نجم صفحة ١٦٩)

Raifun; ed «ivi si esaminassero tutti gli articoli, stesi già in latino, e poi tradotti in arabo, i quali aveano da pubblicarsi nel Sinodo» (l. c. §. XIX).

9) Di fatti, il 14 Settembre 1736 convennero nella predetta Chiesa di S. Sergio di Raifun il Patriarca, l'Ablegato, gli Arcivescovi e Vescovi, quattro eccettuati per causa d'infermità e di lontananza, gli Abati generali delle congregazioni di S. Isaia, e del Monte Libano, gli Alunni di Roma, e finalmente i Missionarii latini. «Ma per causa di certe pretensioni di Mons. Patriarca intorno alla distribuzione della Cresima, e per alcune contese colli Vescovi (1), protestandosi il medesimo Patriarca di non voler più far Sinodo, nè eseguir cosa alcuna proveniente da Roma, fu costretto l'Ablegato a ritirarsi nel Convento di Loaize il 17 Settembre» (l. c. §. XX). Se non che, dopo otto giorni, tornato il Patriarca a più sano consiglio, si portò anch'egli al Convento

(1) *Di queste contese si ha un cenno nell'edizione latina del Sinodo, p. XV ; e più diffusamente se ne parla nella lettera del Vescovo di Bairut al Card. Zondadari, ibid. p. 455, e nell'altra del P. Ildefonso Carmelit. ibid. p. 457.*

عن روما . ولذلك اضطر القاصد الى ان يعود الى دير لويزة في السابع عشر من ايلول[١٦] . ولكن البطريرك عاد الى الصواب وبعد ثمانية ايام انتقل الى لويزة وقابل القاصد « واخذ منه النسخة العربية لكل احكام المجمع العتيد ليبحث فيها ويثبتها بالاشتراك مع كل الاساقفة المارونيين وتلامذة روما . وبحث فيها ونقض منها وغيّر ما شاء وما رآه موافقاً كما يظهر من النسخة الاصلية المقدمة الى المجمع المقدس وذلك بغياب القاصد الرسولي وافراد كل الرهبانيات من لاتينية ومارونية[١٧] . » والحرية هذه التي استعملها البطريرك والاساقفة في فحص مشروع المجمع قد اثبتها البطريرك الحالي[١٨] .

١٠) وانتهى البحث في المشروع بمدة ثلاثة ايام[١٩] واصدر البطريرك والقاصد امرًا بالتئام المجمع المزمع عقده في كنيسة سيدة لويزة في الثلاثين من ايلول واليومين التاليين كما حدث فعلًا : « قُرئت الاحكام جهرًا واذيعت في ثلاثة ايام متتابعة وعقدت جلستان كل يوم في ٣٠ ايلول والاول والثاني من

١٦) حاشية المؤلف : تقرير قصادة عدد ٢٠

١٧) حاشية المؤلف : المحل المذكور عدد ٢١

١٨) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٢ صفحة ٣

١٩) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٥ صفحة ٩٢ اول ملحوظة خزانية (سنعرب وننشر هذه الكتابة)

Loaize a trovare l'Ablegato: «Da cui ricevuta la copia arabica di tutti li Decreti del futuro Concilio, per esser esaminati, ed approvati, esso Patriarca con tutti li Vescovi Maroniti, e con gli Alunni di Roma... esaminò, cassò e mutò quello che gli parve conveniente, siccome apparisce *dall'originale che si esibisce alla S. C.*, senza che l'Ablegato Apostolico, o li Religiosi di alcun Ordine latino, o maronita si fosse trovato presente» (l. c. §. XXI). Questa libertà, usata dal Patriarca e da' Vescovi nell'esame dello schema del Sinodo, viene constata (sic) ancora dall'attuale Patriarca (*Som.*: n II, p. 3).

10) Terminato in tre giorni l'esame dello schema (*Som. n.* V, p. 92, prima Nota d'Archivio), il Patriarca insieme all'Ablegato fece l'editto della celebrazione del Sinodo da doversi tenere nella Chiesa della Madonna di Loaize il 30 Settembre, e ne' giorni susseguenti, come di fatti avvenne. «Letti in pubblico li Decreti, furono pubblicati in tre giorni continui, tenendosi due sessioni il giorno, il 30 Settembre, l. e 2. Ottobre 1736, e l'approvarono colle proprie

تشرين الاول سنة ١٧٣٦ وثبتها بتوقيعه وختمه الرسمي كل من البطريرك ورؤساء اساقفة الموارنة واساقفتهم الاحد عشر واسقفان من طائفة السريان وآخران من طائفة الارمن احدهما بنفسه والآخر بواسطة نائبه وممثله في المجمع واثنان من رؤساء الرهبان الخ[٢٠] ... »وبعد انعقاد المجمع واذاعة احكامه كتب البطريرك والاساقفة الى روما رسائل مختلفة تاريخها الرابع من تشرين الاول الى قداسة اكليمنت الثاني عشر والمجمع المقدس والكردينال زنداداري الرئيس[٢١] والكردينال بلوغا وامين سر المجمع المقدس يعلنون فيها انهم عقدوا المجمع ويلتمسون من الكرسي الرسولي ان يثبته وقد قالوا في الرسالة الموجهة الى المجمع المقدس ما يلي : « قد قبلنا وسلمنا بالاجماع اولاً بتلك القضايا التي جزم بها وحددها الحبر الاعظم وثانياً بالكتاب المنقسم الى اقسام اربعة و كل ذلك اثبتناه بتوقيع يدنا ذاتها ووضع اختامنا ونطرحه على اقدام الحبر الاعظم حتى اذا نظر فيه يقضي به بتقضى حكمه ورأيكم الثاقب . واما ما رسمناه

٢٠) حاشية المؤلف : تقرير قصادة عدد ٢٣

٢١) حاشية المعرب: كذا ولكن الكردينال زنداداري هو محامي الطائفة المارونية. اما رئيس المجمع فهو الكردينال بطرا . راجع ذيل المجمع اللبناني تعريب نجم صفحة ١٦٤ و١٦٣

sottoscrizioni, e sigilli autentici il Patriarca, undeci Arcivescovi, e Vescovi Maroniti, due Vescovi Soriani, altrettanti Vescovi Armeni, l'uno de' quali per se stesso, e l'altro intervenne per mezzo del suo Vicario; due Abbati de' Monaci etc...» (Relazione dell'Ablegazione §. XXIII). Celebrato, e publicato il Sinodo, il Patriarca ed i Vescovi in data de' 4 Ottobre scrissero a Roma diverse lettere alla Santità di Clemente XII, alla S. C., al Card. Zondadari Prefetto, al Card. Belluga ed a Mons. Segretario della S. C., nelle quali significavano di aver celebrato il Sinodo, e supplicavano per la conferma della S. Sede. «*Unanimi autem consensu, cosi parlavano nella lettera alla S. C., admisimus ac recepimus, primo quidem propositiones illas, quas Sanctissimus Pontifex Maximus definierat: deinde librum in quatuor partes divisum: quae omnia propriae manus subscriptione, nostrisque appositis sigillis confirmantes, Pontificis Summi pedibus submittibus, ut ea perpendens, pro sua sententia, vestroque prudenti judicio decernat. Id vero, quod in nostra Synodo a vestrarum regionum more alienum statutum est, idcirco admisimus, quod esset hisce partibus conforme et necessitatibus earumdem opportunum*» (ed. lat. del Sinodo, p. 445 segg.).

في هذا المجمع من الرسوم التي لا تنطبق على عادة بلادكم فانما وضعناه نظراً لموافقته لعادة هذه البلاد وملائمته لحاجاتها.»[٢٢]

١١) وبعد ذلك عين البطريرك والقاصد نفرين لينسخا عن النسخة الاصلية العربية ، وهي المزمع اخضاعها للكرسي الرسولي ، نسخات لكل من البطريرك والاساقفة تتقابل بصورة صحيحة وتحفظ للذكر المستقبل . وهكذا كان . اما النسخات هذه فدُفعت الى المطران طوبيا ابن عم البطريرك وامر القاصد ايضاً بان تنسخ نسخة ترجمها هو من اللسان العربي الى اللسان اللاتيني لتقدمها الى المجمع المقدس.»[٢٣] وهذه النسخة العربية الاصلية والنسخة التي ترجمها القاصد من العربي الى اللاتيني اشار اليها ولا شك في كلامه في العدد السابق[٢٤] من التقرير المذكور حيث يقول : «وكل ذلك من عربي ولاتيني يخضع للمجمع المقدس بصورة صحيحة . » وينتج عن ذلك مما تحسن ملاحظته ان السمعاني كتب تقريره المذكور بعد رجوعه الى روما ودفع الى المجمع المقدس النسخة العربية الحاملة تواقيع واختام آباء المجمع والنسخة التي ترجمها من

٢٢) حاشية المؤلف : الطبعة اللاتينية صفحة ٤٤٥ (تعريب نجم صفحة ١٦٠)
٢٣) حاشية المؤلف : تقرير قصادة عدد ٣٠
٢٤) حاشية المؤلف : تقرير قصادة عدد ٢٣

11) Dopo ciò il Patriarca e l'Ablegato «deputarono due soggetti per ricavarne dall'*originale arabico*, che dovea umiliarsi alla S. Sede, altrettante copie, cioè per il Patriarca, e per li Vescovi le quali, collazionate in forma autentica si doveano conservare a futura memoria: ciò, che seguì, e le copie si consegnarono à Mons. Tobia fratello cugino del Patriarca: *ed intanto l'Ablegato fece fare una copia da esso tradotta dall'Arabo in Latino, per esser presentata alla S. C.»* (Relaz. dell'Ablegaz. §. XXX). Ed è appunto dell'*originale arabico*, e della *copia tradotta dall'Arabo in* Latino, che lo stesso Ablegato avea parlato nel precedente § XXIII della citata *Relazione*, dicendo : « *Il tutto in forma autentica, si Arabico, come Latino, umiliosi alla S. C.»* Dal che risulta, e qui giova prenderne nota, che l'Assemani, ritornato in Roma, giachè egli scrisse la detta *relazione* dopo il suo ritorno, ha esibito alla S. C. l'*esemplare arabo*, sottoscritto e sigillato da' Padri del Sinodo, e la *copia da lui tradotta dall'arabo in latino*; onde è fuor di dubbio non aver egli presentato alla predata S. C. lo *schema* latino, che seco avea portato nel muovere per l'Oriente, edal quale tradusse l'esemplare arabico, come si è di sopra accennato (§§. 7-8):

اللسان العربي الى اللاتيني . وعليه فانه ولا شك لم يتقدم الى المجمع المقدس المذكور المشروع اللاتيني الذي استصحبه في انتقاله الى الشرق والذي عنه ترجم النسخة العربية كما ذكرها آنفاً[٢٥] بل الترجمة اللاتينية المنقولة عن النسخة العربية وهذه نفسها فحصها آباء المجمع وتباحثوا فيها ونقحوها وثبتوها[٢٦]

١٢) وفي نفس الوقت تقريباً الموافق رجوع السمعاني الى روما وذلك سنة ١٧٣٨ انفذ البطريرك ، الذي قد يكون ندم على توقيع المجمع ، الى روما

٢٥) حاشية المؤلف : تقرير قصادة عدد ٧-٨

٢٦) حاشية المؤلف : يوافق ان يُشار هنا الى التباس وقع فيه كما يظهر مؤلف اول ملحوظة خزانية (مجمل صفحة ٩٣) فقد قال ان السمعاني سلم الى المجمع المقدس نسختين احداهما عربية والاخرى لاتينية ويثبت قوله مستنداً الى رقمة تاريخها ١٦ آب سنة ١٧٤١ وقد كتبها الكردينال الرئيس وهي تتضمن ما يلي : « أنفذ السمعاني الى الطائفة المذكورة بصفة قاصد وحمل الى البطريرك سلطة ليعقد مجمعاً ولما رجع جاء بمجلدين كبيرين يحويان قوانين المجمع المذكور وجاء علاوة على ذلك بطلب لتثبيته الرسولي وقعه البطريرك والاساقفة.» وقد ظن مؤلف الملحوظة ان هذين المجلدين الكبيرين هما نسختان للمجمع بلغتين مختلفتين العربية واللاتينية . واما المجلدان الكبيران فهما النسخة اللاتينية ليس إلا وهي الترجمة كما ذكرنا عن النسخة العربية وهي مقسومة الى مجلدين كبيرين وسيظهر ذلك بجلاء فيما بعد .

ma bensi la tradizione latina fatta, com'egli afferma, dall'arabo esemplare, il quale era stato esaminato, discusso, emendato ed approvato dai Padri del Sinodo (1).

12) Quasi contemporaneamente al ritorno dell'Assemani in Roma, che avvenne nel 1738, il Patriarca pentito forse di aver sottoscritto il Sinodo, spedì in Roma uno dei Segretarii dello stesso Sinodo, certo Don Elia Saad

(1) *E qui sarà bene indicare un equivoquo, in cui sembra caduto l'autore della prima nota d'Archivio (Som. p. 93). Dopo aver egli detto che l'Assemani consegnò alla S. C. due essemplari, uno arabo, l'altro latino, cita in conferma il biglietto del Card. Prefetto dei 16 Agosto 1741, così concepito: « Essendo ritornato Mons. Assemani inviato Ablegato alla detta nazione con facoltà di congregarsi un sinodo dal Patriarca, portò seco due grandi tomi contenenti i canoni di detto Sinodo celebrato, con supplica del Patriarca e Vescovi per la conferma apostolica del detto Sinodo.» L'autore della nota ha creduto che quei due grandi tomi fossero due esemplari del Sinodo in lingua diversa, latina ed araba, mentre essi non constituivano che l'unica copia latina, tradotta, come si è detto di sopra, dall'arabo, e divisa in due grandi tomi, come meglio apparirà in seguito.*

احد كتاب اسرار المجمع المشار اليه المدعو الياس سعد مكلفاً اياه بان يحمل على عمل السمعاني نفسه وعلى شرعية المجمع ولا حاجة بنا للتوقف على ايراد ما قدمه الفريقان الى المجمع المقدس من ادعاآت وكتابات لانها خارجة عن الموضوع ويكفي ان نورد على مدى اوسع الرقعة المذكورة منذ هنيهة [٢٧] التي كتبها الكردينال الرئيس في السادس عشر من آب سنة ١٧٤١ الى الكردينال الباني لتكون لدى نيافاتكم فكرة صحيحة عما يتعلق بالتحقيق الذي قام به الكرسي الرسولي في فحص المجمع المقول عنه وتثبيته . وهاك مضمون تلك الرقعة : « ان الكردينال رئيس مجمع الانتشار يرى من واجبه ان يعلم الكردينال الباني الكلي النيافة والمفوّض الجديد للبحث في الاجتماع الخاص في دعوى المجمع الماروني بحال هذه الدعوى وهي الآتية : « أنفذ السمعاني الى الطائفة المذكورة بصفة قاصد وحمل الى البطريرك سلطة ليعقد مجمعاً ولما رجع جاء بمجلدين كبيرين يحويان قوانين المجمع المذكور وجاء علاوة على ذلك بطلب لتثبيته الرسولي وقعه البطريرك والاساقفة . وعين اكليمنت الثاني عشر مجمعاً خاصاً لهذه الغاية وكان الملخص السيد الكردينال رزونيكو . وقُدمت كتابات من قبل البطريرك يحمل بها على ثلاثة قوانين [٢٨] واخرى من قبل القاصد لتثبيت المجمع . وطرقت

٢٧) حاشية المعرب : اي في الحاشية ٢٦ .

٢٨) حاشية المؤلف : ان القوانين الثلاثة المختلف عليها تتعلق اولاً بتوزيع الزيوت المقدسة ، ثانياً بسكنة الرهبان للراهبات، ثالثاً بثبات الاساقفة في ابرشياتهم (سنعرب وننشر كتابة السمعاني تتعلق بهذه القوانين الثلاثة) .

(Felici), col mandato di combattere l'operato dello stesso Assemani, e la legittimità del Sinodo. E senza star qui a narrare le contese e le scritture *hinc inde* presentate alla S.C., perchè fuor proposito, basterà riportare per *extensum*, il testè citato biglietto dell'Emo Card. Prefetto dei 16 Agosto 1741 al Card. Albani, per potere le EE. VV. formarsi un esatto concetto del processo tenuto dalla S. Sede nell'esame ed approvazione del Sinodo in parola: «Il Card. Prefetto di Propaganda (così il biglietto) stima suo dovere il significare all'Emo Card. Albani, nuovo deputato nella Congregazione Particolare della causa del sinodo de' Maroniti, lo stato di detta causa, che è il seguente. Essendo ritornato Mons. Assemani Inviato Ablegato a detta Nazione con facoltà di congregarsi un Sinodo dal Patriarca, portò seco due grandi tomi contenenti i canoni del detto Sinodo celebrato, con supplica del

الكتابات كثيراً من المواد الوضعية ولذلك امرت قداسة سيدنا المجمع بان يتابع عمله من الوجهة المدنية وان يعيّن فاحصاً جنائياً يهتم بالامر الجنائي . وقد انتخب لذلك السيد اينوسنزي . وعرضت بالتالي الدعوى المدنية المذكورة وكان ملخصها الكلّي النيافه المشار اليه وذلك في الثلاثين من ايار الماضي وارتأى المجمع لكون المسألة تتعلق بمجمع اقليمي انه لا يكفي ان يقتصر البحث على القوانين الثلاثة المختلف عليها بل يجب ان يتناول ايضاً النظر في المجمع باجمعه ليتحقق الكرسي الرسولي عملاً بواجب الوظيفة اذا كان عليه ان يثبت المجمع جملة وتفصيلاً[٢٩] ولذلك عين سيدنا المطران جبرائيل حوا رئيس اساقفة قبرص الماروني والاب توما البودي رئيس الرهبان اللبنانيين العام والاباتي رودوتا كاتب المكتبة الفاتيكانية ليعيدوا النظر في المجمع المذكور . وقدم هولاء تقاريرهم[٣٠]

٢٩) حاشية المعرّب: لم نجد افضل من هذا لتعريب الالفاظ اللاتينية In parte. et partibus لاعتقادنا بوجود غلط في النسخ قديكون وقع بابدال لفظة in genere بلفظة in parte .

٣٠) حاشية المعرب: سنعرب وننشر هذه التقارير .

Partiarca, e Vescovi per la conferma apostoliva di detto Sinodo. Deputata sopra di ciò una Congregazione Particolare da Clemente XII, fù destinato Ponente il Sig. Card. Rezzonico, ed intanto furono fatte delle scritture per parte del Patriarca impugnando tre Canoni (I), e per parte dell'Ablegato per l'approvazione; e perchè in dette Scritture si entrava in molte materie obiettive, la Santità di Nostro Signore ordinò, che rispetto al Civile continuasse detta Congregazione, e rispetto al Criminale si deputasse dalla medesima un Revisore Criminale, e fù eletto il Sig. Innocenzi. Propostosi pertanto detta Causa Civile dal detto Emo Ponente sotto li 30 Maggio passato fù stimato dalla Congregazione, che trattandosi di un Concilio Provinciale, non si dovesse stare solamente ai tre Canoni controversi, ma si dovesse esaminare, e rivedere tutto il Sinodo per riconoscersi ex officio se in parte, et partibus deva essere detto Sinodo confermato dalla S. Apotolica, onde in sequela di tale risoluzione N. S. deputò Mons. Gabriele Eva Arcivescovo Maronita di Cipro, il Padre Tommaso Budi Generale de Monaci Libanesi, e l'Abbate Rodotà Scrittore della Biblioteca Vaticana, a rivedere detto Sinodo,

(*I*) *I tre controversi riguardano. 1° la distribuzione dei Santi Olii. — 2° la coabitazione de' Monaci colle Monache — 3° l'amovibilità dei Vescovi dalle loro Diocesi,*

ومن ثمّ توجب على المجمع ان يبحث في المسائل المرسلة الى نيافتكم مشاراً اليها بالحرف A الخ...»

١٣) وعُقد الاجتماع في ٢٧ آب سنة ١٧٤١ بحضور الكليّ القداسة وعُرضت للبحث المسائل الآتية :

١ – هل يثبت ان المجمع المشار اليه شرعي –

٢ – هل يعتمد الى القانون القاضي بتحريم سكنى الراهبات او النساء مع الرهبان وكيف يجب تعديله .

٣ – هل يعتمد ويستحق التثبيت القانون الناهي البطريرك عن اخذ شيء ايًا كان بحجة توزيع الزيت المقدس على كهنة الرعايا.

٤ – هل يجب تثبيت القانون القاضي باستقرار الاساقفة الموارنة في نفس الكنائس الاسقفية المرسومين عليها وما القول في الفصل ٤١ من ذيل المجمع المشتمل على تقسيم كراسي الاساقفة وبيان حدود الابرشيات المارونية هل يجب تثبيته بشأن توزيع الابرشيات على الاساقفة بحيث لا يسوغ للبطريرك ان ينزعها منهم .

---

e questi avendo date le loro relazioni, doveranno esaminarsi in Congregazione i Dubi (sic) che si transmettono all'E.V. segnati lettera A etc» (1).

13) Tenutasi la Congregazione ai 27 Agosto 1741 *coram SSmo.* e proposti i dubbi:

1. *An constet de legitimitate dictae Synodi.*

2. *An Canon quoad cohabitationem prohibitam Monialium seu Mulierum cum Monachis sustineatur, vel quamodo moderandus.*

3. *An Canon prohibens Patriarchae quamcunque exactionem in distributione Olei sancti Parochis sustineatur, et mereatur confirmationem.*

4. *An canon quoad residentiam Episcoporum Maronitarum in propriis Titulis Ecclesiarum Episcopalium sit approbandus, et quid quoad appendicem Synodi Cap. 41, in quo adest divisio Sedium Episcopalium cum limitibus Dioecesum Maronitarum, sit approbandus pro distributione Dioecesum in tot Episcopis, ita ut non possint amoveri a Patriarcha.*

---

(1) *T. XII delle Miscellanee Maroniti dell'Archivio di Propaganda.*

٥ – هل يجب ان يقدم الرأي الى قداسته ليثبت المجمع المذكور بموجز رسولي ايضاً . وفي نفس الاجتماع الخاص أُجيب على هذه الاسئلة كما يلي :

على الاول : بثبوت شرعية المجمع وذلك باجماع الرأي .

وعلى الثاني : بتثبيت القانون من غير تثبيت الاديرة .

وعلى الثالث: بوجوب تثبيته وبان على الحبر الاعظم ان يتنازل ويعني بالسيد البطريرك من وجه آخر .

وعلى الرابع : بتثبيت القانون القاضي باستقرار الاساقفة وبان يُرجع الى الاب الاقدس فيما انطوى عليه الفصل ٤١ من ذيل المجمع من تعيين كراسي مطارنة الموارنة واساقفتهم وحدودها .

وعلى الخامس : بوجوب الاتجاه الى الاب الاقدس ليتنازل ويثبت المجمع بموجز رسولي بعد ان يزاد على النسخة الاصلية بعض ملاحظات واصلاحات في بعض القوانين كما هو مذكور في صفحة أفردت لهذا الغرض . وقد عهد الى الكردينال الملخص السامي الاحترام تنفيذ ما ذكر بحيث يشتمل الموجز الرسولي على تثبيت النسخة الاصلية دون ان يُؤتى فيه بذكر الاصلاح الآنف الذكر

5. *An sit consulendum SSmo pro approbatione dictae Synodi etiam per Breve Apostolicum.*

Ai quali dubbi venne rispoto nella stessa Congregazione particolare come segue:

Ad 1. Constare de legitimitate Synodi omnibus suffragantibus.

Ad 2. Pro approbatione Canonis, citra tamen approbationem Monasteriorum.

Ad 3. Approbandum (sic) et ad SSum qui dignetur alio modo providere D. Patriarchae.

Ad 4. Pro approbatione Canonis demandantis Residentiam Episcoporum, et ad SSum quoad contenta in Appendice Cap. 41 in quo proponuntur Metropolitanorum, et Episcoporum Maronitarum Sedes, et limites.

Ad 5. Ad SSum, qui dignetur approbare Synodum cum Brevi Apostolico, postquam in Originali fuerint adiectae aliquae adnotationes et reformationes in quibusdam Canonibus, sicut in folio ad partes, cujus executio commissa fnit (sic) Rmo Cardinali Ponenti, ita ut in Brevi fiat approbatio Originalis

وبحيث يثبت في الموجز نفسه القيود العمومية بمقتضى عادة التثبيتات الرسولية[٣١]

١٤) وصدر الموجز الرسولي «اهتمام الاحبار الرومانيين الفريد»[٣٢] مثبتاً المجمع بتاريخ اول ايلول سنة ١٧٤١ ودُفع مع غيره من موجزات الى الكاهن الآنف الذكر الياس سعد الذي تسلّم ايضاً نسخة المجمع العربية المخطوطة والتي وقعها وختمها الآباء ليحملها الى بطريركه حتى ينقلها ويعيدها بعد ذلك الى المجمع القدس . وتشتمل خزانة المجمع على دليلين لذلك لا مردّ لهما . اولهما النسخة الاصلية لرقعةٍ كتبها الكلي السمو بطرا وهي تتضمن امرًا موجهاً الى حافظ الخزانة يشير بتسليم المخطوط المذكور الى سعد وهاك مضمونها : « ان حافظ الخزانة يستطيع ان يسلم الى السيد الاب الياس سعد وكيل البطريرك الماروني النسخة العربية المخطوطة لمجمع جبل لبنان الطائفي . هذا النهار ٤ تموز سنة ١٧٤٢ . وعليه ان يأخذ وصولًا بذلك وعهدًا بايصالها الى البطريرك » . الكردينال ف. بطرا الرئيس . ان الكلمات المشار اليها بخط كتبتها نفس

٣١) حاشية المؤلف : قرار الاجتماع الخاص بتاريخ ٢٧ آب ١٧٤١ وهو موجود في النشرة اللاتينية صفحة ٤٧٢ (نجم صفحة ١٨٩ من ذيل المجمع).

٣٢) حاشية المؤلف : مجموعة براءات البروبغندا المجلد الثالث صفحة ٣

absque mentione dictae emendationis, et in eodem Brevi apponantur clausulae generales juxta solitum eiusmodi approbationum Apostolicarum (Decreto della Congregazione Particolare dei 27 Agosto 1741 esistente nell'ed. lat. p. 472).

14) Spedito il 1 Settembre 1741 il Breve Apostolico, *Singularis Romanorum Pontificum* (1), confermativo del Sinodo, fu consegnato una con altri Brevi al sullodato sacerdote Elia Felici. Cui pure fu affidato il manoscritto arabo dello stesso Sinodo, firmato e sigillato dai Padri del medesimo, perchè lo avesse portato al suo Patriarca affine di copiarlo, e quindi rimandarlo alla S. C. Di ciò si hanno in Archivio due ineluttabili argomenti. Uno é l'originale del biglietto dell'Emo Petra, col quale si dava l'ordine all'Archivista di consegnare al Felici il suddetto manoscritto, del seguente tenore: «l'Archivista di Propaganda potrà consegnare al Sig. Don Elia Felici Agente del Patriarca dei Maroniti il Sinodo Nazionale del Monte Libano manoscritto in lingua Araba. Questo di 4 Luglio 1742 *con lasciarne ricevuta ed obbligo di portarlo*

(1) *Bull. Prop. Tom. III p. 3.*

اليد التي وقعت الرقعة ولذلك فان الكردينال الرئيس هو الذي اضافها . والكتابة الثانية هي الوصول الذي تركه المدعو سعد وهذه عباراته : « انا الموقع بذيله قد تسلمت من السيد دومينيك باياردي حافظ خزانة مجمع انتشار الايمان المقدس كتاب مجمع جبل لبنان الطائفي المنعقد سنة ١٧٣٦ : خط عربي، ١٩٢ صفحة، جلد احمر . وقد دفعه اليّ حافظ الخزانة المذكور بمقتضى امر السيد الكلّي السمو الكردينال الرئيس فتعهدت بايصاله الى بطريركي لينقله وبعد ذلك يرجعه الى المجمع المقدس . للبيان حرر . هذا النهار ٥ تموز سنة ١٧٤٢ . الياس سعد رسول سيادة يوسف الخازن بطريرك انطاكية الماروني »[٣٣] . ولكن المخطوط المذكور لم يرجع قبل سنة ١٨٦٦ كما تشهد بذلك ملحوظة وُضعت على صفحة حافظة[٣٤] لنفس الدفتر هذه عباراتها : « نسخة عربية بيد المؤلف للمجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦ وقد اعادها الى القاصد الرسولي (ڤالرجا) في سوريا البطريرك الماروني وذلك في تشرين الاول سنة ١٨٦٦ . » وهذا الدفتر موجود الآن في خزانة البروپغندا وهو جامع لكل الصفات المشار اليها في وصول سعد

٣٣) حاشية المؤلف : ان الكتابتين الاصليتين محفوظتان في المجلد الخامس من المختلفات المارونية .

٣٤) حاشية المعرب : هي ورقة توضع كغلاف للدفتر لتحفظ الاوراق الاولى والاخيرة من التلف .

---

a Mons. Patriarca. V. Card. Petra Prefetto. Le parole in corsivo sono della stessa mano della firma autografa, perciò aggiunte dal Card. Prefetto. L'altro documento è la ricevuta rilasciata dal nominato Felici così concepita: «Io sottoscritto ho ricevuto dal Sig. D. Domenico Baiardi, Archivista della S.C. de Propaganda Fide il Libro del Sinodo Nazionale del Monte Libano celebrato nel 1736: in lingua Arabica, di facciate 192: in pelle rossa la qual consegna mi è stata fatta dal suddetto Archivista per ordine dell'Emo Sig. Card. Petra Prefetto; obligandomi ancora di portarlo a Mons. mio Patriarca a fine di copiarlo, e dopo che sarà copiato rimandarlo alla detta S. C. in fede, questo di 5 Luglio 1742 Elia Felici Inviato di Mons. Giuseppe Pietro Gazeni, Patriarca Antiocheno de Maroniti» (1) Se non che, il detto manoscritto non si potè riavere prima del 1866, come rilevasi da una nota apposta sul foglio di guardia

(1) *Tutti e due i documenti originali sono nel T. V Miscellanee Maroniti.*

المذكور[٣٥]. وعليه فلا سبيل للارتياب بانه هو هو وسيظهر ذلك في محله بجلاء اكثر. ويوافق الآن ان نشير الى انه بينما كان المخطوط العربي في الشرق قيل ان نسخة المجمع الموما اليه الشرعية والمكتوبة باللاتيني أُبقيت في خزانة مجمع الانتشار وذلك في الصفحة الرابعة من تقرير طبع في رومه سنة١٧٤٤ عنوانه : « فيما يتعلق ببعض حوادث جرت في سوريا لدى الطائفة المارونية الخ . . . »

١٥) وعاد الكاهن الياس سعد الى لبنان بعد غياب ٤ سنوات تقريباً وكان البطريرك الخازني قد توفي وانقسم الاساقفة الى حزبين وانتخبوا بطريركين. فتحول حق الانتخاب الى الكرسي الرسولي وعمد بنديكتوس الرابع عشر الى قطع دابر الشقاق فابطل الانتخابين السابقين وعين بطريركاً مارونياً سمعان عواد رئيس اساقفة دمشق ودفع سعد الى البطريرك الجديد الموجزات الرسولية

٣٥) حاشية المعرب: غير اننا لما كنا في روما السنة الماضية بحثنا عنها في خزانة مجمع الانتشار المقدس ولم نعثر عليها.

dello stesso codice nè' (sic) termini seguenti. *Autografo Arabo del Sinodo Libanese del 1736 restituito a Mons. Delegato Apostolico* (Valerga) *della Siria dal Patriarca Maronita nell'Ottobre* 1866. Questo codice, esistente ora nell'Archivio di Propaganda, ha tutti i connotati designati nella surriferita ricevuta del Felici; e perciò non si può dubitare della identità, come meglio vedrassi a suo luogo. Intanto giova avvertire che, mentre il manoscritto arabo era già stato portato in Oriente, nella *Relazione* stampata in Roma nel 1744 «*Sopra alcuni accidenti accorsi* (sic) *nella Siria* presso la Nazione Maronita etc. (sic) si dice a pagina 4 esser rimasta nell'Archivio di detta Congregazione di Propaganda la *copia autentica* di detto *Sinodo* in lingua latina.

15) Dopo circa quattro anni di assenza fece ritorno al Libano il Sacerdote Felici, ma ivi trovò che il Patriarca Gazzeno era morto, e che i Vescovi, divisi in due partiti, avevano eletto due Patriarchi. Devoluta alla S. Sede la elezione del Patriarca per terminare lo scisma Benedetto XIV, annullate le precendeti elezioni, nominò a Patriarca de' Maroniti Simone Evodio Arcivescovo di Damasco. Al novello Patriarca consegnò il Felici a mezzo del Delegato Apostolico, Padre Giacomo da Lucca, tanto i Brevi quanto l'esemplare arabo del

ونسخة المجمع العربية[٣٦] وذلك بواسطة القاصد الرسولي الاب يعقوب دالوكا. واستلمها البطريرك مع اساقفته وقبلوا تثبيت المجمع وساروا كلهم بوجبه[٣٧].

البحث الثاني

لمحات تاريخية في الطبعتين العربية واللاتينية للمجمع اللبناني المنعقد سنة ١٧٣٦

١٦) لم ينشر المجمع اللبناني بواسطة المطابع الا مرتين[٣٨] ففي المرة الاولى طُبع باللغة العربية سنة ١٧٨٨ بعناية البطريرك الماروني سيادة اسطفان. وفي المرة الثانية باللغة اللاتينية ١٨٢٠ بامر المجمع المقدس ولا بد من لمحة تاريخية في الطبعتين تزيد موضوع بحثنا ايضاحاً.

٣٦) حاشية المؤلف: قد أخذ كل ذلك عن الكتابتين الرسولتين « انه ليس بحكم بشري » بتاريخ ١٣ اذار ١٧٤٣ و « اخيراً لتهدئة » بتاريخ ١٦ من ذات الشهر والسنة. (ان الرسالة الثانية هي : Nuper ad sedandas وليس Nuper ad Nos كما يقول المؤلف)

٣٧) حاشية المؤلف: مجمل عدد ٢ صفحة ٥

٣٨) حاشية المعرّب: لا يغرب عن البال ان المؤلف كتب ذلك سنة ١٨٨٣

Sinodo (1). Ed il Patriarca una co' suoi Vescovi ne prese consegna, ed accettò la conferma del Sinodo cui uniformarono tutti la loro condotta (Som. N II, p. 5).

Articolo 2

Cenni storici sulle edizioni araba e latina del Sinodo Libanese del 1736.

16) Due sole edizioni a stampa sono state fatte del Sinodo Libanese. La prima in arabo nel 1788 a cura del Patriarca Maronita Mons. De Stefanis, l'altra in latino nel 1820 per ordine della S. C. Dell'una e dell'altra è necessario dare breve relazione storica per maggior chiarezza della questione di cui si tratta.

(1) *Rilevasi tutto questo dalle lettere apostoliche* Quod non humano *dei 13 Marzo 1743, e* Nuper ad Nos *(sic) de' 16 dello stesso mese ed anno.*

في الطبعة العربية

١٧) بالرغم من تثبيت هذا المجمع بموجز خاص اصدره الكرسي الرسولي وبالرغم من وعد الروساء الموارنة بالسير بموجبه لم تأتِ النتيجة مطابقة للآمال المعقودة ولا كانت مراعاة المجمع، مهما كان السبب، فورية كما كان يُرجى. ومما شوش النظام في ذلك الوقت شقاق مؤسف وكثير الخطورة نشأ بين الرهبان المدعوين جبليين لكونهم يقطنون اعالي لبنان والرهبان الحلبيين القاطنين بجوار حلب، وطالت كثيرًا مدة ذلك الشقاق فاثار شكوكًا جمة لما تُوغل فيه من مخالفات للنظام عظيمة ولما تمسك به من احتقار للتأديبات البطريركية. فهاجت الامة هيجانًا وهاج اعيانها وكذلك اساقفتها فناصروا هذا الحزب او ذاك من الرهبان المنشقين. وهكذا تخلخلت ممارسة السلطة البطريركية وضعفت. فرأى المجمع المقدس ان يتداخل مباشرة فكلّف حافظ الارض المقدسة الاب لويس دي بستيا بان يسعى للتوفيق بين المنشقين بالاتفاق مع البطريرك والاساقفة الاكثر نفوذًا على الاقل.

١٨) وطرب البطريرك طربًا عظيمًا لهذا التدبير وشعر بنفسه قويًا باستناده

Dell'edizione araba

17) Benchè quel Sinodo fosse stato confermato con apposito Breve della S. Sede, e i Prelati Maroniti ne promettessero l'osservanza, tuttavia l'effetto non corrispose alla preconcepita speranza, nè l'osservanza del medesimo, qualunque ne fossero i motivi, fu così pronta come si sarebbe desiderato. Tra i disordini del tempo ebbe a deplorarsi il gravissimo dissidio che si eccitò fra i Monaci detti Montagnoli, perchè residenti nelle alture del Libano, e gli Aleppini, perchè abitanti nei pressi di questa città. Dissidio che fu ben lungo e scandaloso, avando proceduto a notevoli infrazioni di disciplina con pertinace disprezzo delle censure inflitte dal Patriarca, con molta agitazione della nazione, de' suoi Notabili ed anche de' Vescovi che prendevano parte per l'una e per l'altra fazione de' Monaci dissidenti. Reso così vacillante ed incerto l'esercizio dell'autorità del Patriarca, la S. C. stimò intervenire direttamente commettendo al Custode di Terra Sancta P. Luigi di Bastia la conciliazione dei dissidenti, da procurarsi con intelligenza del Patriarca e de' Vescovi almeno più influenti.

18) Lietissimo il Patriarca di questa dispozione e sentendosi rafforzato

الى معاضدة الاب الحافظ من قبل السلطة الذي كان يتمتع ايضاً بنفوذ شخصي كبير . وعليه فقد رأى البطريرك موافقاً ان يغتنم الفرصة ويعقد مجمعاً يداوي به التهذيب الكنسي الساقط . والتأم المجمع في ايلول سنة ١٧٦٨ في دير مار يوسف غوسطا وشاء البطريرك ان يحضره الاب الحافظ بصفته قاصد الكرسي الرسولي . وبعد ذلك تمت بخير مصالحة الرهبان . ويستحق الذكر القانون الثامن عشر من قوانين هذا المجمع وهو التالي :« اتفقوا الآباء جميعهم بقلب واحد ورأي واحد بانهم قابلين المجمع اللبناني المقدس وكل القوانين والرسوم التي حددها فيه الآباء ... وذلك لكونه ضرورياً ومفيداً لنظام طائفتنا المارونية سيما لكونه مثبت من الكرسي الرسولي المقدس وعزموا بانهم يحفظوه جميعاً ... بغير خلاف ولا عذر ، وكل من الاساقفة يحفظ عنده نسخة المجمع ليتأملها جيداً حيناً بعد حين ويحرز كهنة رعيته على حفظ ما يخصهم من ذلك وكذلك فليُتلى في ديورة القانونية في المائدة اقله في العام مرة »[٣٩] .

١٩) ان اعمال هذا المجمع التي دُعي بمجمع غوسطا والقوانين التي وضعت

٣٩) حاشية المعرب : لم يُعرب هذا القانون عن النص الطلياني بل نُسخ حرفياً عن نسخة عربية للمجمع .

dall'autorevole intervento del P. Custode, che godeva anche molta personale influenza, stimò opportuno profittarne per tenere un Sinodo a fine di provvedere anche alla decaduta ecclesiastica disciplina (sic). Il Sinodo si tenne nel Settembre 1768 nel monastero di S. Giuseppe di *Agosta*, e volle il Patriarca v'intervenisse il Padre Custode qual Delegato della S. Sede; dopo che si riuscì felicemente alla riconciliazione de Monaci. Fra i canoni dello stesso sinodo è rimarchevole il seguente n. 18 «Sono convenuti concordemente tutti li Padri con unanime consentimento di accettare il santo Sinodo Libanese, e tutti li canoni e decreti fatti in esso... essendo esso necessario e proficuo per il buon'ordine della nostra nazione Maronita, specialemente perchè fu confermato dalla S. Sede Apostolica; e tutti hanno risoluto di osservarlo... senza veruna scusa, pretesto e trasgressione: ciascheduno de' Vescovi tenga presso di sè una copia di esso Sinodo per ben considerarla in ogni tempo, e per far notare ai Sacerdoti della diocesi quello che spetta ad essi di osservare; e parimenti si legga ne' monasteri in tempo della mensa, almeno una volta l'anno».

19) Gli atti del Sinodo di *Agosta*, che così fu chiamato, e i canoni in esso

فيه دفعت الى المجمع المقدس ليفحصها كما جرت عليه العادة واصحبها البطريرك والاساقفة برسالة. وهاك ما وردعنها في ملخّص التقرير المتعلق بالمجمع بتاريخ ٢٤ تموز ١٧٦٩ : «ان سيادة البطريرك وكل اساقفة الطائفة المارونية يشكرون بكل تواضع الخ... ويقولون انهم عقدوا مجمعاً خاصاً وسنوا فيه قوانين مختلفة يرجون الكرسي الرسولي ان يثبتها ويضيفها الى المجمع اللبناني الذي ثبته بندكتوس الرابع عشر الطيب الذكر وذلك رغبة منهم في اتقان النظام الكنسي ونظرًا لما هم عليه من احترام وخضوع للاوامر الرسولية وتعليمات المجمع المقدس بصدد العمل بموجب المجمع اللبناني ... فمن جهة اولى انه لا بد من ان يقتني نسخة للمجمع المذكور ليس فقط كل من الاساقفة بل من الكهنة ايضاً ومن رؤساء الاديرة لان كل الخير الروحي وحسن نظام الكنيسة يتعلقان عليه . ومن جهة ثانية انه يصعب جدًا الحصول على تلك النسخة نظرًا لعدم وجود الطباعة ولبهظ مصروف النسخ بخط اليد . فلذلك ان البطريرك والاساقفة يتقدمون معاً من نيافاتكم بألحّ الطلبات والحّها لتتنازلوا وتأمروا بطبع المجمع الذي يشاؤون طبعه باللغة اللاتينية واللغة العربية بحرف[٤٠] سرياني».

٤٠) حاشية المعرب : اللغة العربية بالحرف السرياني هي ما نسميه الكرشوني

fatti furono rimessi alla S. Sede pel consueto esame con lettera dell'Episcopato e del Patriarca. Ed ecco come nel Ristretto della relativa Ponenza (24 Luglio 1769) se ne dava relazione «Essi Mons. Patriarca poi e tutt'i Vescovi della nazione Maronita rendono umilissime grazie etc... e dicono che appunto in ossequio degli ordini apostolici e delle istruzioni della S.C. riguardo all'osservanza del Libanese concilio, e all'esattezza della ecclesiastica disciplina, hanno adunato un sinodo particolare, e stabilito vari canoni che desiderano siano confermati dalla S. Sede e *aggiunti al Concilio Libanese*, già approvato dalla sa. me. di Benedetto XIV... Siccome però da una parte è necessario che di detto concilio ne abbiano copia non solo i Vescovi, ma anche i Curati e i Superiori de' Monasteri, dipendendo da esso tutto il bene spirituale e il buon'ordine della Chiesa; e dall'altra è molto difficile il poterlo avere per mancanza della stampa, e per le (sic) grave spesa che ci vuole a farlo trascrivere; così il Patriarca unitamente a suoi Vescovi porge all'EE. VV. le più efficaci istanze, affinchè si degnino di ordinare la impressione, la quale desiderrebbero che fosse fatta in due lingue, latina ed araba col carattere siriaco».

٢٠) واضاف البطريرك في رسالة خاصة[٤١] قائلاً: «وانا اكثر من الكل ارجو نيافتكم بكل الحاح ان ترتضوا وتسمحوا بان تطبعوا معاً المجمع اللبناني والقوانين التي وُضعت حديثاً وذلك لازدياد منفعة هذا الاكليروس فيمتنعوا عن الاعتذار بالجهل متى سنحت الفرصة لذلك.» وكتب ايضاً الاب لويس دي بشتيا المذكور[٤٢] الى الحبر الاعظم والتمس منه ان يثبت بسلطانه الرسولي مجمعهم المشار اليه المنعقد في غوسطا وان يأمر بنفس الوقت بدفعه للطبع مع المجمع اللبناني ويطبع لهم منهما ما يشاؤون من النسخ. لان ذلك ضروري جداً جداً لاعادة قليل من التهذيب الكنسي المفقود تقريباً في تلك البلاد الشقية المفتقرة خاصة الى الكتب. ان الكرسي البطريركي يرزح تحت الديون الباهظة... ولذلك الاساقفة... يلتمسون المصروف اللازم». وقد طُرح السؤال التالي (الثاني) في اجتماع الرابع والعشرين من تموز سنة ١٧٦٩: «هل يجب ان يؤمر بطبع المجمع اللبناني لمنفعة الطائفة المارونية» وأُجيب عليه بالنفي. ولم يتوصل حافظ الخزانة[٤٣] رغم ابحاثه الكثيرة الى معرفة سبب ذلك الرفض.

٤١) حاشية المؤلف: تاريخها ١٠ ك ١ سنة ١٧٦٨

٤٢) حاشية المؤلف: بتاريخ ١٠ ك ١ ١٧٦٨

٤٣) حاشية المعرب: ولكن النص الطلياني يقول: لم تتوصل الخزانة.

20) Il Patriarca, con speciale lettera (10 Xbre 1768) aggiungeva «ed io più di tutti ne prego istantemente l'E. V. a voler far si che *venga stampato in uno coi canoni ultimamente fatti il Libanese concilio* per maggior comodo di questo clero e per toglier loro all'occorrenza la scusa della ignoranza». Anche il suddetto P. Luigi da (sic) Bastia, (10 Decembre 1768) scrivendone al sommo Pontefice, lo pregava di confermare coll'Apostolica sua autorità il citato loro Concilio di Agosta (sic) e farlo *dare nel tempo stesso alla stampa unitamente all'altro concilio Libanese* in quella quantità che bramebbero, e che veramente sarebbe molto necessario per ristabilire alquanto la ecclesiastica disciplina, che in questi miseri paesi è quasi morta per la penuria che hanno specialemente di libri. E siccome in oggi la Sede patriarcale si trova sotto un grave peso di debiti... perciò i Vescovi... ricorrono per la necessaria spesa». Nella congregazione tenuta li 24 Luglio 1769 fu proposto il dubbio (2°): «Se debba ordinarsi la stampa del concilio Libanese per commodo (sic) della nazione Maronita» al quale si rispose *Negative*. Nè l'Archivio (sic), ad onta di molte ricerche, è riuscito a conoscere qual fosse il motivo di tale rifiuto.

٢١) وطال اجل الخلافات الخطيرة والبلبلات التي اوجدها بين الموارنة انتخاب الاساقفة خاصة وغير ذلك من مخالفات خطيرة للمجمع اللبناني . ولذلك عُين قاصدًا رسوليًا سيادة جرمانوس آدم مطران حلب الملكي . وهذا ارسل الى المجمع المقدس بتاريخ ٢٧ تموز ١٧٨٩ تقريرًا ضافيًا ذكر فيه ان البطريرك يقول انه لم يُقبل قط قرار المجمع اللبناني المذكور القاضي بفصل الرهبان والراهبات لان هذا القرار لا يمكن موافقته للحالة في جبل لبنان . واضاف (سيادة آدم) ما يلي :« لذلك صار بيني وبين سيادة البطريرك المشار اليه كلام كثير بصدد العمل بموجب المجمع اللبناني . فاجاب ان المجمع هذا رتبه سيادة المرحوم السمعاني وان البطريرك يوسف الخازن بطريرك الوقت رفض ان يشترك فيه فالتجأ سيادة السمعاني المذكور الى الحاكم وهو الامير ملحم فأوفد عشرة جنود ليجبروه على حضور المجمع . والبطريرك سمعان خليفته بين للكرسي الرسولي انه لا سبيل الى العمل بموجب بعض قوانين ذلك المجمع فلم يؤبه له ؛ وسجن رسوله مع الاب توما البودي النائب العام للرهبان اللبنانيين . واما نسخة المجمع المقدمة فقد حُرفت في الملاحظات المكتوبة على الهامش حيث ابدلت العبارات والقرارات بغيرها . ولذلك فالنسخات المأخوذة عن النسخات الاصلية تختلف بعضها عن بعض ولا توحي الثقة بتاتًا . وبالرغم من ذلك فان

21) Non cessando i gravi dissidi e disordini che venivano presso i Maroniti, specialmente sulla elezione de' Vescovi ed altre gravi trasgressioni del Sinodo Libanese, fu destinato Delegato Apostolico Mons. Germano Adami Vescovo Melchita di Aleppo. Questo in data 27 Luglio 1789 inviò ampia relazione alla S. C., in cui dopo aver riferito, che il Patriarca asseriva, non esser mai stato accettato l'ordine del detto Sinodo Libanese circa la divisione de' Monaci dalle monache, e non esser tale disciplina adattabile allo stato del Monte Libano, aggiungeva quanto segue «Perciò fu tenuto lungo discorso tra me e il predetto Mons. Patriarca in ordine alla osservanza del Sinodo Libanese. Egli rispose che il Sidono fu composto dal gia Mons. Assemani, e che il Patriarca Giuseppe Gazeno allora vivente non voleva intervenirvi, e il detto Mons. Assemani ricorse all'Emir Melhen (sic) allora Governatore, il quale mandò dieci soldati per obbligarlo di star presente al Sinodo. Ed il Patriarca Simone suo successore rappresentò alla S. Sede l'impossibilità di osservare alcuni canoni di quel Sinodo, ma non fu inteso, anzi il suo Delegato fu messo nelle carceri insieme col Padre Tommaso Budi Vicario Generale

البطريرك قد دفع للطبع في مطبعة مار يوحنا الشوير نسخة تُعد صحيحة واصلية وقد بوشر طبعها الذي ربما انجز بمدة قصيرة[٤٤] وقد اجبر الرهبان على ذلك المرحوم السيد غندور سعد الخوري الذي اخذ المصاريف على عاتقه . وانا قد زرت السيد غندور مستعيناً على ذلك بافرادٍ من عظماء طائفته واشعرته بان هذه النسخات لا توحي الثقة بتاتاً لاختلافها فيما بينها . وانه على كل حال يحسن صنعاً بارسال المال الى روما ليطبع هذا المجمع وفقاً للنسخة المذيلة بامضاآت القاصد والبطريرك والاساقفة ولكنه لم يرقه الانحياز الى رأيي مستنداً الى مشورة المعاكسين . وبعد ذلك طلبت من سيادة البطريرك النسخة الاصلية لارى فيها بعض نصوصٍ في اول المجمع وآخره فاجابني انه لا يستطيع التخلي عنها اكثر من يوم او يومين فقط . وانا اعلم ان لديه نسخة غيرها . واذا شاءت نيافاتكم

٤٤) حاشية المؤلف : انه من الصعب ان نفهم ما كتبه سيادة آدم في ٢٤ تموز سنة ١٧٨٩ قائلاً انه بُوشر طبع النشرة العربية بينما هذه النشرة تحمل تاريخ ١٧٨٨ (ربما حلت الصعوبة اذا فرضنا ان السنة ١٧٨٨ هي تاريخ بدء الطبع لا تاريخ نهايته) .

de' Monaci Libanese; e la copia del Sinodo presentata fu alterata in que' luoghi ch'erano stati notati in margine, e cambiati con altre espressioni e decreti, e perciò le copie fatte sopra gli originali sono diverse l'una dall'altra, nè meritano alcuna fede. Con tutto ciò il Patriarca ne ha presentata una copia esatta alla stamperia di S. Giovanni in Soairo, e come fosse l'originale: se n'è già cominciata la stampa e tra breve si spera di vederla finita (1), e che li monaci sono stati a ciò obbligati dal fu Signor Gandhur Sadel Curi, il quale s'incaricò delle spese: ed io ho visitato il Signor Gandhur per mezzo di persone ragguardevoli di sua nazione con avvertirlo che tali copie essendo tra loro differenti non meritano alcuna fede, e che in ogni modo sarebbe meglio di mandare il denaro a Roma per stampare quel sinodo secondo la copia sottoscritta dal Delegato dal Patriarca e dalli Vescovi. Ma egli non ha voluto aderire alla mia insinuazione appoggiato al parere de' contrari. Io di poi richiesi a Mons. Patriarca l'originale per rincontrare alcuni luoghi nel principio e nel fine di esso Sinodo. Egli rispose di non poter lasciarlo fuori di sue mani, se non che per uno o due soli giorni, quantunque io so che egli ne ha una seconda copia. Che se l'EE. VV. vogliono ne manderò loro un'esem-

(1) Non può facilmente spiegarsi, come M. Adami ai 24 Luglio 1789 scrivo, essersi cominciata la stampa dell'edizione araba, mentre questa porta la data del 1788.

فاني مرسل لكم نسخة عندما ينتهي الطبع فتطلعون حينئذٍ على الاختلاف القائم بين هذه النسخات والنسخة الاصلية المحفوظة لدى المجمع المقدس».

٢٢) وأبرز ذلك التقرير في اجتماع السابع من حزيران سنة ١٧٩٠ حيث طرح مع ما طرح من الاسئلة السؤال التالي (الثالث عشر) : «ما الذي ينبغي ان يجاب به سيادة القاصد بصدد طبع المجمع اللبناني الذي يقوم به السيد غندور» فاجاب المجمع : «يجب ان يرسل الى المجمع المقدس نسخة من الطبعة قبل انتشارها .» وكُتب ذلك الى سيادة آدم في ١٩ من حزيران ١٧٩٠ كما يلي : «انه بسبب الاضطراب العظيم الناتج عن الحرب في جبل لبنان يبدو بعيداً عن التصديق ان احداً باشر او اقلّه يتابع طبع المجمع اللبناني الذي امر به السيد غندور . وبالرغم من ذلك فان المجمع المقدس لا يكلفك فيما اذا تم ذلك العمل الا بان ترسل حالاً الى رومة نسخة منه معلقاً في هذه الاثناء توزيع النسخ الباقية الى ان تتم المقابلة بينها وبين النص الاصلي الموجود هنا في خزانتنا . ويمكنك ايضاً ان تنبه البطريرك وغيره من الاساقفة ليمتنعوا من ان يساعدوا في انتشار هذه الطبعة الى ان يُعترف بانها شرعية وصحيحة . » اما سيادة ادم(٤٥)

٤٥) حاشية المؤلف : «الاوراق الواردة» . «الموارنة» . مجلد ١٣ (الاوراق الواردة هي كتابات متعلقة باحدى الطوائف تصل الى المجمع المقدس فيوردها في اجتماعاته ويبحث فيها .

plare quando sarà finita la stampa; e allora comprenderanno la *diversità che passa tra queste copie e l'originale che si conserva presso la S. C.*».

22) Riferita questa relazione nell'Adunanza dei 7 Giugno 1790, fu proposto tra gli altri il seguente dubbio (n. 13) «Cosa debba rispondersi a Mons. Delegato intorno alla stampa del Sinodo Libanese, che si fa fare dal Sig. Gandhur». E la S. C. rispose «*Transmittatur exemplar S. C. antequam publicetur*». Il che fu scritto a Mons. Adami li 19 Giugno 1790 come appresso «Quantunque non sembri verisimile, che in tanto turbamento cagionato dalla guerra nel Monte Libano siasi messo mano, o almeno si prosegua la stampa del Sinodo Libanese ordinata del Sig. Gandur (sic), con tuttociò se mai ciò fosse, questa S. C. non le dà altra incombensa (sic) se non di transmettercene subito a Roma un esemplare, sospendendo intanto la pubblicazione degli altri, fintanto che possa farsene il confronto col *testo originale che abbiamo qui nel nostro archivio.* E di ciò potrà anche avvisare Mons. Patriarca e gli altri Vescovi, acciocchè non diano mano al divulgamento di questa opera.

فقد اجاب في ٢٩ آب (حساب قديم) ١٧٩٠ بصدد هذه المسألة بالعبارات التالية :« اما طبع كتاب المجمع اللبناني وما يتعلق به فقد انتهى وقد اصدرت امرًا بالا يُوزّع شيء من النسخات الى ان يصل امر نيافاتكم ومتى سافر احد من جهاتنا قاصدًا روما ارسل لكم نسخة مطبوعة . وقد طلبت من سيادة البطريرك الذيل الموضوع في آخر اعمال المجمع فاجابني بانه لا يوجد لديه نسخة واحدة منه ولم يطالعه عند احد . وقد عملت ما بوسعي لاصل اليه فلم اجده الى الآن عند احد.» وقد غادر سيادة ادم لبنان سنة ١٧٩٢ ولم يعلم احد اذا كانت النسخة العربية المذكورة ارسلت الى روما .

٢٣) وفيما يتعلق بشرعية المخطوط العربي المدفوع للطبع يقول كاتب المفكرة التاريخية[٤٦] انه نُسخ عن النسخة الاصلية العربية بخط المسجّل البطريركي جرجس حبيب الحاقلاني . لان هذا قد ترك في آخر المخطوط المذكور الكتابة التالية: « تم وانتهى في الرابع والعشرين من كانون الاول سنة ١٧٣٦ بيد كاتبه حبيب

٤٦) حاشية المؤلف: مجلة عدد ٢ صفحة ١١ (قد نشر هذه المفكرة نقلًا عن نسخة بخط المطران بطرس البستاني الخوري بولس عبود الغسطاوي في كتابه : « بصائر الزمان في تاريخ البطريرك يوسف اسطفان : بيروت ١٩١١ ص ١٣٤-١٥١ من ذيل الكتاب .

---

fin tanto che non siasi riconosciuta autentica e genuina». Mons. Adami (1) li 29 Agosto (stil. vecch.) 1790 rispondeva su questo argomento ne' seguenti termini «Circa la stampa del libro degli atti del concilio Libanese già è terminata. Ho fatto un'ordine che non si distribuisca veruna copia finchè verrà l'ordine delle (sic) loro EE. e quando partirà qualcheduno dalle nostre parti verso Roma manderò una copia stampata. Ed ho chiesto da Mons. Patriarca l'appendice messa nell'ultimo degli atti del concilio, mi ha risposto che non si trova presso di lui veruna copia affatto, e non l'ha letta presso nessuno; ed ho fatto il possibile per trovarla e non l'ho trovata fino al presente presso alcuno». Mons. Adami partì dal Libano nel 1792, e non si conosce, che la detta copia araba fosse stata inviata a Roma.

23) Intorno all'autenticità del manoscritto arabo consegnato alle stampe, l'autore della *Memoria storica* (Som. II, p. 11) dice essere stato trascritto dall'originale arabo dal Notaro Patriarcale Giorgio Habib Echellense, di cui in fine di detto manoscritto trovavasi la seguente epigrafe: «E stato finito.

(1) *Cart. Rifer. Maroniti vol. 13.*

الحاقلاني في دير سيدة لويزة بكسروان . » وفي الاسفل تواقيع سبعة من المطارنة المشتركين في المجمع وهم يصرحون :

« لقد اتضح بعد المقابلة ان هـذه النسخة مطابقة كل المطابقة للنسخة الاصلية التي ثبتها كل الحاضرين جلسات المجمع ووقعها وختمها سيادة البطريرك الكلي الاحترام ورؤساء الاساقفة والاساقفة الجزيلو الاحترام دون زيادة او نقصان في شيء بل نسخت كلمة كلمة وحرفاً حرفاً ويشهد الله بذلك . أعطي في الايام الاخيرة من كانون الثاني سنة ١٧٣٦» . اما النسخة المطبوعة والمحفوظة الآن في الخزانة فانها كانت تخص البطريرك حبيش المنتخب بطريركاً في ٢٥ من ايار سنة ١٨٢٣ . وبيان ذلك كتابة في جبهة النسخة : « من كتب الحبيشي.» واخرى في آخرها : « من كتب الكرسي البطريركي الماروني » وهي تحتوي ليس فقط على كتابة الخطاط بل وعلى تصريح الاساقفة المذكور . وعليه فلا سبيل للارتياب بان النسخة المدفوعة الطبع هي احدى النسخات التي امر بنقلها السمعاني والبطريرك حالاً بعد المجمع[٤٧] . وفضلاً عن ذلك ان مؤلف المفكرة

٤٧) حاشية المؤلف : راجع المقطع ١١ (من هذا المقال) .

e terminato ai 24 Decembre 1736 col pugno dello scrivente Habib Echellense, nel convento della Madonna di Loaize del Chesroano». Sotto poi vi erano le firme di sette Vescovi intervenuti al Sinodo, i quali dichiaravano: «È stato collazionato questo esemplare, e si è trovato interamente conforme all'originale che fu approvato nel Sinodo alla presenza di tutti nelle sessioni, e che fu firmato, e sigillato dal Rmo Mons. Patriarca, e dagli Archivescovi e vescovi molto Reverendi senza aggiungervi, e togliere cosa alcuna, *ma ad verbum et litteram*, come Dio ne è testimonio dato gli ultimi giorni di gennaro dell'anno 1737». Nella copia stampata che ora conservasi in Archivio, la quale appartenne al Patriarca Habaisci, creato Patriarca il 25 Maggio 1823, come rilevasi dalla iscrizione in fronte: *Ex libris Habaisci*, ed in fine: *Ex libris Sedis Patriarcalis Maronitarum*, si leggono tanto l'epigrafe del calligrafo, quanto il surriferito attestato de' Vescovi. Onde non può dubitarsi che la copia data alle stampe non sia una di quelle ordinate dal Patriarca e dall'Assemani appena terminato il Sinodo (§. 11). Inoltre il sullodato autore della *Memoria storica* afferma nel citato luogo che il suddetto esemplare (sic) presentato alle stampe, non differiva dall'originale arabo, sottoscritto dai Padri del Sinodo, e mandato in Roma, se non «in alcune espressioni non importanti, le quali erano state

التاريخية المشار اليه يقول في المحل المذكور ان النسخة المومـا اليها والمدفوعة للطبـع لم تكن لتختلف عن النسخة العربية الاصلية التي وقعها آباء المجمع وأرسلت الى روما الا في بعض تعابير تافهة كان شطب فوقها في النسخة الاصلية المذكورة وقد اعيدت لها قوتها ابان النقل (قد يكون السمعاني واباء المجمع عندما قوبلت النسخات كما ذكر رأوا حسناً ان يفعلوا ذلك) مما يسهل ظهوره للمتفحص بامعان .»[٤٨] «فهذا ، والحق يقال ، ليس صحيحاً بكامله (كذا يقول سيادة ڤالرجا الذي فحص في الشرق المخطوط المذكور) اذا صح ان الطبعة العربية نُقلت بامانة عن المخطوط الثاني هذا . لانه يظهر من مجموعة الفقرات المختلفة ان الطبعة العربية تنقل مرارًا كثيرة فقرات من النص اللاتيني مشطوباً فوقها في النص الاول العربي الشرعي[٤٩] . وقد يدل ذلك على ان اصلاحات كهذه اتى بها آباء المجمع في الاجتماعات التي سبقته ثم عدلوا عنها فيما بعد اما ابان انعقاده اما بعده »[٥٠] .

٤٨) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٢ صفحة ١٢

٤٩) حاشية المؤلف : ان سيادة ڤالرجا يسمى باستمرار شرعياً المخطوط او المشروع العربي الذي فحصه وثبته اباء المجمع بتواقيعهم واختامهم .

٥٠) حاشية المؤلف : مجمل عدد ٤ مقطع ١٤

---

scancellate sull'originale suddetto e le quali nel copiare furono restituite al loro vigore (forse che l'Assemani, ed i Padri nel collazionare gli esemplari, come abbiamo detto, hanno poi creduto bene di fare così) come si può vedere da chi lo considera bene». (Som. N. II, p. 12). Il che a vero dire (sono le parole di Mons. Valerga, il quale ha esaminato in Oriente il detto manoscritto) non è del esatto, se è vero che l'edizione araba rappresenti fedelmente questo secondo manoscritto; poichè, come può scorgersi nella raccolta delle varianti, l'edizione araba non rade volte riproduce passi del testo latino che si scorgono cancellati nel primo autentico (1) arabo, il che sembrerebbe indicare che simili correzioni fatte nei congressi preliminari, vennero poscia abbandonate dai medesimi Padri, o nella celebrazione del Sinodo, o dopo di esso» (Som. n. IV, §. 14).

(1) *Mons. Valerga chiama costantemente autentico il manoscritto ossia schema arabo esaminato ed approvato colle sottoscrizioni, e sigilli dai Padri del Sinodo.*

٢٤) ولكن ملاحظة سيادة ڤالرجا تستند الى افتراض مغلوط فيه اذ انه يُسلّم بان كل الفقرات التي تظهر الآن مشطوباً فوقها او مضافة في المخطوط العربي الاول قد شطب فوقها او اضافها الآباء في الاجتماعات السابقة المجمع . بينما ان المخطوط عندما كان في روما قيد التثبيت لم يكن يحتوي على نصف الشطب والزيادات التي تُرى فيه اليوم ويُظهر ذلك تقريرُ الاب توما البودي فاحص المجمع . وبالرغم من ذلك فانه على جانب عظيم من الصحة ان الطبعة العربية بدلاً من ان تبتعد عن النص اللاتيني تقترب منه اذ انها تركت في مواضع كثيرة اصلاحاً او شطبة حواها المخطوط العربي . واثباتاً لذلك يُعرض على نيافاتكم بعض الامثلة لتنظروا فيها :

١ — في الطبعة العربية صفحة ٢٧ يُذكر بين الاعياد المتنقلة عيد جسد المسيح كما في الطبعة اللاتينية صفحة ١٦[٥١] واما في المخطوط العربي فانه مشطوب فوقه[٥٢] .

— ان الطبعة العربية صفحة ٥٢ تحوي مقطع الطبعة اللاتينية بكامله[٥٣] :

٥١) حاشية المعرّب: راجع تعريب نجم صفحة ٣٦

٥٢) حاشية المعرّب: سنرى سبب تلك الشطبة عندما نعرب وننشر تقرير الاب البودي

٥٣) حاشية المؤلف: صفحة ٣٣ عدد ٤ (تعريب نجم صفحة ٥٢).

24) Quantunque l'osservazione di Mons. Valerga poggi sopra un falso supposto; nel concedere cioè che *tutti i testi, i quali si vedono ora cancellati od aggiunti nel primo manoscritto arabo siano stati cancellati od aggiunti dai Padri nei congressi preliminari*, imperocchè, come si vedrà dalla relazione del P. Tommaso Budi revisore del Sinodo, quando il manoscritto trovavasi in Roma per l'approvazione, appene conteneva la metà delle cancellature od aggiunte che oggi si scorgono in esso; ciò non ostante, è pur troppo vero, che l'edizione araba, anzichè allontanarsi dal testo latino, in molti luoghi ha abbandonato o la correzione o la cancellatura del manoscritto arabo, e si è avvicinato a quello. In conferma di ciò si sottopongono all'esame dell'EE. VV. alcuni esempi:

1) L'edizione araba p. 27, annovera tra le feste mobili *Festum Corporis Christi*, come si ha nell'edizione latina p. 16; ma nel manoscritto arabo si trova cancellata.

2) Edizione araba p. 52, contiene tutto il paragrafo d'elledizione latina

« اما مسحة التثبيت الخ ... » فهذا المقطع وجيز جدًا في المخطوط ولا يعبّر الا عن المعنى المهم .

٣ — قسم ٢ باب ٧ [٥٤] عدد ٧ : ان مقطع الطبعة اللاتينية : « امـا الرهبان المرخّص لهم في اذّخار الزيت المقدس لحاجاتهم فقط ... والا حلّت بهم العقوبات الشديدة التي يحتكم بها الرئيس المكاني » موجود بغير نقص في الطبعة العربية ولكنه مشطوب فوقه في المخطوط او المشروع العربي .

٤ — قسم ٢ باب ١٤ عدد ١٩ : ان الطبعة العربية والنص اللاتيني يحويان : (لا يجوز رسامة المجنونين ...) « الا ان يفسح لهم السيد البطريرك السامي الاحترام . ولكن هذا التفسيح ينبغي ان يقتصر على النادر ... وان لا يتناول غير الذين ينعهم الناموس البيعي من الدرجات المقدسة » : فالجملة كلها مشطوب فوقها في المخطوط العربي .

٥ — المحل نفسه عدد ٥٠ تطابق الطبعة العربية والنص اللاتيني في اهمال الملاحظة التالية في هامش المخطوط : « ولكن السيد البطريرك يحق له ان يرسم في مجمع اساقفته ايًا كان من الكاثوليكيين ومن اية امة كان ولا مانع في ذلك البتة » .

٥٤) حاشية المرتّب : الصواب باب ٨

٥٥) حاشية المؤلف : صفحة ١١٩ (نجم صفحة ٢١٠).

p.33,n. 4 : *In psa vero confirmandi unctione* etc. quale paragrafo è assai conciso nel manoscritto, e non rende se non il senso principale.

3) Part. II, cap. VII, n. 7, il paragrafo dell'edizione latina: Monachis vero, quibus in proprium tantum usum haberi sanctum oleum permittitur... sub gravibus poenis arbitrio ordinarii, trovasi integralmente nell'edizione araba, ma è cancellato nel manoscritto ossia *schema* arabo.

4) Part. II, cap. XIV, n. 19, l'edizione araba legge col testo latino (Ordinari non possunt furiosi...) *sine dispensatione Rmi Dni Patriarchae, quae tamen raro... et iis tantum concedenda est, quos jus Ecclesiasticum a sacris arcet Ordinibus.* Nel manoscritto arabo vedesi cancellato tutto il periodo.

5) Ibid. n. 50 L'edizione araba si è attenuta al testo latino nell'omettere la seguente nota marginale del manoscritto: *Sed Dus Patriarcha potest ordinare in Synodo Episcoporum quemcumque catholicum cuiuscumque nationis. Et in hoc nullum adest impedimentum.*

٦ — قسم ٣ باب ٢ عدد ٣ : ان الطبعة العربية وفقاً الطبعة اللاتينية[٥٦] تورد هذا المقطع بكامله :« جرياً على رسوم آبائنا هذه انا نثبت للخوارنة الاسقفيين ورؤساء الاديار الكهنة المذكورين آنفاً سلطة رسامة القارئين والمرتلين الخ ... » فان هذا المقطع مشطوب فوقه في المخطوط وقد كتب بدله ملاحظة على الهامش وهي :«اما الآن فان هذه الرسامات محفوظة للاساقفة ولا تمنح قط للمذكورين سابقاً .

٧ — المحل نفسه باب ٤ عدد ١٧[٥٧] «ان هذه الجملة من الطبعة اللاتينية: « اما الذين قضوا مدة طويلة في الرهبنة وعليهم مسحة تقى فعلى السيد البطريرك ان يتسمح معهم في الفترات المار ذكرها .»فقد شطب فوقها في المخطوط ولكنها ذكرت في الطبعة العربية .

٨ — المحل نفسه عدد ٢٨ . يتفق الطبعة العربية والنص اللاتيني[٥٨] في عبارات نهي الزائرين عن ان يطلبوا ابان زيارة الابرشيات اكثر مما جرت العادة عليه :« وان تجاسر احد (لا قدر الله) ان يأخذ شيئاً فوق ما ذكر في كل المواطن السابقة الذكر فليغرم برد ضعف ما اخذه في خلال شهر ويعاقب بعقوبات

٥٦) حاشية المعرب :والصواب ١٦ راجع نجم صفحة ٣٧٠

٥٧) حاشية المؤلف : صفحة ٢٤٣ (تعريب نجم صفحة ٣٩٦) .

٥٨) حاشية المؤلف : راجع الطبعة اللاتينية صفحة ٢٤٧ (تعريب نجم صفحة ٤٠٢) .

6) Part. III, cap. II, n. III. L'edizione araba conformemente alla latina p. 191, riporta tutto il paragrafo: *His igitur Patrum sanctionibus inhaerentes, Chorepiscopis et Abbatibus praesbyteris supradictis potestatem ordinandi lectores et cantatores confirmamus* etc.; quale paragrafo è stato cancellato nel manoscritto, e sostituito dalla nota marginale: *Sed nunc huiusmodi ordinationes reservantur Episcopis, et non amplius supradictis conceduntur.*

7) Ibid. cap. IV, n. 17. Il comma dell'edizione latina p. 227: *Pie vero diuque in Monachorum Ordine versatis, tempora a Patriarcha contrahi possunt*, cancellato nel manoscritto, è riportato nell'edizione araba.

8) Ibid. n. 28. Parlandosi della proibizione fatta ai Visitatori di esigere nella visita della Diocesi più di quello che vien concesso per consuetudine, l'edizione araba è unisona col testo latino, p.242: *Quod si quisquam (quod absit) aliquid amplius in supradictis omnibus casibus accipere praesumserit, is praeter*

أخرى على مقتضى رأي الاسقف او المتروبوليت او السيد البطريرك السامي الاحترام من غير ان يأمل العفوَ والصفح . » فكل هذا قد شطب فوقه في المخطوط العربي .

٩ — المحل نفسه عدد ٣٢ من الطبعة اللاتينية[٥٨]. وكذلك قل عن الفقرة التالية : « يكفي الاسقف (عندما يمضي في محاكمة الاكليريكيين الى حد الحطّ) ان يستعين برؤساء من ذوي التاج والعصا » فانها ذكرت في الطبعة العربية بالرغم من انه مشطوب فوقها في المخطوط .

١٠ — المحل نفسه عدد ٣٤. وكذلك قل ايضاً عن جملة النص اللاتيني[٥٩] التي تذكرها الطبعة العربية بامانة :« وكذا حكم القانونيين الذين وان كانوا لا يلتزمون ان يؤدوا العشور للاساقفة عن العقارات والاملاك القديمة . بيد انه يتحتم عليهم اداؤها بالنظر الى الامـلاك التي اكتسبوها حديثاً الا ان يعفوا بانعام من السيد البطريرك السامي الاحترام.»فقد شطب فوقها اولاً في المخطوط ثم عُدِّلت كما يلي : « يتحتم على القانونيين ايضاً اداء العشور للاساقفة عن العقارات والاملاك القديمة وعن التي اكتسبوها حديثاً .»

٥٩) حاشية المؤلف: راجع الطبعة اللاتينية صفحة ٢٥٤ (تعريب نجم صفحة ٤١٢) .

dupli restitutionem citra mensem faciendam, aliis etiam poenis arbitrio Episcopi. aut Metropolitani, seu Rmi Dni Patriarchae absque ulla spe veniae multetur, Tutto questo è stato cancellato nel manoscritto arabo.

9) Ibid. n. 32. Lo stesso si è verificato del comma, edizione latina p. 247: *Episcopus* (procedendo contro i Chierici *usque ad depositionem*) *adhibeat assistentes sibi Abbates usum Mitrae et baculi habentes*; che viene riportato dall'edizione araba, quantunque cancellato ncl (sic) manoscritto.

10) Ibid. n. 34. Parimenti il periodo del testo latino, p. 254, riferito fedelmente dall'edizione araba: *Idem dicendum de Regularibus, qui etsi non tenentur de antiquis agris et praediis decimas Episcopis solvere, ratione tamen praediorum de novo acquisitorum debent decimas Praelatis, nisi a Rmo Dno Patriarcha privilegium obtinuerint*; nel manoscritto fu prima cancellato, e poi modificato come segue: *Item Regulares tenentur decimas Episcopis solvere tum de antiquis, tum de novo acquisitis agris et praediis.*

١١ — قسم ٣ باب ٦ عدد ٢[٦٠]: «ان يُسيّر (البطريرك) امامه راية الصليب اينما كان ما عدا مدينة روما وحيث حل الحبر الاعظم او قاصده مقلداً شارات المقام الرسولي.» ان الكلمات المشار اليها بخط شطب فوقها في المخطوط واما في الطبعة العربية فقد ذكرت بامانة.

ويمكن ان يضاف الى كل ذلك المقطع الذي يعود الى تركيز الصليب البطريركي في كنائس الاديرة[٦١] وكل المقطع المتعلق بادارة راهبات رهبنة جبل لبنان[٦٢]. فهذان المقطعان بالرغم من انه مشطوب فوقهما في المخطوط قد ذكرا بكاملها في الطبعة العربية.

تكفي هذه الامثلة القليلة لتثبت ان الموارنة كانوا بعيدين عن اخراج طبعة مباينة لمشروع المجمع العربي ومختلفة عنه. وقد حاولوا بالعكس ان يقربوها من النص اللاتيني وذلك بالرغم من انها بقيت مختلفة عنه كل الاختلاف في بعض النقاط كما سيظهر في الفصل التالي..

٦٠) حاشية المؤلف: راجع الطبعة اللاتينية صفحة ٢٦٠ (تعريب نجم صفحة ٤٣٢).

٦١) حاشية المؤلف: قسم ٤ باب ٢ عدد ٢ صفحة ٢٨٥ من الطبعة اللاتينية (تعريب نجم صفحة ٤٦١–٤٦٢).

٦٢) حاشية المؤلف: المحل نفسه باب ٣ عدد ٣ صفحة ٣٠٨ وتوابعها من الطبعة اللاتينية (نجم صفحة ٥٠٠).

11) Parte III, cap. VI, n. 2, p. 260 dell'edizione lat. *Crucem ante se deferre potest* (Patriarca) *ubique terrorum, excepta Urbe Roma, et ubicumque Summus Pontifex praesens extiterit,* AUT EIUS LEGATUS UTENS INSIGNIIS APOSTOLICAE DIGNITATIS. Le parole rimarcate, cancellate nel manoscritto, sono fedelmente riportate nell'edizione araba.

A tutto ciò si potranno aggiungere il brano che riguarda il modo d'innalzare avanti le Chiese de' Monasteri la Croce patriarcale (Part. IV, cap. II, n. 2, p. 285 dell'edizione latina); e tutto il paragrafo concernente il Regime delle Religiose della Congregazione del Monte Libano (ibid. cap. III, n. 3, p. 308 seg. ed. lat.); i quali, sebbene cancellati nel manoscritto si leggono integralmente nell'edizione araba.

Bastano questi pochi esempi per dimostrare, che i Maroniti, lungi dal fare un'edizione infedele, e discordante dello *schema* arabo del Sinodo, hanno anzi procurato di avvicinarla al testo latino, quantunque sia rimasta da questo in altri punti immensamente discorde, come si vedrà nel Capo seguente.

لبنان على مفترق الطرق

هل يعرف ان يضع لنفسه بناء اجتماعياً متيناً ؟

بقلم الاب اندره لوجنيسال اليسوعي

في عودتي الى لبنان العزيز بعد غياب سنين كثيرة، ارغب في ان ادعو هنا اصدقائي الكثيرين من اللبنانيين الى التفكير في مشكلة ذات اهمية حيوية لبلادهم . وان كنت اسمح لنفسي بهذا التجاوز الطفيف في امورهم الوطنية، فذلك لاني اعتبره ايضاً كوطني . فهم بالحقيقة يعرفون جيداً اني ان لم اكن لبنانياً بالواقع فانا من زمان طويل لبناني بالقلب . فهم يدركون اني سأكلمهم بصراحة كلية في سبيل مصلحتنا العامة .

منذ ان تبوأ لبنان مقامه في عداد الامم المستقلة، قد تحققت فيه مشاريع عدة لا يجوز ان نقلل من اهميتها .

ففي الحقل الدولي اولاً، فرض لبنان نفسه على الاجانب بقيمة ونشاط ممثليه خصوصاً في المجالس الدولية الكبرى . ففي هذا الحقل اظهرت ميزات العنصر اللبناني اجلى نشاطها، ونلاحظ بسهولة ان لبنان قد احتل مقاماً يتجاوز كثيراً اهمية البلاد الحقيقية نظراً لمساحة ارضه وعدد سكانه .

وفي الحقل الداخلي قد قامت الجهود الحسنة لفتح الباب على مصراعيه لاستقبال الغرباء، كما كانت الحال قبل الحرب . وها ان عدد السياح الذين يؤمون لبنان يزداد كل سنة بفضل التدابير التي تتخذها الحكومة .

وتحسنت شبكة الطرقات حول مراكز السكن الكبرى وفي الجبل . واهم المدن ينتابها نشاط عظيم في البناء، نشاط لم يكن معهوداً الى الآن . وهناك مطار كبير يقع في اطار فريد ويمكنه ان يستقبل اضخم الطائرات. وهو يجعل من لبنان احدى النقاط المهمة في الطيران الحديث .

ومصب الخط الجديد لانابيب البترول قرب صيدا يحسن مؤكداً اقتصاد البلاد ان في تلك المقاطعة او في البلاد كلها .

واتساع شبكة الري افاض على المنطقة الساحلية غنى جديـداً كما تشهد بذلك تلك الزراعات الزاهرة المتنوعة التي تزيد بجماله .

والتجارة التي تتأثر دائماً بتقلبات الحياة السياسية والاقتصادية الدولية تبقى المورد الاساسي لارباح القسم النشيط من السكان.

وفي الحقل الفكري يبقى لبنان اميناً على تقاليده . وهو اذ يبقى منفتحاً على الثقافات الغربية ، يظل في المقدمة في الثقافة العربية التي يوسّع ابناً درسها في معاهده .

وعلى عكس ذلك، في الحقل الاجتماعي، اذ لا يبدو ان التوجيهات والتدابير التي اتخذتها الحكومة قد حسنت بنوع عميق حالة الطبقات العاملة . والتوازن الذي يتوق اليه ابناء البلاد المستنيرون لم نبلغه بعد . لذلك رأيت من المفيـد ان افتش هنا عن بعض الوقائع التي تؤخر التقدم الاجتماعي الذي يرغبه الجميع .

١ ـــ الواقع اللبناني الاجتماعي

لنترك جانباً كل الفوارق الدينية والقومية التي تقسّم الشعب اللبناني، ولنعتبر فقط الجهة الاقتصادية – الاجتماعية.

ان كنا لا نريد الحكم على حالة الشعب اللبناني الا نظراً للعدد الوفير من السيارات ، وبينها من افخم طراز اميركي ، او نظراً للبنايات الجميلة التي ترتفع حالياً في العاصمة ، لوجب القول بان اللبنانيين يتمتعون بسعة كبيرة من العيش . لكن زيارة بعض الاحياء الجرباء في المدينة الكبيرة تظهر بوضوح ان الثروات الضخمة تسكن في هذه البلاد قرب الفقر المدقع . وهـذا الفقر قد يصعب مراراً اكتشافه لان اللبناني يعتبر من المحافظة على ابائه وشرفه ان يعتني بمظهره الخارجي . ولذلك يستحيل غالباً ان نكتشف وراء تلك الثياب المتقنة الجميلة التفصيل ، المشتراة غالباً بالدين ، الفقر او البؤس المختبئ فيها .

فيمكن القول ان لبنان، مدة الحرب، قد اغتنى من الرأس ، والثروات الكبيرة الموضوعة قبل الحرب في التجارة والصناعة والملكية العقاريـة قد تضخمت بالعموم بدرجات متفاوتة . ونتجت ثروات اخرى عن اشغال الحرب

المثمرة . لكن الغنى لم ينتشر نسبياً الا قليلًا في الطبقة الوسطى والعاملة.

فينتج من ذلك ان التباين اصبح اعمق من الماضي بين البرجوازية المثرية . ومجموع الامة .

فالتجارة المتوسطة والصغيرة لم تتبدل هيئتها الا قليلًا . فهي وقـف على جماعة متقلقلة من محترفي البيع والشرا. البارعين او من المبتدئين بمباشرة اعمال الكمسيون ، وهم يفتشون عن باب يفتح لهم طريق الثروة. فهناك جو يسوده التسابق والتناحر والتنافس القوي والتطبيقات التي لا تساعد على التفاهم والتعاون وحيث المبادئ الادبية والاخلاقية تحتقر مراراً وتطرح جانباً .

ثم تأتي الطبقة العديدة المؤلفة من الذين يعيشون من اجرتهم ، كالموظفين والعمال . لهؤلاء ميزة عامة وهي انهم ينتظرون اخر الشهر بفارغ صبر ان لم يكن بقلق وهم . وبالحقيقة ان كبار موظفي الحكومة والشركات الكبيرة انفسهم لا يتوصلون الّا بصعوبة لتطبيق ميزانيتهم ان كانوا مكلفين بالقيام بأود عائلة كبيرة وليس لهم ثروة شخصية حسنة . فبالأحرى اذًا كم نصادف من صغار الموظفين من يطير راتبه بسرعة لدفع الديون المستعجلة لاصحاب المحلات والدكاكين ، وكم من الذين ينكد عيشهم المرابون القليلو الذمة ، وهم تحت التهديد الدائم بحجز امتعتهم القليلة. وهذه الوضعية هي تقريباً نفسها عند العمال اليدويين. فالعمال الاختصاصيون يقبضون بالعموم راتباً كافياً . ولكن هناك غيرهم الوف من العمال نراهم مجبرين على تقنين مؤونة العائلة وعلى السكن في بيوت غير صحية بسبب فقدان المعدل الادنى للاجرة الضرورية ، وهم ضحايا دائمة لتقلقل الاسعار . فلبنان كان ، قبل الحرب ، من البلدان التي يسهل فيها العيش. اما حالياً فبالعكس ، لان سوقه واقعة تحت تحكم مضاربات المستوردين وخزن البضائع ومناورات رفع الاسعار حالًا عندما ترتفع غيمة صغيرة في الافق الدولي .

وقد حاولت الحكومة مرارًا ان تكافح هـذا التقلقل لكنها لم تصل دائمًا الى نتيجة مرضية .

واصحاب الحرف يؤلفون الطبقة الاكثر عـددًا في المدن . وهم نشيطون

مقتصدون، ولكن ارباحهم زهيدة وليست حياتهم اكثر امناً من الاخرين رغما عن تمتعهم ببعض الاستقلال . وضعف رأسمالهم لا يسمح لهم بتخزين المواد الاولية فهم ايضاً ضحايا تقلبات السوق .

اما القرويون فحالهم اقل سوءاً مما في بقية بلدان الشرق الادنى . لان الملكيات المتوسطة والصغيرة قد انتشرت في لبنان اكثر مما في هذه الاقطار. ونحتفظ بالكلام عنها لمقال اتٍ، لكن نقول، من الآن، ان هذه الالوف من العمال الزراعيين هم في حالة غير مستقرة وهم محرومون من فوائد الشرائع الجديدة للعمل .

فنقتصر الكلام في هذا المقال الاول على العمال اللبنانيين . ونجرب اولاً بان نحدد اسباب عدم الاستقرار في وضعيتهم لكي نشير بعدئذ الى بعض الوسائل التي يمكنها ان تساعدنا على تلافيها

٢ ــ وضعية العمال اللبنانيين

ازدحام سوق العمل :

من اهم الاسباب لعدم الاستقرار الحالي بين العمال في لبنان هو الحالة الحاضرة لسوق العمل. فاليد العاملة كثيرة بالنسبة الى مطاليب ارباب العمل. فقد اشارت منذ عهد قريب احدى الجرائد اليومية البيروتية الى ان عدد العاطلين عن العمل يبلغ خمسين الفاً (٥٠٠٠٠) .وهي تضم في هذا العدد، كما ارجح ، عمال الزراعة وعمال الصناعة . ومهما يكن من صحة هذا التقدير فهناك حقيقة اكيدة وهي ان سوق العمل تنوء تحت تدفق اليد العاملة الغير الاختصاصية. ووصول اللاجئين الفلسطينيين زاد الموقف حرجاً منذ ثلاث او اربع سنين. فهم في لبنان يئوفون على مئة الف يطلبون عملاً ليعيشوا . والمساعدة الدولية التي ينالونها ساعدت على تحسين احوالهم تحسيناً طفيفاً فهم على استعداد للعمل باي سعر كان . وفوق ذلك حدث تدهور اكيد لقيمة العمل اليدوي . ورغم التعيين رسمياً المستوى الادنى للمعيشة ورغم جهود النقابات ، نرى كثيرين من العمال يقبضون اجراً لا يكفي قطعاً، ان نظرنا من الوجهة الانسانية الى الاعباء التي تثقل كواهلهم.

من جهة اخرى نرى ان الصناعة المحلية قليلة الانتشار ولا تشغل نسبياً سوى عدد قليل من العمال. والحوادث الحالية في السياسة الدولية لا تشجعها على التقدم. وهي لا تتوصل الى مزاحمة الانتاج الاجنبي في السوق الداخلية اذا لم تتخذ التدابير لحمايتها. وبما انها متعلقة بالخارج في الحصول على اكبر كمية تحتاجها من المواد الاولية فليس بامكانها ان تمتد بل هي تهتم اولاً بالمحافظة على كيانها.

عدم الاطمئنان في العمل

فالوضعية الحاضرة لسوق العمل تجعل العامل تحت التهديد الدائم. فيمكن لرب العمل ان يصرفه، عندما يريد وفي اي وقت كان. خصوصاً ان كان ممن تقدم بهم العهد في العمل وتحسنت اجرتهم، فمن مصلحة رب العمل الاقتصادية ان يستبدله بعامل جديد يقوم بالعمل نفسه باجرة زهيدة. وللعامل المفصول حق بتعويض الصرف، يحدده القانون. لكن الاختبار اظهر ان بعض ارباب العمل لا يقيمون وزناً الّا لمنفعتهم الشخصية فيعملون بدهاء للبقاء خارج نطاق القانون ليتخلّصوا من دفع التعويض المذكور. مع ان هذا التعويض يكون زهيداً للعامل الذي بقي زماناً غير طويل في العمل وهو لا يشكل في ميزانيته الا مساعدة وقتية.

ان أصيب العامل بمرض غير متأتٍ من وظيفته تحمل وحده كل تكاليف التطبيب والمداواة. لكن القانون يعطيه الحق بان يقبض اجره كاملاً لمدة تتغير بحسب قدم عهده بالعمل (من عشرة الى ٢٧ يوماً في السنة عند اصحاب الحرف، ومن شهر الى شهرين ونصف في بقية الصناعات). فنرى بوضوح كم هي ثقيلة، على ميزانية العامل، هذه التكاليف المتأتية عن المرض، وهو ذو الميزانية الواقعة بالعموم تحت العجز. ولكن لحسن الحظ نرى ان بعض ارباب العمل يأخذون على عواتقهم كل تكاليف التطبيب، او بعضها على الاقل. ولكن عدد هؤلاء ليس كبيراً.

عندما يُصاب العامل بمرض متأتٍ عن صنعته او يقع ضحية حادث متأتٍ عن العمل، يعطيه المرسوم التشريعي رقم ٢٥/ET بتاريخ ٤/٥/٤٣ حماية خاصة.

فرب العمل يقوم بكل تكاليف التطبيب ويدفع للعامل ثلاثة ارباع اجرته لطول المدة التي يبقى فيها عاجزًا عن العمل .

ولكن نلاحظ ان الاكثرية من العاملين عند اصحاب الحرف لا يستفيدون من هذا القانون . ومن جهة اخرى عندما يصبح العامل عاجزًا بالكلية عن العمل نرى رب العمل يتحرر من واجباته نحوه بان يدفع تعويضاً يتغير مع عمر العامل المصاب بالحادث . فالتعويض لابن ٤٥ سنة فما دون يساوي ست سنين من الاجرة الاعتيادية . وينقصُ بالتالي كلما زاد العمر حتى يصل الى اجرة اربع سنين لابن ٥٠ سنة. فهنا ايضاً نتحقق ان ليسَ للعامل الضمانات الكافية.

ونصل الى الاستنتاج نفسه فيما يتعلق بحماية الشيخوخة عند العامل . فاذا بلغ عمر الستين او قضى ٢٥ سنة في العمل ، يُعطى تعويض صرف يُعادل اجرة عشرة اشهر في المهن الحرة والتجارية والحرف وعشرين شهرًا في الصناعة.- ويبقى بعد ذلك دون اي ايراد شخصي . فان لم يجد عملًا هيناً يعطيه بعض الايراد بقي عبئاً على اولاده او على الحكومة .

سو- حماية عائلة العامل

وهذه النقطة هي اكثر اهمية لانها تقيد مستقبل الطبقة الكادحة النشيطة في لبنان. فمجموع اجرة العامل يجب ان يكون عادةً كافياً لتأمين كيان العائلة العاملة بكاملها . وهذا مبدأ تقبله الآن كل شرائع الدول الصناعية في الغرب. اما في لبنان فعدم وجود صناديق التعويض للرواتب العائلية والتنظيمات الناقصة المفروضة بمرسوم رقم ET/٢٩ بتاريخ ٤٣/٥/١٢ ، دعت في كثير من المشاريع الى اتخاذ طرق لاستئجار الفعلة لا يمكن قبولها قطعياً . فالقانون يفرض على رب العمل ان يدفع لرب العائلة زيادة في الاجرة تتراوح شهرياً من عشر ليرات ل. لولد واحد الى ٣٥ ل.ل. لخمسة اولاد . وهذا عبءٌ على رب العمل ، عبءٌ غير ثقيل جدًا لكنه ينقص من ارباحه ، او يدفعه لرفع سعر البيع في مصنوعاته . ولذلك يضع كثير من المستخدمين اصحاب العيال جانباً ولا يستأجرون سوى العازبين . فالنتيجة الطبيعية لاستخدام العازبين خاصة من شبان وشابات ، انها تدفع برب العائلة الى الكسل

وينتج ايضاً ان أمّ العائلة ترى نفسها مجبرة على العمل في فروع لا يُطبق فيها القانون لزيادة الاجرة للمتزوجين . ويجب القول ايضاً ان شغلها يُفضل على شغل الرجل في كثير من الوظائف لان اجرتها اقل من اجرة الرجل .ومع ذلك فقد قبلت الحكومة اللبنانية منذ سنة ١٩٤٣ بمبدأ المساواة في اجرة الرجل والمرأة . وعندما انعقد في بيروت مؤتمر هيئة الامم المتحدة المتعلق بشؤون المرأة في نيسان سنة ١٩٤٩ ، اظهر الوفد اللبناني توصياته ، في البند الثالث ، طالباً تطبيق قرار الحكومة الذي بقي حبراً على ورق .

اما فيما يتعلق بحماية المرأة والولد في العمل، فقد اظهر المشترع اللبناني انه مندفع باحسن النيات اذ يمنع شغل الليل والعمل في بعض الصناعات الخصوصية . وقرر للعمل حدّاً اعلى من الوقت لا يمكن ان يتخطوه . ووضع ايضاً للاولاد حدّاً من العمر لا يمكن قبول من هم دونه في الشغل .ولكن، يا للاسف، نتأكد ان كثيراً من الصناعيين يتصرفون بهذه الاوامر على هواهم ، وتبلغ المخالفات حدّاً يقف امامه مفتشو العمل عاجزين عن فرض احترام القانون .

ونتيجة ذلك بيّنة : قتل الصحة للاطفال وتهيئة مستقبل محزن للعمال .

. عدم كفاية الحماية الطبية

يوجب القانون على الصناعيين ان يضعوا في مؤسساتهم كل لوازم التأمين وأن يبنوا معامل يدخلها الهواء كفاية وتسود فيها النظافة الكاملة . ومفتشو العمل مكلفون بالسهر على ذلك .وهو يجبر كل معمل يستخدم اكثر من عشرين عاملاً باقتناء خزانة الادوية . ويرسم ايضاً ان كل يافع مجبر عند دخوله العمل بان يقدم شهادة طبية . ولكن لم يُعيّن قطعاً ، كما اعلم ، في هذه القوانين ، ان على الهيئة الطبية السهر بانتظام على صحة العمال ومكافحة الامراض واتخاذ التدابير اللازمة . فهناك نقص مؤسف ، لان هذه المراقبة المتابعة بواسطة بطاقات طبية منتظمة تساعد على تجنب مضار كبيرة تحيق بصحة العامل وظهور اوبئة تؤثر في المعمل كله .

وفي بيروت ولبنان لحسن الحظ عدد من الاطباء ذوي الغيرة والتجرد ، يغدقون على عدد كبير من العائلات العاملة عنايتهم ومعالجاتهم دون اي اجر .

فهم بذلك يعطون خير مثال للمحبة . ولكن ذلك لا ينسينا ان الاسعاف الطبي غير منظم كفاية. ولنعتبر كم هو مذل ومحط من قدر ذلك العامل المستقيم، ذي الضمير الحي ، ان يظهر بمظهر المتسولين عندما يكون بحاجة الى بعض العناية .

الحياة النقابية نسبياً لا تأثير لها

فلبنان هو احد البلدان التي تضع القيود الكثيرة على تأليف النقابات . وبالحقيقة لا يمكن تأسيس نقابة دون سماح دائرة الشؤون الاجتماعية الرسمية واستئذان وزارة الداخلية. ورغم هذا التقييد، قد نشأت بعض النقابات المختصة بارباب العمل او العمال بعد نشر قانون ١٩٤٦ .

ليس لنا هنا ان نحكم على التدابير التي اتخذها المشترع اللبناني ، ففي هذا المجال تتصل المسائل الاجتماعية بالمسائل السياسية. وهناك بلا شك اعتبارات خارجة عن نطاق المهنة دفعت بالدولة لاتخاذ هذا الموقف . فان تركنا جانباً هذه الرقابة المذكورة، نرى ان تدابير القانون النقابي تسهل العمل فتسمح بتأليف نقابات سليمة فعالة . وبالواقع نرى ان النقابات اللبنانية منذ اربع سنوات لم تلعب سوى دور ضعيف جداً في الحياة المهنية، ولم تؤد خدمات جليلة للطبقة العاملة. وتعليل ذلك انها ، لاسباب عدة يطول بحثها، لم تتمكن من جمع شمل العمال في صف واحد ولا من إفهامهم اهمية وفائدة الاندفاع والاخلاص المتجرد في سبيل خير المهنة العام. ويظهر ايضاً انه ينقصها قواد نقابيون حقيقيون ، جديرون بتوجيه النشاط ضمن النطاق المهني وحده، الذي هو ضرورة ميدان النشاط النقابي.

زد على ذلك ان الحكومة اللبنانية بدأت بان تضع القواعد والقوانين لحياة بعض ارباب المهن، كالاطباء والصيادلة والمحامين والمهندسين والصحافيين الخ . . . بنصوص اشتراعية حديثة سيحكم المستقبل بتأثيرها . اما فيما يختص بتحسين وضعية الطبقات العاملة ، فرغم بعض الجهود المشكورة لم تنقطع البطالة ، والاجرة في اكثر الاحيان غير كافية والعائلة العاملة في وضع سيء. والتأمين في العمل غير متمم كما يجب وصحة العامل غير محمية كفاية .

ولنلاحظ اخيراً ، ان مسألة سكنى العامل يجب ان تبنى من جديد على اساس واسع وحديث .

فهذا كله يجعلنا ان نفهم كيف ان قسماً من الشعب العامل في المدن يتخبط في فاقة اكيدة. مما دفع بهمة بعض الاشخاص الى العمل على الترفيه عنه، فحققوا قسماً مهماً من مشاريع الاسعاف والمحبة : كالجمعيات الخيرية لمساعدة الفقراء، المنتشرة في كل الجماعات، والمستوصفات المجانية في الاحياء الفقيرة، والمياتم والمصحات، والعناية بالامهات والاطفال والمدارس المهنية المجانية وتوزيع الثياب والادوية الخ...

فكل هذه الاعمال تظهر وتقدر روح المحبة المندفعة في قسم من ابناء الطبقة المثرية . لكنها اعجز من ان تقتلع اصول الداء. فهذه وسائط مسكّنة بينما نحن بحاجة الى اصلاح الاوضاع من اساسها. لاننا متأكدون بان الطبقة العاملة بقدر ترقيها بمجموعها ضمن نطاق الامة، بقدر ذلك سترفض العيش المستند الى الاسعافات والحسنات . وهي ستطالب بحقها باكثر الحاح في السنوات المقبلة. اليس ذلك معقولاً ومنطقياً في حضن الديموقراطية المستقلة ؟ فهناك حركة اساسية لا يمكن رفضها ولا تجنبها .

فالحكمة اذاً تقتضي بان نحسن باسرع وقت ممكن، وضعية البلاد الاجتماعية التي تسمح للعائلة العاملة بسعة من العيش كافية . فارتفاع مستوى المعيشة يقوي روح التفاهم والاتحاد في الحقل الوطني، وله نتيجة اخرى وهي انه يقوي التقدير العام للعمل اليدوي الذي يؤلف احد الموارد الرئيسية في غنى البلاد.

ولكي نساعد بحسب امكانياتنا الضعيفة، على البلوغ الى هذا الهدف، نسمح لنفسنا باقتراح بعض التوجيهات التي يمكنها ان تحدث تقدماً اجتماعياً سريعاً وعميق الاثر.

٣ ــ العلاجات الممكنة

سياسة مشاريع الاشغال الكبيرة

ان اردنا ان ننزع او نخفف على الاقل البطالة المستحكمة بين العمال اليدويين غير الاختصاصيين، وجب علينا ان نقوم بمشاريع الاشغال العامة الكبيرة المفيدة للبلاد، كما حدث ذلك في اوربا في عهود الازمات .

وقد سار لبنان في هذا الاتجاه اذ نعمل على تحسين شبكة الطرق. ولكن ذلك ليس الا بداية، وهو برأيي غير كاف.

ويظهر لي ان المجهود يجب ان يتابع في اتجاهين: استثمار الثروة المائية والرجوع الى الارض.

فمسألة الرجوع الى الارض هي مشكلة يجري الكلام عنها في مقالتنا الثانية فلا نتوقف عندها هنا. ولكن يظهر لنا بوضوح تام ان عدم تعلق القروي بارضه، اذ يدفعه الى الهجرة نحو المدن، يكون احد الاسباب المهمة لتضخم وكساد سوق العمل، وهو احدى العلل الرئيسية للفاقة الضاربة اطنابها بين سكان المدن من العمال.

ولنعد الى الكلام عن التجهيز المائي. فلبنان يتمتع بموارد مائية كبيرة. وهي الاكثر سهولة للاستثمار في الشرق الادنى. فهذه الامكانية الكبيرة الغنى مطروحة حالياً في معظمها في احدى زوايا النسيان والاهمال.

فيمكن البدء بسلسلة اولى من الاشغال التي تهدف لري الوف من الهكتارات البائرة جزئياً والتي يمكن استغلالها الزراعة الخصبة بتهيئة بعض الينابيع العالية في لبنان. وهذا الشغل يسمح فوق ذلك بتكميل ري المناطق الساحلية غير المسقية كفاية.

ومما يؤدي المنافع الجمة لاقتصاديات البلاد هو الاهتمام بترتيب المراكز الكبرى للثروة المائية – الكهربائية. فبنيان السدود الكبيرة التي تتطلبها وحفر الاقنية الموصلة، ووضع المعامل المولدة تقتضي استخدام عدد كبير من العمال.

فتتحسن الاقتصاديات من جهتين: من جهة اولى يوقف استخدام القوى المحركة الكهربائية في مجمل البلاد استيراد المقادير الهائلة من المحروقات من الخارج. ومن جهة ثانية يتوصل الانتاج الكهربائي سريعاً، ان كان مدروساً جيداً، الى ان يفيض عن حاجة البلاد، فيمكن حينئذ ان نفكر بتصدير القوى الكهربائية اللبنانية الى البلدان المجاورة.

ومن الاكيد ان المهندسين والاختصاصيين فكروا، منذ زمان طويل، بهذا التقدم الذي يخطوه الاقتصاد اللبناني وقد وضعت بعض التصميات، ولكن

التحقيق لا يزال الى الآن نادراً وضعيفاً. واسباب هذا التوقف عديدة واخصها، كما يظهر لي، هو نفور الرأسماليين اللبنانيين من دعم هذه المشاريع. والحكومة لا تقدر حالياً ان تقوم وحدها بعبء تمويل هذه المشاريع، فهي بحاجة الى مساعدة الرساميل الخاصة. وها ان الاختبار يبرهن لنا ان المتمول اللبناني يفضل غالباً ارسال رأس ماله الى الخارج حيث يمول المشاريع الاجنبية من ان يحصره في البلاد. قد يكون ذلك لفقدان الثقة، ولكن ذلك متأت خصوصاً من عدم التفهم وعدم الالتفات الى مصلحة البلاد الحيوية. فالذي يقدم راس المال في لبنان يرغب في ان يلمس الارباح الحسنة والسريعة. وهذا لا يعني انه يخاف من المخاطرة فهو شغوف بالمضاربات، وخصوصاً مضاربات البورصة. وهو عندما يشتري حزماً كبيرة من البضائع مسقطاً من حسابه ارتفاع الاسعار القريب في السوق الدولية، يعرف ان يقوم بالمغامرات الجريئة التي تقربه بعض المرار من الافلاس. وعلى ظني انه لو عرف الرأسماليون اللبنانيون بالتدقيق ما قيمة الثروة الكبيرة التي يجرها للبنان في مدة عشر او خمس عشرة سنة، تصميم فني جبار لانتاج القوى الكهربائية لما ترددوا ابداً عن القيام بالتضحيات الضرورية. فنحن هنا نشير الى الواقع ببساطة، راجين ان تدرك جيداً البرجوازية اللبنانية مصلحتها وواجبها الوطني في هذه المسألة.

تجديد قانون العمل

يتفق الجميع على القول بان قانون العمل اللبناني يحتوي نقائص هامة. وفوق ذلك تبقى بعض التنظيمات الكبرى من هذا القانون حبراً على ورق او تطبق بطريقة سيئة لانها تضع على كاهل رب العمل عبئاً ثقيلاً دون أي بدل. فاختيار قانون متلاحم، كامل، يرضي العامل ويخفف عن رب العمل.

فانشاء صناديق التعويض للرواتب العائلية، اذ تضم كل صناعة البلاد، يخفف من القسط الشهري الذي يجب ان يدفعه رب العمل ويساعد على دفع تعويضات لا بأس بها لاصحاب العيال العاملة. وهو فوق ذلك يلغي استثمار الشبيبة العاملة بأن يفتح باب العمل على مصراعيه لاصحاب العيال.

وترتيب التأمينات الاجتماعية على المستوى الوطني لكل اخطار الحياة

العاملة ، يساعد على ازدياد الدفع ويخفف رسم الاقساط التي يدفعها العامل ورب العمل . ولذلك نتائج اجتماعية حسنة منها انه في المسائل الصحية ، يتوصل صندوق التأمينات بسهولة الى ان يقدم للعامل المصاب بحادث في العمل وبعجز دائم ، راتباً لمدى الحياة بدل مبلغ وقتي وغير كاف . ويمكنه ايضاً ان يهتم بالأمراض غير المهنية وان يحسن مساعدة الامومة ، الموجودة حالياً ، بدفع مصاريف التوليد .

وتأسيس تأمين الشيخوخة يقود الى تحوير القانون المتعلق بمسألة الصرف من العمل . ويضمن للعامل المتقاعد معاشاً منظماً اجزل فائدة له من اجرة العشرة او الخمسة عشر شهراً التي يجب حالياً ان يدفعها رب العمل للعامل عند تركه العمل . وهكذا تخف تكاليف رب العمل وتتحسن ميزانية المشروع او المعمل .

وقد بدأ المشترع اللبناني بوضع صيغة قانون للتأمينات العمالية فنرجو ان تأتي سريعاً بحل كامل التوازن .

سياسة انشائية لسكنى العامل

من يمر لاول مرة في بعض الاحياء في اطراف بيروت ، لا يمكنه الا ان ينقبض صدره عند نظره حالة السكن السيئة التي تقيم فيها مئات من العائلات العاملة .

والحكومة قلقت لتوسع هذه الاحياء «الطفيلية» . وليس حدوث هذا الامر خاصاً بلبنان بل نجده في كثير من مدن الشرق الادنى ان لم نقل في غيره ايضاً . وقد صادق المجلس على قانون يسمح للحكومة بان تشترك في تأسيس شركات لبناء المنازل بسعر مقبول ، بالتعاون مع الرساميل الخاصة . فيبقى الآن ان ندرس افضل تشريع للشركة المناسب تأسيسها في لبنان . وبعدئذٍ ندعو الرساميل الخاصة لتحقيق هذه الحواضر العمالية الحديثة .

مهما كان الحاحنا شديداً في طلب تحقيق هذه الامور فهو اقل من الواجب . ولكي نعيد لعائلة العامل كرامتها ونشجعها على العمل المثمر لا نرى اجدى من ان نساعدها على ان تعيش في نطاق لطيف وسليم . ومن اللازم ايضاً ان يدرك

كل اصحاب الارادة الطيبة الذين في لبنان ، وهم كثيرون ، الضرورة الحيوية للبلاد بان يشتركوا بتأليف مثل هذه الشركات بتشغيل قسم صغير او كبير من رساميلهم . وعندما يُبنى لبنان للعامل المسكن اللطيف الصحي ويعمه له ، تتغير هيئة البلاد ليس فقط من الجهة المادية بل من الجهة الادبية والروحية ايضاً . وتتحسن ايضاً كثيراً الحالة الصحية واقتصاديات البلاد .

وهنا ايضاً نظهر تمنياتنا بان يأتي هذا المشروع الحكومي المفيد بالثمار السريعة .

تأليف الدوائر الطبية للعمل

ـ اشرنا سابقاً الى نقص الحماية الطبية للعمال . ويظهر ان التحسين في هذا المجال سهل التحقيق ، ففي لبنان عدد كبير من الاطباء الماهرين والمستعدين للخدمة .

واول تطبيق للرقابة الطبية يجب ان يكون في متعلقات الصحة العامة في مباني العمل . والبند ٦٣ من القانون اللبناني يعين مفتشي العمل لاجراء هذه الرقابة . وان أردنا ان نجعل هذه الرقابة فعالة ، وجب علينا ان نعين طبيباً للتفتيش ، او ان نرفق المفتش بطبيب . وبما ان القيام بهذه المهمة يتطلب بعض المعارف الخصوصية ، يحسن ان يتهيأ طلاب الطب لها وان توضع ، كما في اوربا ، شهادة خاصة لطب العمل .

ومن جهة ثانية يجب ان تؤلف الدوائر الطبية للعمل . ففي المشاريع والمعامل الكبيرة ، يجب ان يفرض القانون وجود دائرة طبية مستقلة بتقدير شغل ١٥٠ ساعة في الشهر للطبيب الواحد . اما المشاريع والمعامل التي هي اقل اهمية ، فتجبر على الانضمام الى دائرة طبية مشتركة .

وتكون وظيفة هؤلاء الاطباء اولاً القيام بالفحوص الطبية المنتظمة للاشخاص : عند دخول العمل ومرة في السنة للراشدين ومراراً عديدة للفتيان وللعمال الناقهين من الامراض . ثم يهتمون بان تكون البطاقات الطبية متممة في اوقاتها . ويعطون رأيهم لرب العمل في كل ما يتعلق بتحسين الشروط الصحية في المعمل .

وطريقة دفع الاجرة لهذه الهيئة الطبية الاختصاصية يجب ان يحددها القانون .

وتجدر الاشارة ايضاً الى ان العمل الطبي ، كما في اوربا ، يمكنه ان

يُضاعف بمساعدة الاسعاف العام ، الذي سيزداد الشعور بالحاجة اليه يوماً عن يوم في المستقبل . خصوصاً للعناية بالنساء والاولاد والزيارات البيتية فهو يؤدي خدماً ثمينة لم تقدر ايضاً حق قدرها في لبنان .

دفع العال نحو التخصص

يخرج العدد الوفير من الاولاد من المدرسة الابتدائيـة ويندفعون حالاً الى الشغل دون ادنى تخصص ، لنيـل الربح في اسرع وقت ممكن . واذ تنقصهم الجدارة ، يذهبون من معمل الى اخر يفتشون عن مكان يناسبهم وقـد يظلون على هذه الحال مدة سنين . وهكذا يهيئون لنفوسهم في العمل حياة متأرجحة وقد تكون تعيسة . فيجب اذاً قبل الابتداء بمهنة ما ، ان يكون باستطاعتهم تعلم صنعة بقليل من التكاليف او مجاناً . فمن المهم اذاً ان تهتم الدولة والافراد اهتماماً خاصاً بزيادة عـدد المدارس المهنية . فمن النتائج الحسنة لهذه المدارس انها تنظم سوق العمل بفضل الفتيان العاملين ، وتقدم للبلاد اليد العاملة الاختصاصية الكبيرة القيمة ، وتحقق للمستقبل انشاء عائلات اكثر متانة وسعادة ، لان رب العائلة الذي يتقن صنعته يعيش بايسر حال .

التنظيم القانوني للاجور

في كل البلدان الصناعية تقرر قيمة ومعدل الاجور بالتشاور والاتفاق بين الهيئات العمالية وارباب الاعمال والدولة ، بصورة اتفـاق عمومي او بصورة تنظيم مباشر تصادق عليه السلطة . اما في لبنان فتسود الحرية التامة في هذه المسألة . لذلك نجد مراراً ان الاجرة المدفوعة هي اقل من المعدل المناسب الادنى للحياة . والمرسوم الاشتراعي رقم ٢٩/ET بتاريخ ١٢/٥/٤٣ ، حدد كمبلغ ادنى للاجرة ٧٥ ل.ل. في بيروت و ٧٠ ل.ل. شهرياً خارج بيروت . ومنذ ذاك الوقت ارتفعت كل الاسعار . فهل تبعت الاجور هذا الارتفاع ؟ يا للاسف ، لا يمكن ان نعطي جواباً ايجابياً وعاماً .

وبما ان الاتفاقات العمومية غير موجودة في لبنـان ، فيجدر بالحكومة ان تهتم في اوقات معيّنة بتقرير تغييرات الحد الادنى للاجرة بالنظر الى تكاليف

غلاء المعيشة . وقد بدأت بعض المؤسسات الكبيرة باتخاذ طريقة تطبيق الاجور المباشر على تكاليف المعيشة . فلماذا لا تعين الحكومة لجنة رسمية لتكاليف المعيشة ، تعمل على حساب التطورات الطارئة بانتظام ، وبالتالي يكون رب العمل مجبراً على تطبيق اجور العمال عليها ؟

ادارة احصائية

لكل هذه الاصلاحات تقتضي معرفة عميقة ومراقبة دائمة لمحيط العامل ولتطوره . وصحة المعلومات هي احسن كفيل لوجود الاصلاحات العادلة .

ووضع نظام معقد متشابك كنظام التأمينات الاجتماعية مثلاً ، يقتضي معرفة عميقة لكثير من الارقام والمعلومات المتعلقة باهمية دنيا العامل الحقيقية وبالنزعات والفرق التي يؤلفها وبالحالة العائلية الخ...

فلكي تقوم الحكومة اللبنانية بعمل مفيد في الحقل الاجتماعي ، عليها قبل كل شيء ان تعتمد على درس سابق رصين للاحصائيات ، هذا الدرس يجب ان يتابع دائماً بدقة من قبل اختصاصيين ممتازين .

لهذا نسمح لنفسنا بان نوحي بفكرة تزويد لبنان عاجلاً بمثل هذه الدائرة لكي ينجح عمل التنظيم والاصلاح الذي بدأه والذي يقصد بان يتابعه.

❖

والنتيجة من هذه الاعتبارات هي ان لبنان يستطيع جيداً ، ان اراد ، ان يحسن سريعاً وضعية الطبقة العاملة . وهو يملك الوسائل المالية ، خصوصاً اذا قبلت الرساميل الخاصة بتقديم المساعدة للمشاريع الكبيرة في نهضتنا الاجتماعية .

ولكن من الجهة النفسانية ، يظهر ان الروح الوطنية ، الى الان ، ليست على قسط وافر من الصفات الضرورية للقيام بنهضة سريعة .

ولنشر الى اهم عناصر النفسانية الوطنية اللازمة : منها اولاً روح التفاهم والتعاون المخلص في الحقل الاجتماعي ، بين جميع العناصر الشعبية دون استثناء .

والاقتناع العميق باهمية الواجب الاجتماعي في حياة كل فرد ، وبالتضحيات التي تتطلبها .

والثقة الاكيدة بمفعول المجهود الاجماعي لايقاف عادة الانتقادات المفرطة ضد بعضنا ، المنتشرة تقريباً في كل مكان .

وروح النظام لاتباع اوامر الرؤساء. ونزع تلك العادة المؤسسة فينا بان يعمل كل واحد على تدبير امره اولاً ،وعلى حساب الاخرين ان لزم الامر.

واخيراً الثبات في العمل الذي نكون قد بدأنا به .

من الاكيد ان نفسية شعب لا تتبدل في نهار واحد. فمن الواجب المحتوم على المربين والمدرسين اذاً ان يهيئوا الشبيبة لأن تفكر وتشعر اجتماعياً ، ومن واجب الحكومة خاصة ان تنير السبل وتعطي الارشادات وتتدخل لمنع المظالم ، وان تباشر الاعمال وتعطي مثالاً في الارادة الثابتة لبلوغ الهدف.

وفي لبنان، لحسن الحظ، عدد وفير من اصحاب الارادة الطيبة . فعندما يدركون اهمية الواجب الاجتماعي الذي يفرض نفسه عليهم حالياً ، يقبلون ، بلا شك ، على ان يغيروا وجه لبنان بنفس الحماس الذي يظهرونه عادة في تسيير امورهم الشخصية .

اما انا ، فلي رجاء وطيد بان السنين المقبلة سترى في لبنان تحقيق توازن اجتماعي اكمل ، يكون مورد سلام وتفاهم واتحاد ، تقبل اليه الطبقات العاملة لاغتراف الفرح وهناء العيش .

وجوه من الشرق

الحب الصاعد في نفس ابي شبكه

بقلم ميشال حايك

« لي الى الله في حنانك مرقا
ةٌ وفي صوتك الشجيّ سلالمْ ...
سوف تُمحى رزىً وتنهار احلا
مٌ وتبلى منّي وحبيَّ دائمْ ... »
(الى الابد)

نحن في سنة ١٩٤٠ . كنت حينذاك تلميذاً في معهد الرسل في جونيه . وقادتنا النزهة الى الذوق ؛ وعلى احدى دروب تلك البلدة مرّ بنا شاب نبّهني اليه احد رفاقي مشيرًا باصبعه : « هذا هو الشاعر الياس ابو شبكة . » وما حفظت في ذاكرتي منه سوى لونٍ اسحم ومشيةٍ متوتّرة . ما اذكره الا كما يذكر الغريب بلداً بعيداً مرّ فيه ، او كما يذكر الاعمى خيطاً من النور مشلولًا . وانطبعت فيَّ تلك التقاطيع الفقيرة وما تزال مع الزمان تكتسب سرًا مجدَّدًا وستظل تحوم فوق نظري حتى يخبو فيه الضيا. تحت الانطباقة الاخيرة .

ما رأيت في تلك الفرصة المسرعة غير شكل ابي شبكه الخارجي. واراني الان بعد عشر سنوات اجلس في غرفة موحشة كنفس ذلك الشاعر واقلب صفحات آثاره فارى ، لا رسمه الذي اضمحل فاصبح تراباً في قبر ، بل ارى روحه الفتيَّة البيضا. لا ينال منها الفنا. منالاً وتتكسر دونها الايام والليالي ، لانها ابعد من ان تطمس جمالها غبرة السنين . وما ذاك الا لان ابا شبكه باقٍ ، موجودٌ بيننا يتكلم الينا فتصغي اعماقنا المخلصة الى كلام الحب المتقطر من شفتيه الملتهبتين : الحب الهاوي ، والحب الصاعد .

الحب مفتاح حياته وموته ومدخله الى الخلود . والحب كلمة معقودة النبرات في فم الانسان منذ كان ، يحاول النطق بها فيكون نصيبه الفشل ،

اذ تعجزه الاصوات والحروف وتبقى تلك الكلمة جرساً خفياً يرنّ في الاعماق فلا تجمعه الظنون ولا تجسّده المقاطع المادية الفانية . وما اكثر الذين اعتزموا الحب فما وجدوا سوى ذات مبعثرة ضائعة تبحث عن ذاتها : انهم الخطأة . وما اقل الذين غرّقوه في الحب العظيم ، في الله ، فوجدوه حقيقة اسمى واطهر واكثر شمولاً : انهم القديسون .

وابو شبكه هو من الاثنين : هو مجرم وبار ، هو خاطىء وقديس كانت خطيئته طريقاً اوصله الى القداسة في الحب ، اوصله الى نكران ذاته ، وهل القداسة سوى نكران ذات متواصل ؟ اذا كان هوى حتى اسفل الوادي فلانه احب الصعود الى القمة الجاذبة . وكم من الذين لم يتعرّفوا الى حرية القمم الا بعد ان يكونوا تمرّغوا في السهل وجرحوا أيديهم وارجلهم بين صخور الوهاد الشائكة !

من هؤلاء كان ابو شبكة . فهو طاهر حتى في خطيئته لان الخاطىء كما حددته تلك القديسة الساذجة برناديت ، هو الذي يحب الشر . وابو شبكه ما احب الشر ابدًا . انه ما كتب ليفسد اخلاقاً او يبلبل طهارة . بل كان مخلصاً لواقعه عبّر عنه تعبيرًا صادقاً واندفع الشعر على فمه دماً جارياً من قلبه ، أكان ذلك القلب ملوثاً بالاثم او مشتاقاً الى السماح ، او مستقرًا في الطهارة . ان ادب ابي شبكه اعتراف ، فيه من اعترافات الفرد ده موسه (de Musset) ومن اعترافات القديس اغوسطينوس الشيء الكثير : فجور وطلب مغفرة ، مرارة وتقوى ، استسلام الى الاثم وانفتاح على الخير .

ما اذنب نظير موسه ولا طهُر نظير اغوسطينوس ولكنه بقي على الدرب بين الاثنين . لم يقنع بالوادي الموجع الموعر نظير الاول ، ولم يبلغ القمة نظير الثاني . لقد ظل متأرجحاً بين الوادي والقمة ، بين الاثم والقداسة ، بين الجحيم والنعيم فطال مكوثه في مطهر العذاب . وهذا ما يجعله قريباً من القلوب . ففي كل انسان هذا المثنّى من المتناقضات . ولذلك نستقبله ونتعرّف فيه بعض الاحيان الى ذاتنا اذ انه يعبّر عن هذا النزاع النفساني المستمر في داخلنا بين ارادتين متعاركتين : ارادة الخير وارادة الشر . واذا

به حين يروي قصته الشخصية ، يتفز ، ككل شاعر انساني حق ، وراء حدود الذات الضيقة ، ليجتمع بهذا المجرم والقديس ، بهذا الحيوان والملاك اللذين يهجعان في قرارة نفس كل انسان .

شعر ابي شبكة كروحه قلق متألم : تارةً ينزو فيكاد يجعل الحلم حقيقةً مجسدة فتشيع الغبطة في كلماته وتهدر السماحة والغفران بين مقاطعه ، صواحب الجرس الخفي الناعم ، وطوراً يصطدم بالواقع المرير الثلاب فاذا الشعر قطع من روح متحطمة ممزقة ، فتبكي السطور وتنتحب القوافي .

شعر ابي شبكة قصة قلبه المجسّدة في حروف وكلمات : تارةً تنعم الليالي عليه بصفو لقاء واجتماع مرقوب بين غفوة الزهر وارتعاشات الدوالي المخمورة ، فاذا الشعر فناء في الحبيب ونسيان لكل ما يذكّر بغير حمرة خدين ولهبة انفاس ، ولكل عين سوداء تطلب سوءاً :

لاحسَّ في الدنيا لأنسانِ
فالناس كالاشباح قد راحوا
ولم يزل الّا خيالانِ
حيّينِ ، والباقون اشباحُ ... (١

وطوراً الم فراقٍ ووحشةٌ مريعة وعزلة جوفاء . فاذا الشعر قطرات دموع وسبحٌ في يمّ ذكرى تفرّ الحقيقه منها كالحلم الشرود :

هي هذي مشاهد الامس ، لكن اين زهوي ، واين قلبي الحقيقي ؟ (٢

ما اعرف شاعراً من بين شعرائنا اللبنانيين اخلصَ لواقعه في شعره كما اخلص ابو شبكه . واذا كان اصدق الشعر أكذبه فما أبعد ابا شبكه عن الشعر الحقيقي الصادق . انه لم يكذب في شعره على حياته بل عاشه فيها وعاشها فيه :

هم يشتون بشمزهم اما انا فبأدمعي
بدمي باعراقي بروحي بالشباب الممرع (٣

---

١) نداء القلب .

٢) الالحان .

٣) نداء القلب .

لم يكذب لانه احب حقيقةً والحب دائماً صادق حتى في الوحلة لانه صورة الله فينا . وان نحن لوثناها في المستنقعات والبزر الفواجر فانها تظل ، وإن مشوهةً ، صورة الله الذي ما أبدعنا الاَّ عن حب ومـا ارادنا الا للحب القويم .

وابو شبكه ادرك ذلك حين هتف في اخر « افاعيه » ، كتاب الحب الآثم ، صارخاً :

ان في الحب صورة الله لكن اين في الخلق صورة الخلّاق (١

تراه كان يتكلم عن نفسه بعد تلك العاصفة الهوجاء التي اجتاحته ؟ من يدري . ولكننا نعلم انه كان يشعر بانتقاص في روحه عن دعوتها الحقيقية ، وبالمسافة التي قطعها بعيداً عن الذي وحده يشبع النفس الجائعة . كان يحسّ بالفرق اللامنظور بين ما يشتهي حقيقةً وبين ما يتلهّى به . وكان هـذا الاحساس يتفجر مرارةً وشكوى . مأساة ابي شبكه داخلية وعراكه اعمق من ان يكون حباً لامرأة يحاول ان يخلص لها بينما الاخرى تستغويه . ان قصته هي قصة ملاكٍ وحيوانٍ متعاركين في نفس انسان ، الاول يشدُّ به الى فوق والثاني الى اسفل الجحيم . واذا كان لبّى الدعوتين ، فان الملاك كان له النصر في النهاية .

مراحله

في حياة ابي شبكه مراحل ثلاث رواها لنا شعره الصادق . الاوليان وعرتا المسلك ، ضيّقتا الشعاب ، لقي فيهما من الالم الواناً وكاد اليأس الاسود يستولي لولا بقية من النور احتفظ بها بين نيران قلبه المشتعل . اما المرحلة الثالثة فهي درب صاعدة نحو القمة ، فيها الكثير من غصص الذكريات الماضية الموجعة ، وفيها على الاخص الكثير من القبول والارتياح والطمأنينة بعد اهوال الماضي وصخب لياليه .

مراحل ثلاث قطعها وما من رفيق له غير جراحات قلبه التي كانت تلتئم

١) افاعي الفردوس .

شيئاً فشيئاً على اوكسيجين التلّة . انه عاش في وحشة حتى قرب التي اعطاها قلبه الكبير . عاش في وحشة لان كل عظيم في الارض مستوحش منفرد يحمل عظمته عبئاً ثقيلاً على كتفيه . واذا كان اشرق ، قرب ساعة الرحيل ، قبس رجاء بين عينيه ، فلانه ، حتى في جحيمه ، احتفظ بشيء من القداسة ما نالت منها يد الغاوية .

وسنرافقه على الطريق الصاعد ، وما هي مرافقة شخص وهمي ، بل قلب ينزف دماً احياناً ودموعاً اخرى وشيئاً من البلسم المعزي . واذا قدر لنا ان نكون من المخلصين نتعرف الى قلبنا مع ما فيه من عثرات وضعف واستسلام اثيم وما فيه ايضاً من نهوض بعد السقطة وشجاعة بين اهوال القفر المريعة .

في الجحيم

ابو شبكه في « افاعي الفردوس » يحترق في نار . انما يجتاز مرحلة من اعنف مراحل حياته واقساها . ذلك القلب الفتيّ النابض بالحياة ، الذي يقابل الحياة بأنفة وكبرياء ، يجرح في صميم انفته وكبريائه . وما تحشون الذي صوره لنا الا رسم له . هو العزيز النفس ، الأبيّ ، تستعبده دليلة اخرى . ويحاول ان يهدّم « دعائم الكذب الجاني » ويتفلت من القيود التي تكبل حريته :

هيكل الاثم لم أبح لك ذلي شبح الرقّ لم اسلّمك نيري (١

ولكنها ليست سوى محاولة مخفقة فالشاعر تعجّ في صدره « الشهوات الحمر » الطاغية ويصطخب احساسه بها . في قلبه نار الجحيم او بالاحرى قلبه هو الجحيم ٠ فلا فرق بين الاثنين بعد ، كما قال احد ابطال دستويفسكي :

« أسليلة الفحشاء نارك في دمي فتضرمي ما شئت ان تتضرمي
انا لست اخشى من جهنم جذوة ما دام جسمي يا سدوم جهنمي (٢ »

وما ترى الجحيم ؟ أليس العجز عن العمل بجرية ؟ أليس الاسر في سجن

---

١) افاعي الفردوس .
٢) افاعي الفردوس .

تودّ لو تحطمه النفس وتقوّض دعائمه ؟ أليس هو تلك الغرفة الضيقة المنتنة حيث تنكمش النفس على ذاتها في فراغ موعر . ذلك ما صوّره لنا ، في هذا العصر الفيلسوف الوقح حين قال على لسان الجست احد ابطاله : « انا قشرة فارغة : لقد مصّت جوفي احدى الحشرات ولم اشعر[١] ... » واذًا فالجحيم هو موطن كل شمشون أكلت دليلة — النار داخله ، فاصبح سجين الفراغ والوعورة والوحشة الابدية . الجحيم سجن وعبودية لذات اثيمة :

«اصبح الليث في يديك اسيرًا فاطرحيه سخريةً للحمير
ان قاضي المتعبدين لبدٌ وقضاةٌ عزٌّ قضاةُ العور...»[١]

وما ترى الجحيم غيرُ تلك الرسوم المتشنجة الالوان وذلك الخوف المستبد :

« أخاف في الليل من طيفٍ يسيل على موجات عينيك حينًا ثم ينترب
طيف من الشهوة الحمراء تنزله خمر الليالي وفي اعماقه العطب ».[١]

وما ترى الجحيم سوى تلك الصور المحمومة وذلك الكبريت المحرق الأكّال المتعجر :

« في صدرك المحموم كبريتٌ اذا لعبت به الشهوات فجّر أضلعهْ ...
وأثرتِ حنجرة الفجور فاطلقتْ حممًا على نغم الجحيم موقعه
اغنيةٌ حمراء انشدها الخنى مِزَقًا على اوتارك المتقطعه ...
بؤر مستّرة الفساد بخدعةٍ نكراء بالخز الشهيّ مُرقّعه ...»[١]

وبعد ان عرفنا اخلاص شعر ابي شبكه لحياته ، ندرك ولو قليلًا شدة الألم الذي كان يعانيه . ومهما تكن شاعريته قد تسامت لما استطاعت وصفًا لتلك المشاهد الموعرة والصور الجهنمية التي جسّدها امام عيوننا بحروف نارية لو لم يكن احسّ بخطوطها ترتسم في قلبه . وكل من يقرأ قصيدته «القاذورة» يشعر بتلك الغيبوبة التي ضاع فيها ويحسّ بذلك الدوار المحموم الذي أسكر اعصابه وهدر في اعراقه المخمورة . واذا بالشاعر يطوّف قارئه في دنيا غير حقيقية في الواقع الملموس ولكنها حقيقية في قلب كل اثيم مجرم : انها جهنم ،

١) J. - P. Sartre. Théatre p. 72

٢) افاعي الفردوس .

تلك التي شاهد دانته على بابها هذه الكلمات المروّعة: «ايها الداخلون هنا، القوا عنكم كل امل». والشاعر اللبناني، كالشاعر الايطالي، قرأ الكلمات ذاتها:

قرأت عليه احرفاً خطّها اللظى ويروعك منها اثنان: سجن مؤبدُ
فطُوِّفت في غمرٍ من الليل والمنا يعربد والارجاس ترغي وتزبدُ
وللحمإ النالي نشيشٌ ورغوةٌ كأن الورى مستنقعٌ يتنهّدُ...
فثمّة جرذان ترى النور آفةً فتؤثر او جار الظلام وتلبدُ.»(١

وتتابع الصور الحالكة السواد، صور «الجرذان» «والخفافيش» «والجرادات العطاش الغوارث» «والانسر» «والصراصير» وتلك «الارواح الممسوخة» وذلك «الضمير المدوّد». فيحتل اليأس من شاعرنا المكان المتمّ فيودّع عذارى الحب البيضا. ويستسلم الى النيران التي تُحرق ولا تُفني:

«وداعاً عذارى الحب في خيم الهوى جمالكِ محظورٌ وعدنكِ موصدُ.
ألا اغلقي الفردوس في وجه شاعرٍ يضمّ ضبابير الجحيم وينشدُ.»(١

هكذا كان شاعرنا يصطلي بنار ذاته، بنار شهواته. ومن عجيب ما في تلك الشهوة انها تشتد لجّاً وجوعاً كلما شبعت. وانها لتصبح كَلَباً كلما اكلت من فؤاد الانسان.

لو وقف ابو شبكه هنا، لو استقرّ كل حياته في هذا المكان الموبوء لكان اعنف وأوجع شاعر عرفه الادب العربي. ولكنه، لحسن حظه، لم يستقر طويلاً في هذا الجحيم. لم تكن تلك السنوات القاسية على فؤاده سوى معبر شائك خَطِر دخل فيه ليخرج منه الى الحياة.

في المطهر

قلب ابي شبكه بناء متهدم إثر عاصفة هوجا. اجتاحته ولم يبقَ فيه من جمال العمارة المرصوفة، عمارة النقاوة، سوى خشبات محترقة:

لا تجيء قلبي فلم يبقَ فيه من بناء الماضي سوى اخشابِ (١

---

١) افاعي الفردوس.

ولكنه سوف يعارك امواج البحر الهائجة ويطفو عائماً على احدى هذه الاخشاب حتى يبلغ المرفأ الامين ، حيث الهدوء والسلام . اجل انه مهّد للشر سبيلًا الى قلبه ، فدخلته بنت لوط وافعى الفردوس ، ودليلة الفاتنة ، فاصبح قاذورة تعج بالمطالب المتكالبة وتحرق النار الازلية التي اشعلها الحب السماوي في الانسان . ولكن بقي في قلبه مطرح مقدس ، هو حرم نفسه ، لم يسمح للفساد ان يدبّ اليه بظفر ومخلب ولم يرد ان تمسّه كف ملوثة بالعار. ومع انه اعطى شفتيه قرباناً على مذبح الخطايا ، فقد احتفظ بزاوية من قلبه سيّجها وحصّنها وخفر ساهراً على بابها ليله الطويل :

«يا ابنة الاثم هذه شفتايا ... فارشفي منها رحيقَ الخطايا
واعصري ما استطعت قلبي فقلبي ... لم يزل فيه من غرامي بقـايا
وتوقي احدى زواياه لا تمسّي ... فلي حرمة باحدى الزوايا
ان في قلبيَ البغيِّ خيالاً ... من عفاف ما فاجرته البغايا
ان تكن حننتي المدماةُ ملكي ... فخيال العفاف ملك سرايا» . (١

هذه الاشعار الحنّة التي ترد بعد قصيدة « الشهوة الحمراء » تحت عنوان « الخيال النقي » هي اصدق صورة للشاعر في تلك الحقبة من عمره التعبان . خيال من ذاك الذي يحوم بين عينيه الملتهبتين ؟ أترى هي « غلواء » النقية الطاهرة التي ما تزال تجيء قرب جحيمه فتفرش بساطاً من الامل في موطن اليأس الدامي ؟ لا شك في انه خيالها . فقد كان الشاعر يؤلف كتاباً باسمها ولكن قلبه ، كما يقول الاستاذ بطرس البستاني ، كان يجتاز ، ازمة عنيفة حالت دون ظهور الكتاب في وقته . اما طيفها فما زال يمرّ كالومضة في جفنيه فيتذكر النقاوة والطهر ويحنّ اليهما .

وبدأت الامه تتطهر من جرائم اليأس ، على ان هنالك حرقة ملازمة كانت ترافقه ، لان ماضيه اثيم يقرّ به ويعترف بانه جوّع نفسه حين اطعمها من الهوى الفاني ، من الشهوة التي تمسخ الشهوة الحقيقية ، هذه التي تطلب الله لتستقر فيه :

١) افاعي الفردوس .

رباه عفوكَ اني كافرٌ جانٍ جوّعت نفسي وأشبعت الهوى الثاني
تبعتُ في الناس اهواء محرّمةً وقلتُ للناس قولًا عنه تنهاني (١

هي مرحلة العراك الدامي في نفس الشاعر : عراك الارادتين في الانسان الواحد : لقد تعرف اليه القديس بولس حين هتف : « من يخلصني من جسد الموت هذا ... اصنع الشر الذي لا اريد والخير الذي اريد اياه لا اصنع[٢] » لقد تعرّف اليه القديس اغوسطينوس حين صوّر لنا عاداته السيئة تحاول ان ترجعه عن قصده واهتدائه : « وكانت صواحب الامس تشدّ بذيل جسدي اللحمي ، وتهمس بي قائلة : أتطردنا ؟ ماذا ؟ لن نكون معك منذ الان وصاعدًا ولن يحق لك ان تأتي هذا العمل او ذاك الى الابد ؟[٣] » وهذا راسين (Racine) الشاعر الفرنسي الناعم يعبّر لنا عن هذا القلق الداخلي وهذا التناقض الموجع . أما قال في « اناشيده الروحية » :

Mon Dieu, quelle guerre cruelle !
Je sens deux hommes en moi . . .

Hélas en guerre avec moi-même
Où pourrais-je trouver la paix ?
Je veux et m'accomplis jamais,
Je veux, mais (ô misère extrême!)
Je ne fais pas le bien que j'aime
Et je fais le mal que je hais !
O grâce, ô rayon salutaire
Viens me mettre avec moi d'accord ! . . . (٤

وابو شبكه ككل نفس كبيرة شعر بذلك الانقسام الداخلي الذي جرّح نفسه . يسمع صوت الله يناديه لينهض من الوحلة ، فيريد تلبية الصوت ولكن الخطيئة أسدلت سترًا على عينيه فكاد لا يبصر :

ترى شيئتك العليا تناديني بثورة النار في تلك البراكين ؟

١) اغاني الفردوس .
٢) روميه ٧ : ١٩
٣) اعترافات ٨ : ١١ – ٢
٤) *Cantiques Spirituels*

رباه ! هل ينتهي حلمي بارقة من اللهيب ويخبو الطين في الطين ؟
أعرضتُ عنك غداة القلب ضلّلني كأن شهوة قلبي عنك تنثيني
وحين أوقظتُ من سكر الهوى خجلاً بحثت عنك ، وكاد العار يخفيني ... (١

وهكذا كانت تلك النفس الخاطئة الطاهرة تعارك ذاتها لكي تتفلت من القيود التي كانت تربطها ، فاذا بها تتصاعد رويداً رويداً من هوّة اليأس الى الامل وتسمو فوق دعوات اللحم والدم . انها نفس جائعة الى غير الخبز الذي لا يستطيع وحده ان يشبع الانسان .

في هذه الفترة من حياته الموجوعة ، تطلّع ابو شبكه ، لكي ينسى اوجاعه ، الى صباه ، الى قريته ، الى الفلاحين والحصادين والرعاة ، الى برهات المغيب المخيّم فوق « الزوق » ، فبدت له اضواء حبيبة واذا الحياة كلها لحن تبعث الطمأنينة والصحو في النفس المتألمة . وتمنى الشاعر لو يرجع الى ماضيه فينسى هموم الحاضر واتعابه ويدعو نفسه الى الصلاة لترتاح قليلاً :

اسجدي لله واسلي فترةً ذكرى العذابْ ...
واستعيدي ذكرياتٍ لأويقاتٍ عذاب
لم يكن ماضيكِ كالحاضر سرناباً كئيب ... (١

ويودّ لو يرجع لبنان كله الى الماضي الجميل ، الى السعادة التي غبرت ، حيث كان « الضمير الهني وراحة الوجدان » حيث :

ذاك النبيذ العتيقْ في الخابيهْ
وذلك الابريقْ يهشّ في الزاويهْ
والنرجس المستفيقْ في الآنيهْ
والريح لصٌّ مرقْ على رؤوس الحبقْ
كأنه ما سرقْ كأنه ما جنى
يا دهر أرجعْ لنا ما كان في لبنان ... (٢

ويصرخ مستحلفاً الدهر بان يُرجع « الرفش والمعول والموقد والصاج

١) افاعي الفردوس
٢) الالحان .

والجرن والفلاح الغادي والموسم المقبل وراحة البال » ، يطلب من الدهر ان يُرجع « لنا وجهنا » :

وأسترجع الكهربا وكاذبات المنى
يا دهر أرجعْ لنا ما كان في لبنان ... (١

ويطول بنا الحديث ان اردنا ان نستخرج كل ما في « الالحان » من جمال وروعة . هنا ظهرت كل روح ابي شبكه النقية الناعمة الشفافة . كما أن العاصفة المفاجئة اذا هبّت بغتة على روضة تترك بعدها هدوءاً اعمق من الهدوء وصحواً أطيب من الصحو العادي ، هكذا نفس ابي شبكه بعد ان عصفت فيها تلك الزوبعة الاخرى العاطفية .

ويجيء بعد « الالحان » ، « نداء القلب » الذي هو كتاب البحث عن الحب الحقيقي . حقاً ان قلبه ينادي ، ينادي الوجه الطاهر الذي فقده في مطلع شبابه ، ينادي ، من بحيرة الالام ، حلم الجمال العفّ والرسم الذي شوّهت حية الفردوس صفاءه ونضارته . قصائد ابي شبكة في هذه البرهات تتفلّت شيئاً فشيئاً من الواقع ، لتجتمع بالحلم ، تترك الماضي لتتوجه الى المسكن العتيد ومغنى الهوى الحقيقي . قصائده في هذا العهد ، هذا بعض عناوينها : « الأنساء » ، « الناسكة » ، « انت لي » ، « احبك » ، « الناسك » ، « العفاف المغوي » ، « استغراق » . اين هذه الكلمات الصوفية من من تلك العناوين ، ايام شقائه في الجحيم : « اقاذورة » ، « الافعى » « في هيكل الشهوات » ، « سدوم » ، « الشهوة الحمراء » ، « الطرح » .

لنتوقف قليلاً امام « الناسكة » ، انها خلاصة حالة الشاعر . لقد نسي او اصبح على وشك ان ينسى مطهره ، فيخيّل اليه انه على رابية ، يفتح نوافذ قلبه للحب ، ويوصد بابه دون الورى ويعيش في مغنى الجمال فترة تنحل فيها كل الثورات القديمة الجامحة . وهناك في تلك « الغفلة الواعية » تغمر يقظته روح ملائكية مرفرفة من عل فتنتشي احلامه من سحر وخمرة سرية . واذا

١) الالحان .

به ، وقد بدأت الالام تضمحل ، يسمع الصوت الذي خنقت نبراته ضجات اسمه القديم :

واسمع صوتاً كهمس عميق فاصغي لنسمع اعماقيه (١

على طريق النعيم

انه الصوت الذي ما برح يناديه ، من بين فحيح الافاعي ، الى المكوث في ارض الميعاد « الى الابد » . الصوت الداوي في قرارة كل وجدان ، وكم هم الذين يسمعون ؟ لقد سمعه ابو شبكه من بين ضجيج قلبه المحموم ونيران جسمه الطاغية . وما كانت حياته الا محاولة لتلبية ذلك الصوت الداخلي وهذا الهمس العميق . واذا توقفنا عند الكلمات فقط لا ندرك من نفس ابي شبكه الا القشرة الظاهرة ، ويفوتنا القلق النفساني . لقد كان قلقاً اجل . وهو من تلك النفوس الكبيرة التي تعجز الارض عن تحقيق رغائبها ، فلا التراب ينبت زهواً على تعطشها للعطر ، ولا القفر يمرع بالحوض فيروي ظمأها . ولهذا تنقلت من الواقع ، الى ما وراء الواقع ، من اليوم الى الزمان ، من الزمان الى الابدية ، من الفرد الذاتي الى الانسان الشامل . من النثر اليومي الى عالم الشعر الحقيقي ، لان الشعر وحده يستطيع ان يعبّر عن الحقيقة ، وما الحياة اليومية الا كذب ومساومة على الحقيقة .

انه الهرب . الهزب امام الماضي ، الهرب من قسوة الزمان ، الهرب امام المدى المحدود ، امام الحياة ، الهرب صوب الابد ، صوب الله .

وسوف يهرب الى الله فيحتمي به من ضراوة الحب المفترس ، لا بل يبدله بحب آخر يفرش على الناس الذين اساؤوا اليه سماحة وغفراناً . وهكذا سترافقه على طريقه الصاعد الذي سوف يشرف به على جنة النعيم . قد انتهى طور التردد والاضطراب بين ما يشد به الى اسفل من ذكريات مسعورة ، وبين ما يدعوه الى تسلق القمة حيث ينقى الهواء . ويطهر الحب . لقد كان مخلصاً لدعوة الفوق فصعد رغم صعوبة الصعود ووعورة الطلعة .

١) نداء القلب .

ان آخر شعر من « نداء القلب » يُطل بنا على تلك الارجاء الفسيحة حيث الشاعر يحط انظاره :

« لم يكن ماضيَّ في الحب سوى مطهر أفضى الى هـذا النعيم »

اين هو ذلك النعيم الذي يشير اليه ؟ انه امامه منبسط الفسحات مخضوضر الدروب . فليتلاشَ فحيح الافـاعي التي نفثتْ سمومها في جسمه ، ولتخمد النيران المحرقة ، نيران حبه القديم . اما الان فقد اشرقت على عينيه اضواء منهمرة من عل تنقي ارجاس لحمه ودمه وتشفي الجروح المعصوبة ببلسم جديد وحب ازلي جديد .

يقول القديس يوحنا الصليبي : « انسَ كل شيء قديم ، حتى النعمة القديمة التي أُعطيتَها ، وامشِ الى الامام ، فان الله في الامام .» وابو شبكه سوف ينسى القديم ولياليه المحمومة ؛ وعندما تذكّره ملبّة « الى الابد » بالماضي ، مجيبا : ـ

. . . . لو جئتِ لألفيتِ في ترابي جماجمْ
كان قلبي يا ليلَ يدفن ماضيه فلم تبتلي بتلـك المآثم
كان روحي إذ أقبلتْ يتنزّى الحقد فيـه وكان حبي ناقم
فـالأفاعي لم تبقِ الا سـومًا في جنـاني وفي ضميري سام . . .
حبّـها كان مطهرًا لعذابي قمت منه الى نعيم قائم

وفي هذا النعيم يودّ الشاعر ان يستقر ولا تبدّله بعد ضجات الكائنات . وما عنوان كتابه « الى الابد » غير الدليل الصريح على قصده المكوث في هذا النعيم . ولكن هناك ثلاثة اعوام قبل الوصول الى جنة الافراح . لقد سَمّى العام الاول « الحلم الجميل » ترد من خلاله ذكريات الامس ولكنها لا تؤلم نفس الشاعر التي صُهرت في مطهر العذاب . اما العام الثاني فهو ، ما نستطيع ان نسميه « اللقاء » حيث يرفل الحاضر العذب بالاماني الطيبة التي لا اثر للألم فيها . والعام الثالث هو انفتاح على المستقبل العتيد حيث يودّ الشاعر كبطرس على الجبل يوم التجلي ، ان يصنع خيمةً ويثبت هناك لانه شعر بغبطة البقاء على تلك القمة . ويبتدئ هذا العـام بنشيد يفيض رقة وعذوبة :

نحن عدن وهم مكان مريبٌ شنيتْ فيه أعينٌ وقلوبُ
سكب الحبُّ رحمةَ الله فينا فالسنى مائجٌ بنا والطيوبُ
كل اعراقنا السعيدة للايمان مجرى وللرجاء دروبُ
تتناهى بنا الى النبطة الكبرى فنفنى بسحرها وتذوبُ (١

واذا بهما يتحدّيان صروف الزمان وشرائع الارض . ويعزمان على الاخلاص والوفاء المتبادل حتى ولو تجندت تلك الصروف والشرائع للحؤول دون ذلك . ويستنجدان الجمال الذي توطد السماء دعائمه في الارض :

ان بيتاً على الجمال بنيناه لتأبى السماء ان ينهارا (١

وهكذا سيثبتان رغم انف العواذل والحساد ويستمد الواحد من الآخر قوة الاستمرار في ذلك النعيم :

يا حبيبي كما حييتُ سأحيا ان بي من نبيكَ استمرارا . . .
كلما غرّق الظلام عيوني أطلع الحب في دمي انوارا (١

اعتادت الكنيسة الكاثوليكية ان تصلي على قبور الموتى وتقول : « الراحة الى الابد أعطهم يا رب » . وها هو يستريح في حبه الجديد . ولكن الموت قد بدأ يكتله وينشب في قلب الشاعر اظفاره القاسية وما كانت راحته سوى وحي للراحة الابدية المزمعة الذي نأمل ان يستفيق منها على حب آخر غير هذا الفاني الترابي الذي اضاعه .

ابو شبكه في « الى الابد » بلغ قمة شعره . فكأن حياته كلها ما كانت سوى اعداد لهذه المرحلة . « الى الابد » هو الكلمة الكبرى ، كلمة الحب الواعي ، الذي فاه بها قبل ان تخمد فيه شعلة الاحساس . وقلبه كان تلك البحيرة الصافية التي ، بعد ان عكّرت مياهها اسراب من الجنيات البواهر ، عادت الى صفائها الاول . « الى الابد » هو صحوٌ بعد عصف شتاءات شديدة ، وشروقٌ بعد الخبط في ليل بهيم طال .

مركز « غلواء »

امّا « غلواء » فكانت تلك النجمة البيضاء التي لم تغوّرها الغيوم المتلبدة ، بل ظلت تشع من بعيد لتهدي الشاعر الى مسكن السلام . لقد بقيت ، في

١) الى الابد .

قلبه المريبُ. ذلك « الخيال النقي » خيال العفاف والوداعة . انما « بياتريس » التي قادت « دانته » من الجحيم الى المطهر فالنعيم ، او تلك التي ، في انياذة فرجيل ، قادت « إينه » بين منعطفات مملكة « هادس » حتى اوصلته الى مراتع السعادة . والانسان الحديث كالانسان القديم يشعر ، في تفتيشه عن السعادة ، بان ليس غير الطهارة تستطيع ان تدخله الجنة ، تلك الطهارة التي تجتمها الكنيسة في شخص ام الله وام البشر .

و « غلواء » هذه هي اجمل ما في نفس الشاعر ، لانها مثال الجمال الطاهر الذي تطلبه نفسه حتى « في هيكل الشهوات » ومستنقع الفجور . فهو يذكرها ويستنجدها على زحمة اشباح الرجس :

وحقِّ روحك يا غلوا ولو غدرت بيَ الليالي وأصمتْ قلبيَ النُّوَبُ
ان كنت في سكرةٍ اوكنتُ في دعرٍ ومرّ طيفك مرّ الطهر والادبُ (١

ولأجلها ما قنع بالخطيئة واستسلم اليها بكليته ، وذلك ما جعله يأمل بالنجاة ، ذلك ما نجّاه حقيقةً :

اما انا ولو استسلمت امس الى خمر الليالي ، فقلبي ليس ينشعبُ
قد أشرب الخمر لكن لا أدنيها واقرب الأثم لكن لست ارتكبُ (١

وغلواء كانت لقلبه الغريق في اللجة كخشبة الخلاص تعلّق بها فأوصلته بعد جهدٍ مرير الى المرفأ .

لقد ابى ابو شبكه وهو بعد في الوحلة ان ينشر كتاب « غلواء » لانه كان مخلصاً لذاته . فكيف ينشر كتاب النقاوة والطهر وقلبه مليء بسموم الافاعي الحمر ؟ أتراه يكذب على ذاته وعلى الاخرين ؟ لم يكذب ابو شبكه.

امّا بعد ان وصل الى الطمأنينة واحس بان ليس بعد ما يهدده بالغرق فقد كانت « غلواء » آخر مؤلفاته الشعرية . وكاني به بعد تعب المسلك ووعورة الطريق نظر من اعلى قمته مستعيدًا المراحل التي قطعها ذاكرًا يد السماء الملائكية التي رافقته فنشلته . فليس عليه الا ان يرسم ملامحها النقية ويتوارى وراء حدود الافاق .

١) افاعي الفردوس

احكام مشوهة

رحم الله ابا نصيف وبرّد قلبه ومثواه . لقد كان من فطرته لا يحب ان يجادل احد بشعره وبنثره فيضع بينهما فارقاً وتفضيلاً . وما ذاك الا لانه كان يشعر وينثر عن اخلاص ، فشعره ونثره يتقطران من معين واحد ، من قلبه . ولكنه قد مات ، فقالوا فيه الشيء الكثير وحكموا عليه اعتباطاً فشوهوا وجهه الشعري .

لقد قيل انه متأثر ببودلير . ولماذا يريدون ان يكون كل شعر تظهر فيه عضّة الواقع الجارحة ابناً لبودلير ؟ واذا كانت « زهور الشر » « وافاعي الفردوس » كلتاهما ترسمان الصور الجانشة المضطربة التقاطيع ، فان بينهما فرقاً وسيعاً من حيث الاستيحاء . « زهور الشر » قصة اليأس والقلق المرير ، وهذا ما يجعلها خطرة تهدد اجمل ما في نفس الانسان ، تهدّد تذوقه الحياة ، تهدّد أمله بالانهيار . اما « افاعي الفردوس » ، وان لم تقلّ خطراً عن اختها ، فانها تُسمعنا من مرة الى اخرى بعض صلوات تدل على ان صاحبها لم يستسلم تماماً الى مرارة القنوط . « زهور الشر » هي استقرار في اليأس ، و « افاعي الفردوس » هي عراك مع اليأس . الاولى حرقة مزمنة لا شفاء منها ، والثانية وجع عمّاً قريب يزول . اين القائل :

« L'espoir ...
Vaincu, pleure ; et l'Angoisse atroce, despotique
Sur mon crâne incliné plante son drapeau noir ».(1)

ممن ذاك الذي استطاع ان يسمع صوت الله في بركة العذاب :

ادعوك والظلمة الحمراء تحرقني . . . .

فلم تقلْ قلبك الرحمن عن المي وقلت : «تطلبني بين المساكين»(2)

وبودلير الباحث عن الجمال ككل شاعر ما وجد لدى المرأة غير جمال خائن كاذب فتشاءم بها واذا به يستنجد مخيلته على خلق جمال فني حتى من

(1) Spleen

(2) افاعي الفردوس

مشاهد القبح ويرسم صورة « الجيفة »[1] المتبرّئة تعربد الديدان فوقها . وفي هذا الجمال القبيح كان يحاول ان يستقر رغم اشمئزازه منه . اما المرأة — دليلة في ابي شبكة فقد كانت افعى تستأجر جمالها للخداع :

ملتفيه بحنك المأجور وادفعيه للانتقام الكبير
ان في الحسن يا دليلة افعى كم سمعنا فحيحها في سرير[2]

فاذا العصر كله سدوم اخرى فاجرة ترقع هـذا الخداع بجمال شهي ولكنه فاسد :

يؤثر سترة الفساد بخدعة نكراء بالمز الشهي مرقعه[2]

فبين بودلير وابي شبكه اذاً فرق في الاستيحاء رغم التقارب من حيث الاوصاف الصاخبة المتصادمة التقاطيع ، الناشزة الرسوم .

وما ابعد ايضاً ابا شبكه عن الرومنطيقية التي هي مرضٌ محبوبٌ في القلب ومغالاةٌ في الواقع . فابن « الزوق » لم يمرض قلبه عن رضى وقبول ، بل كان يودّ الشفاء من الميكروب.. أما هتف مرةً :

أرجع لنا ما كان يا دهر في لبنان
كانت لنا احلامنا والمنى
وكان صفو الزمان
كان الضمير الحي من كترنا المزمن
وراحة الوجدان

أما طلب من الدهر ان يُرجع

الى القلوب البأس الى العيون الجمال
وعزةً للنفس وراحة البال ...[3]

ولم يغالِ في واقعه بل سرده علينا باخلاص مع ما فيه من ثورات لحم ، وتشنج عصب ، ونزوات دماء ، وغرق في الاثم ، ومع ما فيه ايضاً من

(١) Une charogne
(٢) افاعي الفردوس
(٣) الالحان

اطمئنان الى النقاوة وتكفير عن الخطيئة، ومعاندة للفؤاد الجامح . وان يكن فيه شيء من الرومنطيقيين ففي ذلك الاحساس الملتهب الذي جعله كل ساعة عرضة لكل عاطفة وعاصفة .

لم يتغنَّ ابوشبكه بالقبر وبالراحة المشتهاة في جوانبه كما تغنى الرومنطيقيون ولم يحاول ان يطمئن الى الذكرى من حيث هي ذكرى يجتلها فيتخذها ينبوعاً لشعره وشحذاً لقريحته ، بل كان لا يعرض لها إلا إعداداً للقاء او ألماً من الفشل فيه . واذا كان ارتاح الى كل ما هو ديني ، موضوع الرومنطيقيين المزيف ، فلأن نفسه كانت في اعمق قرارتها دينية لا تهدأ ولا تستقر الا في لفظة الله وفي كل ما يذكرها به على الارض من شموع مضاءة ، وقباب معابد ، ورنين اجراس ، وتمتمات شفاه في الصلاة .

كفاه انه اخلص لواقعه لكي لا يكون رومنطيقياً بما في هذه الكلمة من ابتذال .

فليس فيه من الرومنطيقية الا بقدر ما في الرومنطيقية من تعبير عن خلجات الانسان . وانه انسان قبل ذلك ، خاضع لسنة التراب التي اقتضت مضجع رسول الامم « فخاف ان يُرذل وهو الذي بشَّر الاخرين » ، انسان مجبول من لحم ودم واعصاب ، فطوراً يطغى الروح على الجسم فيعذب الكلام ويطهر النفس ، وتارة يفرض الجسد سلطانه على الروح فيتعرف الى السقطة كالملاك الهاوي ، ولكنه لا يبرح « يتذكر دوماً سماه » كما قال لامرتين .

وظنّ البعض « انه مات قبل ان يقول كلمته الكبرى[1] » وانه لزعم أجوف كأن ابا شبكه ما كتب « الى الابد » ، وكأنه ما اراد ، بعد تلك الضلالات ، ان يستقر دون تبديل في عالمه الذي سماه « مغنى الجمال » ، وكأنه ما عبّر لنا عن وفائه الذي شاءه ابدياً :

يا حبيبي سيملأ الحب سجني فليشيدوا الحصون والاسوارا

---

١) دراسات وذكريات ص ٥٠

وسأبنيك فيه جسماً وروحاً وحناناً وعفةً ووقارا
أبو سمِّ السجون ان نحرم التلب روّاه ونحجب التذكارا (١

فقد كان على ابي شبكه بعد ان كتب « الى الابد » واتبعها « بغلواء » إقرارًا بجميل الملاك الطاهرة التي نشلته من الهاوية ، كان عليه ان يتوارى ، والا لسمعناه يردّد علينا كلمات الحب ذاتها .

كلمته الكبرى تلفظ بها بعد ان حاولت شفتاه طويلًا ان تتمتما مقاطعها ، فاذا المقاطع اولا « فحيح » لم يرضَ عنه ، واذا هي بعد ذلك « نداء » يبحث عن مجهولة :

جمالك هذا ام جمالي ؟ فانني ارى فيك انسان جميل الهوى مثلي
وهذا الذي احيا به ، انت ام انا ؟ وهذا الذي اهواه شكلك ام شكلي؟ (٢

وسيعترف فيما بعد انه كان يبحث عن الوجه المنتظر :

كم سمعت الفضاء يخفق حولي أترى كان يلتقي طيفانا ؟
كنتَ بي قبل ان اراك بعيني فدمي كان يرتوي احيانًا (٣

الى ان اهتدى اخيرًا الى احدى الواحات فاستقر فيها ولن يفارقها الى غيرها ، فهو من تلك النفوس السخية التي ان اعطت لا تملك بعد العطاء شيئاً غير القدرة على تجديد العطاء . وهكذا لم يبقَ عليه الا ان يسامح الذين أرجفوا بحقه وحقها :

نحن يا ليلَ اسعد الناس فلنغفر لهم كلَّ ما يقولون عنا (٤

وأن يخاطب قلبه ، تلك الشعلة التي سوف يحجبها الضباب ، فيقرّ بان « غلواء » هي التي أوحت اليه آخر كتبه :

لاجل غلواء واجل العذابِ ، كتبت لي في الحب هذا الكتابَ ،
يا شعلةً محجوبةً بالضبابْ ،
يا قلب . . . . (٣

وهذه كانت اكبر كلمة قالها ، لانها تختصر حياته كلها .

لم يكن ابو شبكه لمدرسة معينة من مدارس الشعر ، فقلبه كان مدرسة شعره ، « جرحه وسقى منه قلمه[٢] » . وكل ما ظهر في آثاره ، من عنف

١) الى الابد ٢) نداء القلب ٣) الى الابد ٤) غلواء

احياناً ومن نعومة ورقة احياناً اخرى ، تلقّنه في تلك المدرسة . وكثيراً ما كانت الامثولات قاسية صعبة .

فاذا كان فيه من لامارتين وبودلير — وهذان الشاعران على نقيض — فلأنه اختبر في نفسه القلقة متناقضات عديدة وما كتب الا عن اختبار شخصي صادق . ولذلك فاني اعتقد انه اقرب الى موسّه (Musset) منه الى غيره . ومع انّ الميكروب كان ذاته ، فقد كانت صحته اجمالاً احسن من صحة زميله . ولكن هذا ما منع ان كانت قسمته من الحياة ثلاث سنوات اقل من قسمة صاحب « الدالي » . رحمهما الله .

الشاعر المسيحي

لقد كتب الياس ابو شبكه في مذكراته (١٠ شباط ١٩٣١) هذه العبارة : « صرفت ساعتين من مساء اليوم في التأملات ... وبكيت[1] » .

لماذا بكى الشاعر؟ لا شك في انه بكى حياته تهرق كل يوم في غير السبيل الذي اراد ان يختطه قلبه الكبير ! لقد بكى من حرقة ولهفة لان نفسه المتطلبة غذاء غير غذاء الحب المجوّع كانت تلجّ وتسرف في تعذيبه ! بكى لأن الدمعة نعمة ، ولأن الدمعة راحة ، ولأن الدمعة توبة ، ولكنه لم يكن بعد قد تاب ، فامامه طريق وعر وسنوات عديدة سوف يصرفها بغير التقوى والبرارة . وكانت دمعته في مساء العاشر من شباط سنة ١٩٣١ عجزاً ! عجزاً عن التفلت من الكبول التي تقيّده ، عجزاً عن إشباع روحه من غير ما تلهّى به حتى الان من حطام واصداف فارغة . بكى لانه عزم على قطع العلاقة مع ربه فقد كلفه ذلك ساعتين في التأملات ودمعة .

وبعد ثلاث سنوات ، في اول نيسان ١٩٣٤ ، كتب بين مذكراته هذه العبارة الثانية : « حضرت اليوم ذبيحة القداس بعد ان هجرت الكنيسة ثلاث سنوات . لا اعلم اي دافع يردعني عن القيام بالواجبات المفروضة على المسيحيين[2] ... »

١) الياس ابو شبكه : دراسات وذكريات . ص : ١٩٨

٢) دراسات وذكريات ص : ٢٠٤

اما نحن فنعلم ما كان ذلك الدافع . لقد كان اخلاصه ، ذلك الاخلاص الذي جعله يسير كل حياته عزيز النفس على حرمان ، ملوّث القلب على طهارة ، وفياً حتى الجود بالروح ، حتى الدماء . ويتابع في مذكراته قائلاً : « ففي نفسي عوامل متناقضة ، منها يحاول إبعادي عن المراسيم الدينية ، ومنها يحاول تقريبي منها[1] » .

اما تلك العوامل التي كانت تبعده عن مراسيم دينه فاولها هو ايضاً ذلك الاخلاص وعدم الرياء . كان يعلم ان الحياة التي يعيشها لا تتفق مع متطلبات المسيحية التي تفرض الاستقامة في حياة القلب . وابو شبكه شعر بان قلبه زاغ وكفر ، ولهذا لم يشأ المداهنة وإظهار التدين والورع .

واخلاصه ايضاً لدعوة قلبه السامية كان من العوامل التي كانت تقرّبه من دينه . لقد قيل ان كل شاعر حقيقي يؤمن بالله ولا شك في ان ابا شبكه كان شاعراً حقيقياً . وكان عليه ان يلبي صوت ايمانه بالله . وقد عرفناه سخياً حتى في الخطيئة ، ان تورّط فيها فلكي يصل الى اعماقها ، فيستطيع ان يقول مع اغوسطينوس : « يصعب عليَّ ان اكون في الوسط ، بينَ بينَ » . واذا به من جهة يحاول ان يكون مخلصاً لنداء ضميره ، صوت الله فيه ، ولكنه ، من جهة اخرى ، كان يطيع نداء الفؤاد المنحرف . وهكذا بدأت المأساة في نفسه .

كان ابو شبكه شاعراً مسيحياً لن نحكم عليه بقولنا ، كما قيل عن « فيدر » (Phèdre) بطلة راسين ، انه مسيحي نقصته النعمة لاننا نعلم ان النعمة لا تنقص احداً ، بل هي بالاحرى تتبع بالحاح كل انسان . نقول انه مسيحي لانه لم يرضَ ابداً عن قلبه الجامح الذي قوي على روحه . ومن يقرأ سطوره يشعر بذلك القلق الداخلي المستمر الذي كان يهيب به الى الاقلاع عن كل ما كان يجعله احط منزلة من مسيحيته . وكل شعره عابق بتلك الاجواء الروحية المسيحية ، فهي تارة قاتمة الالوان من جراء الإثم وطوراً مستقرة صافية . وكأن كل تذكار ديني يعود الى مخيلته كان يغرس في نفسه ورودا من الامل الاخضر فيشيع الهدوء فيها وتغمر السكينة والطمأنينة تلك النفس التعبة الموزّعة بين الدعوات العديدة المتّبعة . واذا كان اروع شعره في تلك

[1] دراسات وذكريات ص ٢٠٤

الاوصاف الصاخبة المضطربة لقوى الشر الكامنة في جسمه النـاري ، فان شعره الأكثر تأثيراً ووقعاً في القلوب والاقرب اليها ، هو في تلك الابيات الناعمة الخفيّة الصلوات ، الشجية الاصوات ، حيث تصطف الكلمات كأنها عذارى طاهرات حول القافية الملكة التي تناديها . من يستطيع ان يمحو من ذاكرته تلك الابيات الهادئة التي تمشي العذوبة والصحو بين مقاطعها ، كأنها حقيقة صحو « المغيب » وعذوبة انسداله فوق ضباع لبنان :

اسمعي الاجراس في قبّة ديـر الراهبـــات
يحمل الوادي صداها للنفوس الزاهـــدات
فيه اصوات حنـان وبقـــايا زفرات
صعّدتها راهبات الديـر قـــدام الصليب
اسجدي لله يا نفسي فقد وافى المغيب (١

ولنلاحظ هنا استعمال حروف العلة وخصوصاً الالف التي تعطي الصوت مدى متصلاً وتغمر الابيات بموسيقى عذبة وحنان واشواق مبرحة الى ديار مجهولة الحدود.

واتمثله غارقاً في بحران تأمل عميق ، على صخرة في « الذوق » يسمع جرس كنيسة عينطورا يرن في الوادي حاملاً الراحة على رناته المتقطعة بين الكروم والغابات ، ثم تنحل متلاشية مع آخر انفاس العطور ، مع آخر نفس في شبابة الراعي ، وتموت كانها ذلك الشعاع الاخضر ، بلون الأمل ، تلفظه الشمس عند الغروب لكيلا يحتضر الامل في القلوب . ويرى بعين الخيال راهبات حفر التقشف تجعُّدات في وجوههن جاثيات في معبد مهجور الا من نفثاتهن يحتلن المصلوب اوجاع الارض ويساقطنه نجاوى الحب الملحاح المذيب.

واعتقد ان الاجراس كان لها وقعٌ خاص في نفس ابي شبكه فكثيراً ما تتردد اصداؤها في شعره . ولا عجب أليست الاجراس هي تلك الدعوات الى المجهول حيث يتيه الحنا وحيث تودّ نفس الشاعر المعذبة ان تستقر منفلتة من هموم الوجود واتعابه ؟ أليست هي التي تذكّر الانسان باجمل ساعات النهار : الشروق والغروب ؟ فكأنما دقاتها المضجة امل بالحياة ورنينها في العشية استسلام لضجعة الموت ، مفزع الشاعر التعبان . أليست نفس الشاعر الحساس

١) الألحان .

رنة خافقة تلتقي بذاتها متى سمعت رنة أخرى مادية اجل ولكنها اقل الاشياء مادية ؟ كذلك نفس ابي شبكه كانت تستيقظ وتتصل في تلك الرجعات المرنة المديدة ، بحقيقة سامية ، بالله الهامس في قرارة الضمير :

ورنة صدى الاجراس في كبد الضحى يجيب بارواح العباد فتسرع …١)
اسمعي الاجراس من قبة دير الراهبات…٢)
اسمع في الوادي رنين الجرس يذيب روح الله في المتعبين…١)
وذكرت أخيلة المساء ورنة الاجراس في الهواء…١)
وكانت قبة الجرس المغيبة على عمدي كنيستها القديمة…١)
اسمع اجراسك من بعيد فهي تناديني الى السجود ١)

وهكذا كان صاحب « الى الابد » يصغي الى الصدى الذي يجيب به ولا يسرع فيسي قلق الروح مضطربها . وهناك في داخله وحدة منفرطة الحلقات يهم بان يعقدها فيخفق وينطوي من جديد على الم جديد . وما يستشعر بشيء من الراحة الا حين ينسى ذاته ، ساعة تغمره اسرار الدين ، ذلك المنبسط الرحب حيث ترتاح النفوس الكبيرة .

ما ترك ابو شبكه دينه حتى في ساعة الاهمال والعصيان . ولو اراد ذلك لما استطاع . فانه قد عاش في بيئة مسيحية . الاديار حوله مزروعة على كل ربوة والكنائس ترفع قبابها في كل ساحة قرية ، والثياب السوداء يلتقي بها على كل درب ، وتأثير الاباء اللعازريين يهيمن على افكاره وثقافته ، وما يبرح طيف رئيسه القديم الاب سرلوت يواكبه فيبدو مثالًا يجمع الشعر والدين معاً ، شعرًا قويًا وتدينًا عميقًا .

الى ما هنالك من حفلات دينية حضرها وما زال عبير المباخر يعبق في انفه وانغام الطقوس تتردد في طوايا فؤاده :

الناس في المتكف المقدس يملون لله بخور الأنفس
ولنفوس صوتها المسموع ،
وأذرع المجامر المرتجفة كأنما مسارج منكفة
جفت على قنتها الشموع

١) غلواء . ٢) الألحان .

وصلوات الكاهن القديس يذيب روح الله في النفوس
قال بصوتٍ خافتٍ : « ابانا أنزلْ على شعوبك الغفرانا . » (١

ذلك الغفران الذي كانت تطلبه نفس الشاعر لتشفى من اوجاعها . فكم مرةٍ أسمعنا ذلك النداء المحموم طالباً العفو عن آثامه ، وما تلك «الصلاة الحمراء» التي كتبها وتلك « الدينونة » سوى الدليل عمّا كان يحزّ في نفسه من الندم وما يتخوف منه ، ساعة تظهر السيئات امام العيون . واذا به يصرخ من اعماق نفسه المجروحة :

ربـاه عفوكَ! إني كافرٌ جانٍ . . . (٢

قيل عن تأثير التوراة على شاعرية ابي شبكه . ان ذلك لصحيح . فاذا كان الشاعر ذكر « سدوم » « وشمشون » « وحواء » « وعذاب الضمير » فلانه كان حقيقةً متأثراً بتلك الفصول التي قرأها وخصوصاً لانه كان يجد لها صدى في نفسه التي فجرتْ مرةً كسدوم ، وكشمشون زاغت عن دعوة الله القدسية وكحواء تطفت الثمرة التي نهى عنها الخالق . وبما ان العهد القديم من الكتاب المقدس هو ، نوعاً ما ، تاريخ الانسان المطرود من جنة النعيم ، كان المعبّر عن تاريخ ابي شبكه ، ذلك الشاعر المطرود من جنة الافراح ونعيم السلام ، ولكن الى عهد . لانه بعد ان رجعت الطمأنينة الى نفسه ، أطبق السفر القديم وفتح صفحات الجديد حيث وجد الغفران يتقطر على شفتي الشافي الاكبر ، مبرّر الخاطئة ومهدّم قبور الرياء الكلسية التي يمشي الناس فوقها ولا يعلمون . هو عهد « الى الابد » « وغلواء » حيث تنزل عينان حبيبتان من سماء الحب منّاً وسلوى فوق صحراء الشاعر . لقد ادرك ابو شبكه في هذه الاونة ان الالم هو الذي يقود الى الله وان « الذي يجهل الالم لن يتعرف الى الحب » كما قال نوفاليس (Novalis) ذلك الكاتب الألماني المتشائم . لقد ادرك ان ما من احدٍ يستطيع ان ينعم « بشعاع الله » ما لم يصعد الى قمة الالام :

---

١) غلواء .

٢) افاعي الفردوس .

من ليس يرق ذروة الجلجلة ولم يسر في الهوى أنّه
ويُرفع العلقم والمثل له ،
من يعرف العمر على المخمل ، ولا يذوق البؤس في الاول ،
لن يعرف ، العمر ، شاءَ الاله ... (١

ان آخر شعر ظهر لصاحب « الى الابد » كان هذا :

وشفيت غلواء من اوهامها لكنها لم تشف من آلامها (١

اما اوهامه هو فكانت تلك المراحل المظلمة التي قطعها ، وتلك الضلالات التي انخدع بها حين اعتزم الحب . لقد شُفي اخيرًا منها . وقد بقيت الالام فلم يشفَ منها ، وستقوده وهو في ريعان الشباب واخضرار العمر الى ظلمة الرمس الباردة وهناك استراح قلبه التعبان الراحة الكبرى في غفوةٍ ما استفاق بعدها الّا على غير الصحارى الموحشة ...

عبرة

ان ابا شبكه باختباره الوجيع لحالة تنزلق اليها الارجل العديدة ينيرنا في طريق هفواتنا وضعفنا . واذا كان من امثولة تتخذ من شعره فهي توجيه الى درب الخير والادراك ان ما من شبعٍ الا بالله الذي يستطيع وحده ان يملأ فراغ قلوبنا وليالينا . لا شك في انه ليس بمثالٍ يُقتدى به في الحياة لأن الألم ظفر بحياته وسحبها ، وما كان ذلك الالم سوى نتيجة السقطة التي جرّعته المرارة . ولكن عناصر الخير كثيرة في شعره للذين يفهمون وللذين لا يتوقفون عند الاوصاف التي قد يضطرب لها القلب الفتي ، بل يتعدونها الى ذلك العراك النفساني المتواصل بين ما كان يشدّ به الى التراب وبين ما كان يدعوه الى العلاء . ولا شك في ان امام كل انسان مثالًا للانسان الكامل يسعى الى تحقيقه . وما دام لا يصل اليه فهو قلِقٌ تَعِبٌ ينطوي على ذاتٍ مقروحة مهشمة . كل انسان يسعى الى تحقيق ذاتٍ عظمى كامنةٍ فيه غير ذاته الواقعية الكاذبة ، أكان فيلسوفًا او شاعرًا او سياسيًا او عاملًا . تلك هي قصة القلق الوحيدة التي ترويها لنا العصور منذ علّقها الله بجبال واهية فوق

١) غلواء .

هوة الابدية . القلق يسكن في جوف العامل الذي يقطع الحصى على الطريق في الهاجرة كما يعمر دماغ الفيلسوف الساهر وراء تأملاته . القلق يزحف الينا ويدب في قلوبنا فني كل خليقة عاقلة له مجال وغمرة عراك . ولذلك ليس من راحة لانه ما من خلاص من براثن القلق الضارية طالما رأسنا يتأرجح بعد في الهواء ويحاول ان يقطع الاجواء البعيدة بينا هو عالق برجلين مقيدتين باغلال التراب الثقيل .

اما الشاعر، صدى السكونة وكاهن الانسانية الحامل اتراحها وافراحها، يأسها وآمالها، جحيمها ونعيمها، فيشعر اكثر من غيره بما يحدث في نفس كل انسان . ولذلك فالحزن والحرقة قسمته لانه يختبر بحس ارهف من حواس اخوانه العاديين، يختبر في داخله إخفاق البشرية لدى محاولتها الوصول الى بشريتها المثلى . وان تلك المحاولة مخفقة دائماً . ولم يكن من انسان زعم انه حققها غير نيتشه (Nietzsche) . ولكنه جنَّ لانه اراد ان يحمل طبيعته اكثر مما تستطيع ان تحمل، اراد ان يقفز فوق ظله فهوى في فراغ سحيق .

وما كان ابو شبكه الا احد المحاولين ردم الهوة التي تفصل بين ما كان حقيقة وبين ما كان يريد ان يكون . فاذا به بعد تردد وتيهان يشرف على الربوة المطلة على ارض الميعاد، وكموسى لم تطأها قدماه بل نظر اليها من بعيد . ابو شبكه ككل انسان على الارض لاحت له السعادة فتنعَّم قليلاً بخيالها العابر ولكنه لم يمتلكها . وما اجمل ان نأمل انه بعد غفوته الاخيرة استقر في سمائه الى الابد . ولقد اخبرنا الاستاذ ميخائيل نعيمه انه في ليلة قضاها عند ابي شبكه « شاهد مضيفه يستوي في سريره ويصلي بحرارة المؤمن[1] » . هي تلك البرهات القصيرة في عمر الشاعر التي تشجعنا على هذا الامل . ولقد اطبق عينيه هو على هذا الرجاء المعسول الغير المخذول بعد ان هتف بكلمات تقطعها حشرجة الموت المقبل، تلك الكلمات التي تتصاعد من صدر كل انسان غريب عن وطنه الاول :

« من الاعماق صرخت اليكَ يا رب ! »

---

(١) دراسات وذكريات

النشرة السياسية

ان اتحاد الامم الديمقراطية الذي ولد في ميادين القتال واصبح في ما بعد منظمة الامم المتحدة بات منذ نهاية الحرب بطريق التصفية .

وبينما تجري المباحثات لضم اعداء الامس كاليابان والمانيا الغربية الى صف موقعي الميثاق الاطلنطي، تنزع سياسة الكرملين الى جمع اعظم عدد ممكن من الدول وراء الستار الحديدي .

ولقد امتد التوسع الشيوعي السوفياتي في اوربا الوسطى « السلاف » اولاً ومن ثم في جزء من « المانيا الشرقية » وانتقل بعدها الى آسيا . والمعاهدة الروسية الصينية الشهيرة المعقودة في العام الماضي تضمنت تهديداً سافراً للرأسمالية الدولية في هذا الجزء من العالم وغايتها طرد آخر ممثلي الغرب من آسيا. وليست حرب كوريا الا فصلاً من تحقيق هذه الخطة لتظهر للوهلة الاولى انها ليست الا مقدمة لحرب عالمية ثالثة .

وما كان اشد سرعة ردة الفعل في الولايات المتحدة التي اجتذبت وراءها معظم الدول الاوربية وان اصطدمت بالدبلوماسية البريطانية المرنة التي لم تكن تعتقد ان الساعة قد حانت لاستلال السيف من غمده كما اصطدمت بتحفظ بعض الدول كالهند ودول الجامعة العربية الراغبة في تجنب نتائج الحرب ولو معها كاف الامر .

ولكن حكومة واشنطن احتفظت بموقفها وعززت تعزيزاً حاسماً مواقع جيوشها على مقربة من خط العرض الثامن والثلاثين بعد انتصارات وهزائم كما نعلم وعلى رغم تعقد التدخل الصيني .

ولقد كان عليها ان تقوم بمجهودات كبيرة لان الجيوش الكورية الصينية كثيرة العدد ومدربة تدريباً حسناً وقد اظهرت صبراً باعثاً على الدهشة واستخفافاً بالموت .

وفي معسكر الغربيين عرضت الاسلحة الحديثة الهدامة التي تنتجها المصانع الاميركية بكميات كبيرة عن الاكثرية العددية في الجنود فلذلك لم تستطع

جيوش ماوتسي تونغ توطيد اقدامها في ضواحي ساوول على رغم بطولتها فاضطرت الى التراجع في بعض النقاط .

والجدير بلفت النظر انها ترجع على اعقابها بعد كل هجوم منهوكة الجهود والقوى مما كابدته من خسائر في الرجال والعتاد .

ولقد فقدت لهجة الزعيم الشيوعي الصيني كثيراً من قوتها منذئذ فكانت مقابلته الاخيرة لستالين تتوخى معرفة مدى المساعدة التي يستطيع هذا الاخير تقديمها له في الظروف القائمة لانه لم يعد في مقدوره الاكتفاء ببعض الطائرات والدبابات وان كانت من احدث طراز روسي فهو بامس حاجة الى مساعدة كبرى واذا شئنا القول الى مساعدة مباشرة .

ومن المشكوك فيه ان يندفع ستالين كل الاندفاع في هذه المغامرة . اما موقفه السلبي من الزعيم الصيني فقد يكون له نتائج جسيمة .

ها هو ذا ماوتسي تونغ يسمع منه انه قد ينسحب اذا دعت الحاجة الى وراء الحدود المنشورية وذلك اذا لم يشعر بانه قد سوعد .

وبالاستطاعة القول بان الحرب الكورية هي محك قوة العقيدتين اللتين تتنازعان العالم ؛ فبعد ان كانت هذه الحرب تشكل فوزاً الدبلوماسية السوفياتية قد تحولت الان الى غير مصلحة سادة الكرملين . فهل تؤدي تجربة السلاح هذه الى اصطدام مباشر بين كتلتي الدولتين ام انها تفضي في نهاية الامر الى نتيجة اتقاء القتال ؟ وهل تبعد شبح حرب عامة ام انها ستثير لظاها ؟

وتوقعاً لهذا الاحتمال الاخير شرعت الولايات المتحدة تستعد عسكرياً كل الاستعداد فدعت عدداً كبيراً من الجيوش لخدمة العلم واخذت المصانع الحربية الاميركية بتزييد انتاجها . هذه هي ابرز الحوادث في الاشهر الاخيرة من جهة.

ومن جهة ثانية تبدي الدبلوماسية الاميركية نشاطاً كبيراً في كل مكان: كاجتماع الوزراء المفوضين في تركيا واتصالاتهم المتوالية بالدول الشرقية والزيارات والمؤتمرات التي قام بها وعقدها ممثلو الحكومات الثلاث في باريس

ولندن وواشنطن واسفرت عن تعاون اوثق بينها . وتمت ضعف محسوس وما يشبه تبعثر العمل الشيوعي في الغرب ولا سيما في ايطاليا وفرنسا .

ومما لا شك فيه ان الاختلافات وتضارب الاراء والمنازعات القائمة في تشيكوسلوفاكيا سببها هذا النشاط الذي ابداه الاتحاد الغربي والانتصارات التي احرزتها قوات الامم المتحدة في كوريا وبخاصة اعلان الدول الغربية ضمانتها ليوغسلافيا ضد كل اعتداء . وليست قضية كليمنتي الا دليلاً على مدى الاضطرابات وعمقها التي ستنجم لاقل فرصة في اوربا الوسطى .

وهذا الشكل الجديد والوجه الجديد لقضية الشرق الذي لم ينقطع عن ان يكون مرجل البارود الحقيقي قد تخفيان مفاجآت عديدة للايام المقبلة .

وفي الوقت الذي تجتمع فيه على هذه الصورة الدول في الكتلتين تحسباً للطوارئ المقبلة ما برحت دول الجامعة العربية حائرة مترددة في اختيار الجهة التي تنحاز اليها . فهل تنحاز الى معسكر الغربيين ام انها تريد تجنب معاداة الروس في حالة نشوب النزاع ؟ ان هدفها الحياد الباسم الذي يخولها من جهة ان تبقى في مأمن لدى هبوب العاصفة ومن ناحية ثانية اجتناء الفوائد الى اقصى حد، تلك الفوائد التي ستقدمها لها احدى الكتلتين . فهل ينتهي بها الامر الى تقرير موقفها ؟

هذا مما يبدو قليل الاحتمال في الوقت الحاضر فمصر تريد اكثر من العراق ان تنهي اولاً جميع القضايا المعلقة بينها وبين انكلترا وهي القضايا التي كانت موضوع محادثات عدة بين هذه الدول ولم تفض الى نتيجة ذات قيمة .

والحقيقة ان الولايات المتحدة تريد ان تتوسط بين الجانبين في تسوية حبية والدليل على ذلك الرحلة التي قام بها السيد ماغي .

ويظهر ان انكلترا مستعدة ان تسلم امر حراسة قناة السويس الى قوات مختلطة انكليزية ومصرية ، ومع ذلك ، وعلى فرض ان هذه القضية قد وجدت حلاً لها فثمت قضايا اخرى تتطلب حلاً قبل الشروع صراحة ببحث ادخال الشرق الاوسط في كتلة الاطلس الغربي .

الفرد نقاش

الاخبار العالمية

اخبار العالم الكاثوليكي

روما : في اليوم الثالث من حزيران المقبل يتصدر قداسة الحبر الاعظم بيوس الثاني عشر حفلة اعلان سلفه البابا بيوس العاشر طوباوياً وهو منذ اعلان قداسة بيوس الخامس سنة ١٧١٢ اول بابا يحتفل بتطويبه .

* في اليوم السادس من نيسان تقدم فجأة الى الفاتيكان لزيارة الحبر الاعظم اول دعاة كنيسة بولونيا يصحبه اثنان من الاساقفة .

* في الثالث عشر من الشهر عينه قامت بزيارة رسمية للحبر الاعظم اليزابيث ولية عهد انكلترا بصحبة فيليب دوق ادنبورغ زوجها فاستقبلها قداسته في مكتبه الخاص ودامت الزيارة نصف ساعة ثم اهداها صورة منقوشة من المصوغات ، وللامير اهدى ايقونة سنة حبريته الاولى .

فرنسا : للمرة الاولى منذ سنة ١٩٠٦ اجتمع في باريس في الثالث والرابع من نيسان كرادلة واساقفة فرنسا للمداولة في الشؤون الدينية وكان موضوع مداولتهم الاخص التعليم الحر في بلادهم ومن ثمَّ واجبات الحكومة ازاء حقوق العائلات والكنيسة في تعاليم اولادهم .

تركيا : عند مناقشة المجلس التركي بخصوص ميزانية وزارة الخارجية اخذت السيدة نازلي طلابة نائبة استانبول تطالب الحكومة باقامة العلاقات السياسية مع دولة الفاتيكان ليست هذه المرة الاولى يهتم فيها الرأي العام في تركيا لذلك . وكثيراً ما منذ عهد اتاتورك عبرت الجرائد عن الرغبة في اقامة هذه العلاقات . ولا عجب فان موقف الكرسي الرسولي ازاء الشيوعية وسلطته السامية في الدفاع عن حقوق الانسان تؤيد تأييداً تاماً اصابة رأي المطالبين بإنشاء هذه العلاقات .

الصين : ازدادت مضايق الكنيسة في الصين الشيوعية في هذه الاشهر الاخيرة فقد اخضعت السلطة الشيوعية اعمال الرسالة لرقابة عنيفة واحتلت كثيراً من المباني الدينية ووضعت يدها على مدارس عديدة ابتدائية وثانوية ومهنية وابعدت عن البلاد الصينية كثيراً من المرسلين والكهنة والراهبات وطنيين واجانب او اضطرتهم بسوء معاملتها على تركها .

اخبار عالمية

كوريا : في ١٦ اذار اذاع الجنرال ماك ارثر بالراديو دعوة ملحة وجهها الى السلطة الصينية العسكرية المحاربة في كوريا للاجتماع به والمفاوضة لكن دعوته بما تضمنته من تحذير ووعيد كانت اشبه بالانذار بحرب شاملة عنيفة . بعد ذلك عاد الجنرال الى توكيو ومنها ارسل الى قائد الجيش الثامن اوامره باجتياز الخط الثاني والثلاثين اذا قتضى ذلك سلامة المحاربين او حسن تدبير القتال .

وفي ١٦ اذار اذيع بالراديو جواب الصين برفض الدعوة واعلان مثابرتها على القتال طالما لم تُرد اليها جزيرة فورموزا ولم تُقبل هي في جمعية الامم المتحدة

ثم في ١ نيسان اجتاز الجيش الاميركي الخط الثاني والثلاثين

* ان موقف الصين في كوريا ونواياها والتناقض الظاهر في حركاتها الحربية كراً وفراً لا تزال امراً غامضاً لمن يتفحصها . ليس من يشك بان ما تسميه هي محاربين متطوعين ليسوا بالحقيقة الا من جيوشها النظامية . فما أربها اذن في دخولها الى كوريا هل انها تريد حماية حدودها ام المحافظة على ما لها من مصالح في منشوريا وكوريا او انها ليست الا آلة بيد الحكومة السوفياتية تديرها كما تتطلبه مصالحها ولو نتج من ذلك حرب عالمية .

* هوذا رأي صحفي هندي في الصين الشيوعية ارسله الى جريدة « بريس تروست اوف انديا » وهو السيد سينارام : « ان حكومة ماوتسي تونغ تعتبر نفسها بيد الكرملين آلة لا غير والشيوعية الصينية ليست بالحقيقة الا صورة الشيوعية السوفياتية تماماً مع كل ما ينتج منها من نتائج وخيمة اعني انفكاك اوصال العائلة والهيئة الاجتماعية وملاشاة الاعمال والمشاريع الخاصة . كذلك تعتبر الصين الجديدة نفسها شريكة روسيا السوفياتية في الجهاد للاستيلاء على العالم فتكون رسالة جيوش « الانقاذ » الصينية – وعددها يربو على الخمسة ملايين من الجنود – اجتذاب العالم الاسيوي الى الشيوعية كما ان تدبير مصير اميركا واوروبا هي مهمة روسيا السوفياتية .

ماك ارثور : مساء التاسع عشر من نيسان اذاع رئيس اركان الحرب الاميركي نبأ تجريد الجنرال ماك ارثور من قيادته في الشرق الاقصى واعلن بان الرئيس ترومان اقرّ ذلك بناء على توصية مستشاريه المدنيين والعسكريين ورؤساء اركان الحرب المشترك وقد عيّن الجنرال ريدوي قائد الجيش الثامن خلفاً له في القيادة

* ما سبب هذه الاقالة : قيل ان سببها نقص روح الانقياد في الجنرال للسلطة المدنية . وانه بدعوته الخائبة الى الصين قد جاوز حدود سلطته . ولا يخفى على المطلع ما احتوته هذه الدعوة من تهديد لا ينطبق مع السياسة السلمية التي اتخذتها الامم المتحدة

* عاد الجنرال الى اميركا من فوره بعد غياب اربع عشرة سنة وقد قضى في السلك العسكري اثنين وخمسين سنة فاستقبلته اولا واشنطن ثم نويورك استقبال الملك الظافر وقد ُعدّت الجماهير المتراصّة للاحتفاء بقدومه بالملايين . واراد مجلس الشيوخ ألسماع اليه وقابل خطبته بحماسة شديدة والتصفيق الحاد

ايران : صباح الاربعاء ٤ اذار ُقتل في طهران في جامع السلطانية على يد عضو من شيعة « الفدائية » اداريّ عظيم الجنرال رازمار . هذا الاعتداء على شخصيات بارزة في ايران ومنها الشاه نفسه هو الاعتداء الخامس من نوعه .

* لم يكن رازمار اداريًا حاذقًا حازمًا فحسب بل كان ايضًا جنديًا باسلًا مظفرًا فاليه يرجع الفخر بانقاذ اذربيجان يوم اشتدت فيه الاضطرابات مطالبة بالانفصال

* في هذا الحادث المؤسف ترى الصحافة نتيجة من نتائج المنافسة العنيفة القائمة بين الغرب وروسيا السوفيائية في احتكار الزيوت المعدنية فقد ُقتل رازمار ثلاثة ايام فقط بعد اعلانه في الراديو عن عزمه برفض تأميم المشاريع الزيتية ثم غداة يوم وفاته أقرّ المجلس هذا التأميم رغم تمنع انكلترا وسخطها ورغم الاعتصابات والمظاهرات التي رافقته .

اليابان : يقوم السيد دولس مرسل ترومان الخصوصي مع حكومة توكيو بمفاوضات تنظر اليها الصين الشيوعية بتحذر وامتعاض فقد ينتج منها ما لا تهواه اعيانها بعد مرور سنة واحدة قد ترى قائمًا في وجهها لهيروهيتو جيش منظم قوي علاوة على جيش شاي كاي شيك في فورموزا وعدد مقاتليه يبلغ نصف مليون . لذلك كتبت الجريدة البولشفية برافدا مهددة : هذا لن تسمح به روسيا ابدًا . ما كان بالحقيقة دخول الشيوعية الى كوريا الا لمنع هذا الحادث المخطر فان كوريا هي لها خير موثب للانقضاض على اليابان .

كشمير : من زمن الى اخر تأتي اخبار قلاقل واضطرابات في كشمير وهي لا تزال الهند تحتلها احتلالا عسكريًا

* ليست مشكلة كشمير مشكلة اليوم فقد نشأت سنة ١٩٤٧ فانه في نيسان من تلك السنة عند انسحاب الانكليز حدث في الهند كلها وفي كشمير خصوصًا حوادث دامية وقد تمكن عندئذ رجل مسلم الشيخ محمد عبدالله رغمًا عن الشغب والاضطرابات

السائدة ان ينظم حكومة وقتية لكنه اذ كان من القائلين بوحدة الهند والعاملين المجاهدين لها ارسل الى الحكومة الهندية يطلب مساعدتها فبعثت اليه من جيوشها ومذ ذاك بدأ بين الهند والباكستان نزاع لم يتوقف الا في اول كانون الثاني ١٩٤٩ لكن الاتفاق النهائي لم يتم بعد .

سوريا : في ٨ اذار سُمع على الحدود السورية الاسرائيلية في منطقة الحولة تبادل اطلاق الرصاص بين حرس الحدود فان الاسرائيليين كانوا قد شرعوا باشغال تجفيف ضفتي بحيرة الحولة الشرقية والغربية في ارض لم يُجزم بعد تخصيصها .

وفي ٤ نيسان حاولت فرقة اسرائيلية دخول قرية الحمة في منطقة الحرام هذه ورفضت الارتداد بل اجابت باطلاق الرصاص على الشرطة الدولية والحرس السوري لكنها اضطرت اخيرًا الى التقهقر تاركة وراءها سبعة قتلى وجريحًا واسيرًا .

وفي ٥ منه تعاقبت خمس طيارات اسرائيلية مدة ساعة فوق قرية الحمة وضربتها بقنابلها لكن دون الحاق ضرر في الاهالي .

وفي ٧ منه نسف الاسرائيليون بالديناميت ثلاث قرى سورية .

* من هذه الحوادث الاستفزازية يستنتج المسؤولون في اسرائيل ضرورة الاسراع الى عقد معاهدة السلم وتعيين الحدود نهائيًا : تكفي للبيب اشارة

المندوبون الاربعة : في ١ اذار اعلنت روسيا السوفياتية رضاها بالاجتماع التمهيدي الذي عرضته عليها دول الغرب الثلاثة اعني اميركا وانكلترا وفرنسا وفي ٥ اذار عقد الوزراء الاربعة في باريس اجتماعهم الاول ثم تعاقبت الاجتماعات عديدة وطويلة لكن دون جدوى فقد ابدى كل من الطرفين تمسكًا بموقفه لا يتزعزع وقيل بان الوفد السوفياتي قد اجهد نفسه عبثًا للتوصل الى فصم وحدة الجبهة الغربية .

الولايات المتحدة : في ٢٢ اذار اذاع الجنرال مارشال بالراديو بان عدد المجندين في الولايات المتحدة قد بلغ مليونين وتسعمئة الف وهذا العدد هو ضعف ما كان عليه منذ تسعة اشهر اي منذ بدء هجوم كوريا .

ايطاليا : لا تزال انسحابات جمة من الحزب الشيوعي تتتابع في ايطاليا خصوصًا في صفوف الطبقة العاملة ولكن الحزب مسيطر بعد على تلك البلديات الايطالية ومن الام فيها .

لبنان : جرت في لبنان بتاريخ ١٥ نيسان وتمت في ٢٢ منه انتخابات المجلس النيابي الجديد في نظام وهدوء لم يكن في الحسبان رغمًا من الحوادث المؤلمة التي سبقتها بايام وقد اجمع الرأي العام على انها كانت حرة فاثنى على همة وزارة الانتخابات وصدقها واظهر اعجابه

برئيسها حسين العويني . لا تخفى اهمية هذا الحادث السعيد للبنان فسوف يكون هذا المجلس ممثلا صحيحاً له ومشترعاً مستقلا لا ينقاد الا حرّاً طليقاً وراء ابة وزارة جاءت اذ انما هي تكون المنبثقة منه لا هو منها .

* من النواب القدماء لم يعد الى المجلس الا ثلاثون فيكون عدد الجدد فيه سبعة واربعون .

الشرق الادنى ودول الغرب

كان الشرق الادنى في الجيل التاسع عشر ولم يزل الى اليوم موضع قلق الدول الاوروبية واطماعها ومنازعاتها وسبب ذلك كان قديماً وجود « الرجل المريض » السلطنة العثمانية المحتضرة واخص اسبابه اليوم اثنان اولها ما لموقع الشرق الادنى الجغرافي من اهمية حربية والثاني غناه بالزيوت المعدنية .

بالشرق الادنى نعني بلاد تركيا وايران واسرائيل والدول السبعة التي منها ألف ميثاق القاهرة سنة ١٩٤٥ الجامعة العربية اي مصر وسوريا ولبنان والاردن والعراق والسعودية واليمن .

لا تخفى اهمية موقع الشرق الادنى الجغرافي فهو الممرّ الطبيعي من الغرب الى الشرق الاوسط ومرصد خطير على شرقيّ البحر المتوسط ومجاز قناة السويس طريق الهند والشرق الاقصى وهو علاوة على ذلك بمرافئه مصبّ مقادير جسيمة من الزيوت التي لا يمكن للغرب الاستغناء عنها في حالة حرب .

هذا ما يحمل الغرب على بذل جهوده ليكوّن من دول الشرق الادنى وحدة متماسكة الاجزاء قوية يمكنها الصمود بوجه العدو اذا اقتضى الامر ذلك يريدها حاجزاً حصيناً منيعاً يقوم بوجه اي فاتح يحاول مفاجأتها ومهاجمتها للاستيلاء عليها . لكنه في جهوده هذه يلاقي صعوبات ومقاومات جمّة اعظمها الخلاف المستحكم بين الجامعة العربية واسرائيل إثر حرب لم تنطفئ بعد نيرانها ولو ظهرت ساكنة خامدة وهو خلاف يصعب على الغرب حلّه خصوصاً والجامعة العربية تعتبر الغرب المسؤول الاول عما حدث في فلسطين من تجزئة وما حلّ بسكانه الابرياء من تشتيت ومحن وبلايا بعد ان اضطروا مكرهين الى مغادرة بلاد هي بلادهم تركوا فيها بيوتهم واملاكهم وهم يعيشون اليوم مهاجرين في بلاد لا مأوى لهم فيها ولا مال . هذا فضلاً عما آلت اليه الجامعة العربية نفسها من ضعف لارتخاء الروابط التي تربط دولها بعضها ببعض من سبب منافسات واطماع داخلية لا تخفى على متبصّر لبيب .

اما غنى الشرق الادنى بالزيوت المعدنية فعظيم وهذا ايضاً مما يحمل كبير الاهمية عند وقوع

حرب عالمية جديدة فان حركات القوى المحاربة البرية والجوية والبحرية هي في حاجة كلية الى مقادير جسيمة من هذه الزيوت فاذا لم تتوافر لاحد المعسكرين المحاربين فالهزيمة والانكسار .

ان الشرق الادنى هو الثالث في العالم بزيوته المعدنية . قد بلغ انتاج العالم من هذه الزيوت سنة ١٩٥٠ خمسمائة وثلاثة وعشرين مليون طن انتجت منه الولايات المتحدة أكثر من نصفه وانتجت فينيزويلا – وهي الثانية في الانتاج – ثمانين مليون طن والبلاد السوفياتية سبعة وثلاثين مليونًا وخمسمائة الف طن والمملكة السعودية سبعة وعشرين مليون طن وايران أكثر من ثلاثين مليون طن والكويت عشرين مليون طن اما انتاج العراق فقد أضرَّ به الحرب لكن المأمول لسنة ١٩٥٢ انه سوف يبلغ خمسة وعشرين طنًا .

وتدل الاختبارات الاخيرة على ان ثمانية وخمسين بالمئة مما تذخره بعد اعماق الارض من الزيوت هو في الشرق الادنى والأغنى فيه هي الاراضي الايرانية .

لهذه الاسباب واسباب اخرى يزداد من يوم الى يوم اهتمام دول الغرب الاوروبي بمشكلة الشرق الادنى وبعض دلائل ذلك الاهتمام تمسك بريطانيا العظمى بابقاء حاميتها على ضفاف قناة السويس ثم المؤتمرات العديدة حيث يجتمع هنا تارة وهناك اخرى خبراء سياسيون وعسكريون لمداولات ومناقشات مهمة وكذلك العناية الخصوصية التي يبديها الاميركان والانكليز والفرنسيون بخطوطهم الجوية ومطارات الشرق الادنى .

مطبوعات شرقية

بقلم ميشال شبلي

١ ــ « تاريخ ابرشية قبرص المارونية »

تاليف المحامي ابراهيم عواد

بيروت ١٩٥٠ – مطبعة فاضل وجميّل

لا ريبة بان لتاريخ المقاطعات وتاريخ الاسر في البلاد اهمية كبرى في تأليف تاريخ البلاد وهذا ينطبق خصوصاً على البلاد اللبنانية . وقد اتحفنا الاستاذ ابراهيم عواد ببحثه هـذا وهو يقع في زهاء التسعين صفحة نشرته الجمعية الخيرية لابرشية قبرص المارونية الم فيه بلمحة تاريخية موجزة عن تلك الابرشية ثم ذكر سلسلة الاساقفة الذين تعاقبوا عليها واتبع ذلك بترجمة بعض المشاهير منها في القرنين الاخيرين . وقد كنا نود من المؤلف الذي له في عالم الطباعة اثار معروفة ان يكون قد تبسط في بحثه هذا بالحادث الهام في تاريخ تلك الابرشية وهو اعتناق العائلة الكبيرة فيها آل ابللمع الديانة المسيحية على المذهب الماروني لما لهذا الحادث من اثر في تاريخ الابرشية وتاريخ لبنان .

٢ ــ « الاخت رفقا الريس الراهبة اللبنانية »

بقلم الاب انطونيوس شبلي اللبناني

جونيه ١٩٤٨ – مطبعة المرسلين اللبنانيين

ان لحضرة الكاتب ابحاث شيقة بانشاء سهل لبق ومن ذلك هذا الدرس عن حياة الراهبة رفقا في ٥٨ صفحة فاطلعنا على حياة هذه الراهبة الفاضلة التي ولدت في قرية حملايا قرب بكفيا في سنة ١٨٣٣ وفي سن العشرين رفضت طلبات الزواج وتركت العالم ودخلت رهبنة المريمات بادارة الاباء اليسوعيين ثم بعد انحلالها دخلت الرهبانية اللبنانية وقد انتقلت الى رحمة الله في سنة ١٩١٤ عن واحد وثمانين عاماً . وقد افتقدها الله بالمصائب الفادحة من فقدان

البحر ومن الكساح فاحتملت ذلك بصبر عجيب لا يمكن تفسيره سوى بإيمانها المسيحي . وقد توفيت برائحة القداسة وحصلت بعد وفاتها عدة خوارق ذكرها المؤلف في درسه هذا الذي نشكره عليه .

٣ — « اليزيدون في حاضرهم وماضيهم »

السيد عبد الرزاق الحسني

صيدا ١٩٥١ — مطبعة العرفان

لقد تعددت الكتب والابحاث عن الطائفة اليزيدية في جميع اللغات وقد تكون مجلة المشرق قد سبقت سواها بنشر الدرس القيم عن هذه الطائفة في سنتها الثانية منذ ١٨٩٩ بقلم الكاتب الفاضل الاب انستاس الكرملي . اما مؤلف هذا الكتاب السيد الحسني الذي له آثار عديدة نافعة في تاريخ بلاده العراقية فقد الم الماماً كافياً بموضوعه هذا واستقى المعلومات الصحيحة اما بذاته واما عن المؤلفين الثقاة الذين ذكرهم وقد نشر في كتابه ،وهو يقع في ١٠٨ صفحة ، عدة صور عن اليزيدين فجاء تاليفه كبير الافادة لمن يريد ان يطلع على تاريخ تلك الطائفة الصغيرة ذات المعتقدات الغريبة التي يتراوح فقط عدد افرادها ، حسب قول المؤلف ، بين العشرين والثلاثين الف نسمة

٤ — « المشايخ آل الشمر

بقلم الاب اغناطيوس طنوس الخوري

لقد اشرنا اعلاه الى اهمية تاريخ الاسر والمقاطعات في تكوين التاريخ اللبناني وقد اتحفنا مؤلف هذا الكتاب (١٣٢ صفحة) بنبذة تاريخية عن اسرة آل الشمر المارونية فاستحق الثناء . اما الافادة في مؤلفه فهي بنشره تلك الوثيقة الخطية عن تاريخ تلك العائلة وتعليقه عليها . وتلك الوثيقة تستدعي الانتباه بما جاء فيها عن اصل تلك العائلة من العاقوره ونزوحها الى الزاوية حيث بلغت مجداً وجاهاً يذكر وقد كانت تلك الاسرة تنتسب في السياسة الى الحزب اليمني ولذلك خطب الحكام ودها في خلال القرن السابع عشر اي بعد نكبة فخر الدين المعني ثم تبدلت الايام وعاد الحزب القيسي

الى مجده ومع ذلك ظلت تلك الاسرة في زعامتها بدليل ما ورد في الوثيقة المنشورة من نزول الامير يوسف الشهابي حاكم جبيل عليها وطلب مؤازرتها ومن نفوذ احد افرادها الشيخ يوسف الذي « كان يلبس فروًا اخضر ويمشي في اسواق طرابلس »

ولكن هذا الجاه كان سبب قتل الشيخ المذكور

ومما ورد في تلك الوثيقة اخبار المنافسة بين هذه العائلة وبين عائلة الضاهر . وكل ذلك يشكل مصدرًا تاريخيًا هامًا لمن يريد التعمق في حوادث تلك الايام . فنشكر المؤلف على ما نشر .

٥ ـ « سميراميس على المسرح . مأساة ادبية اخلاقية »

بقلم الاب يوحنا خليفه

جونيه ١٩٦٧ — مطبعة المرسلين اللبنانيين

قال المؤلف ان على المسرحية « ان تلذّ وتفقه » فاقتبس عن الافرنسية حوادث المسرحية التي وصفها . اجل ان المسرحية هي من اهم ابواب الادب والفن وينقصنا جدًا في لبنان ان نعير هذه الجهة العناية الكافية . ولكن من الاوفق والاجدى ان نقتبس ذلك عن تاريخنا اللبناني وفيه الصفحات المجيدة التي يمكن ان تعير مواضيعها الوطنية للمسرحيات بل ان نقتبس من القواعد الدينية غاية المسرحيات التي نتطلبها .

فندعو لحضرة المؤلف مواصلة جهوده حتى بلوغ التوفيق الكامل

٦ ـ « وجهاً لوجه مع روسيا السوفياتية »

تأليف فلوديمير بنتشفوفسكي

معربة عن الانكليزية — بيروت ١٩٦٨

لقد تعددت الكتب في جميع لغات العالم عن روسيا السوفياتية وعن نظامها الشيوعي . ومن عداد ذلك هذا الكتاب وهو يقع في ٢٣٠ صفحة يبحث فيها المؤلف روح الحركة الشيوعية والسياسة الروسية واغراضها المدنية والدينية الخ . فاظهر مراميها وغاياتها الدفينة التي اصبحت اليوم معلومة

اجل ان الموالين للشيوعية ينسبون كل ما لا يوافقهم في هذه المؤلفات الى الدعاية السياسية والتحامل ولكن فاتهم امر بسيط وهو ان روسيا تكاد توافق ضمناً على ما يكتب ضدها وذلك باسدال الستار الحديدي على بلادها وعلى كل بلاد خاضعة لها فلا تسمح للكتاب والباحثين من اجتياز تلك الحدود والاطلاع على ما تكن الحسنات التي يزعمون . في حين اننا ندين بالآية القائلة « لا يوقد سراج فيوضع تحت مكيال » ميشال شبلي

*

تاريخ دير سيدة النجاة اي دير الشرفة

تأليف الخوري اسحق ارملة – مطبعة المرسلين اللبنانيين – جونيه ١٩٤٦ ، ص ٦٣٦

لا يزال حضرة الخورفسقفوس اسحق ارملة الهمام يطرفنا بمؤلفات قيمة تنطوي غالباً على اخبار الكنيسة السريانية ومعاهدها ومؤسساتها ومشاريعها . وهذا كتاب جديد يستحق الاعتبار ضمّنه اخبار دير سيدة النجاة المشهور بدير الشرفة منذ تأسيسه عام ١٧٨٦ على يد الطيّب الآثار مار اغناطيوس ميخائيل الثالث جروة بطريرك السريان الانطاكي (١٧٨٢ – ١٨٠٠) . طالعنا هذا الكتاب الجميل الثمين بلذّة فائقة فوجدناه مطابقاً لما عرفناه في مؤلفه من الهمة وسعة المعرفة والخبرة . ولا سيما لانه اعتمد فيه على محفوظات الدير وصكوكه وآثاره الكتابية فاجاد في ما نقله عن رؤسائه وتلامذته وشمامسته . ودبّجه برسوم احبار رومية العظام الذين ساعدوا المؤسس وخلفاءه المغبوطين في تعزيز الدير . واضاف اليها رسوم البطاركة والاساقفة وجميع الذين تثقفوا في هذه الاكليريكية وخدموا الابرشيات السريانية في مختلف البلاد والقرى . ونوّه بذكر اقطاب الدولة الاسبانية الذين ساعدوا المؤسس مساعدة سخية . ولم يغض كذلك عن ذكر امراء لبنان الشهابيين واللمعيين وموآزريهم ولا سيما الشيخ غندور سعد الخوري قنصل فرنسا الطيّب الذكر وسائر الذين جادوا على الشرفة بعوارفهم وخدمهم . فجاء كتاباً مستوفى بذكر الخلف بصنائع السلف الصالح . واستحق المؤلف ثناء جزيلاً على ما اداه لاكليريكية تثقف فيها . فنحث ابناء الطائفة السريانية الكرام ان يقتنوا هذا الكتاب النفيس فيطّلعوا على خلاصة اخبار آبائهم الاجلاء وكهنتهم الفضلاء .

الشمس الحزينة : حياة غاندي

بقلم محمد كاظم

دار الاهرام يوليو ١٩٤٨ — صفحة ١٥٠

يكتب المؤلف حياة رجل الهند العظيم خصوصاً من جهتها الاجتماعية ، فيتكلم عن والديه وتربيته ؛ والده كان رئيس وزارة بورباندار ، ذو اباء وشمم وكرم نفس ، وامه تقية محبة للسلام ، تستعمل الصيام عندما يحدث خصام او انشقاق بين اعضاء العائلة . تربى غاندي على حب الخير والتقوى وتزوج بعمر ١٣ سنة . لكنه تابع علومه وسافر الى لندن لدرس الحقوق . عاد الى الهند لمزاولة المحاماة وكانت له اولى الدروس في حقيقة الاستعمار لشعبه ، وذهب الى جنوبي افريقيا لمتابعة احدى الدعاوى وهناك شاهد ما يحل ببني قومه من الذل والاستعباد ، فبدأ يبشر بمذهبه : قوة الحق ، ويقاوم المظالم بطريقته السلمية حتى حرر العمال من الاستثمار الشائن ، وعاد الى بلاده يعمل بالكلام والاعمال لرفع نير المستعمر الظالم ، فدخل السجون وتحمل الاهانات ، حتى تحققت احلامه وخضعت قوى الاستغلال والظلم لقوة الحق ، واقر للهند باستقلالها .

في هذا الكتاب نلاحظ ان المؤلف اختار من حياة غاندي ما يوافق فكرة الجهاد لانتصار الحق . وهو في وصف جهوده مؤثر جذاب ، يرافق بطل الكتاب في الامه وانتصاراته . ولكن اعطى تفاصيل وافية عن جهود في قسمها الاول ، اي في لندن وجنوبي افريقيا ، وكان دون الوافي في القسم الثاني والاهم ، اي في الهند نفسها .

الطريقة في الانشاء سلسة ، سهلة ، والكتاب حسن التبويب يسهل المطالعة . يحسن بالشبان اقتناؤه ومطالعته بامعان .

ي . ص .

❖

تاريخ بشعله وصليما

تأليف الخوري اسطفان البشعلاني

كتاب تاريخي ديني اجتماعي ، يتضمن تاريخ هاتين البلدتين واسرهما والاسر التي خرجت منها واخبار المغتربين منها الخ . ٦٠٠ صفحة ق٨ صغير فضلاً عن الرسوم ، بيروت ١٩٤٨ مطبعة فاضل وجبيّل ، الدوره — ثمنه ١٠ ل . ل .

لم يقدم المؤلف على وضعه هذا الكتاب الا بعد ان استعد له السنين الطوال تنقيباً وجمعاً وتحريراً ظهرت منتوجاتها بالطباعة . وهذا الكتاب على ضخمه غير ممل ، لذيذ المطالعة ، يرى به القارئ نفسه كفي حلقة من الخلان والاهلين يتوسطها الخوري اسطفان مغتبطاً بالكلام عن مسقط رأسه وبلاده فيطرب السامعين ببحث اصول التاريخ وذكر رجالات كان لهم دورهم الخطير في حياتنا الدينية والاجتماعية والسياسية وغيرهم من افراد لا يتم لهم الا ذووهم اذا شاؤوا احصاء ابنائهم بالتمام .

ما هي الحقيقة من تاريخ الاسر اللبنانية ؟ قال المؤلف ص ٢١ ، ٢٢ : « ترى الباحث المنصف اذا بلغ القرن السادس عشر او الخامس عشر ، فقد المراجع الراهنة والمصادر الاكيدة في تحقيق النسب وانقطعت حلقات السلسلة التي تربط الاسرة باجدادها الماضين الذين لا يعرف من تاريخهم القديم سوى التقاليد » فضلا عن ان تنقلات الاسر المتعددة والاخذ بالكنية دون اسم العلم العائلي يحول دون اتباع الانساب اباً عن جد ما لم يكن هناك زعيم كبير كان له دوره في مشيخة او امارة وهؤلاء قليلون . ومع ذلك فقد وفق المؤلف بفضل التقليد والبحث الى وضع شجرات عائلية مفيدة جداً لمعرفة الاسر المسيحية ومهد السبيل اليها بفهرس هجائي واسع ؛ اما كون البعض منها من الغساسنة ففي القول النظر لان الغساسنة كانوا من المونوفيسية ولا ادري هل بقي للمونوفيسية اثر في بلاد بشعله وصليما وقد يكون قد بقي لو تاكد امر تحدرهم من بني غسان .

وهذا الكتاب حافل بالتعليات القيمة المفيدة عن تاريخ البلاد الى ما وراء حدود مقاطعات بشعله وصليما لاتصال اهاليها بحكام سورية ولبنان وبغيرهم من رواد ومرسلين وهؤلاء مدارسهم المشهورة التي نبغ فيها جيل كان في طليعة النهضة الادبية العصرية . وان يضيق بنا المقام في الكلام عن الذين اشتهروا في هذه الانحاء . فلا اقل من ان ننحني لذكر المقدم ابي رزق البشعلاني واطوار حياته الغريبة وعذابه واستشهاده عسى ان تؤدي العناية الالهية الوسائط لنراه مرفوعاً على المذابح في كنائسنا وقدوة لنا اجمعين في بذل النفس والنفيس في سبيل ايماننا .

ف . ت .

H. Fleisch S. J. — *Etudes de phonétique arabe*, in Mélanges de l'Université Saint-Joseph. T. XXVIII (1949-1950.) fasc. VI. Imprimerie Catholique. Beyrouth. 228-285.

دراسات في الصوتيات العربية

للاب هنري فليش

منشورات جامعة القديس يوسف . المجلد الثامن والعشرون . الجزء السادس
المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٤٩ – ١٩٥٠

يوالي الاب هنري فليش ، في معهد الاداب الشرقية – بيروت – القاء المحاضرات القيمة في فقه اللغة العربية خصوصاً ، وفي الفقه المقارن للغات عموماً. وهو يقوم من حين الى آخر ، تعميماً للفائدة ، بنشر نتائج ابحاثه ودراساته ، ومن هذا النوع ، الكتيب الذي نحن بصدده الان .

يحتوي هذا الكتيب على دراستين : الاولى في الحروف العربية الصامتة ووصفها ، والثانية في المظاهر الصوتية البارزة للغة العربية .

فمن الدراسة الاولى يتفرع فرعان :

١ – وصف الحروف الصامتة ، وفقاً لتعريفات نحاة العرب القدماء. سيبويه (+ ١٧٧ هـ) – الزمخشري (+ ٥٣٨ هـ) – ابن يعيش (+ ٦٤٣ هـ) ومن خلال ابن جني (+ ٣٩٢ هـ) – وفي هذا الفرع جدولان وصفيان ، رتبت فيها الحروف عموماً ، وبحسب المخارج (حلقية ، لهوية ، شجرية ، ذولقية ، اسلية ، نطعية ، لثوية ، شفوية) ثم يلي ذلك تقسيم للحروف بحسب الصنف (مجهورة ، مهموسة) وتحديد لها بحسب النوع (رخوة ، شديدة ، بينية) ويعقب هذا التحديد تحفظ بصدد المرتبة الاخيرة .

٢ – بيان بالعربية للحروف الصامتة في علم الصوتيات الحديث ، ينتقل المؤلف بعد هذا العرض لعلم الصوتيات العربية عند سيبويه وتابعيه الى تمحيص هذه المعلومات على ضوء علم الصوتيات الحديث . مشيراً الى الفرق بين الحروف الصامتة Consonnes والحروف المصوتة Voyelles . ويذهب مذهب

Bravmanu الى ان العرب اشاروا الى هذا الفرق قديماً . ثم يتعرض لبحث مسألة المخارج ، فاذا اجتهاده يقوده الى تثبيت بعض المسميات كاللثوية للاحرف (ط ، ت ، ل) والى تنحية غيرها كالاسلية للاحرف (ص ، س ، ز) مفضلاً عليها الاسنانية للمعنى نفسه ، وربما ذهب الى ابعد من ذلك ، مستعيناً بآراء المحدثين من الباحثين ، مع المحافظة دائماً على روح اللغة واصولها ، فيستحسن ، بعض المسميات الحديثة ، دون مثيلتها القديمة ، لانها في رأيه لم تعد مؤدية لمعناها الحقيقي ، فاذا الحنجورية Pharyngales والمزمارية Glottales تقوم مقام ما سماه العرب احرفاً حلقية في حين لم يكن للتشريح هذا الرقي . ثم يقدم في ختام بحثه ، جدولين في وصف الصامتات ، وترتيب الحروف بحسب المخارج قديماً وحديثاً .

اما الدراسة الثانية : المظاهر الصوتية البارزة في اللغة العربية ، فيقسمها الى ثلاثة اقسام :

١ — من حيث المقاطع : وينقسم الى قسمين

ا — تشدد الفئات في المقاطع المطلقة والمقفلة ، ويحيل القارئ الى كتاب كانتينو في الصوتيات العربية .

ب — كراهية ابقاء المصوت الممدود Voyelle longue او المصوت المزدوج Diphtongue في المقطع المقفل .

يلاحظ المؤلف ان العرب كرهوا امثال ذلك على الغالب ، الا انهم اجازوه في النثر (الضالين مثلاً في اخر سورة الفاتحة) وغيرها ، اما في الشعر فالبيت التالي ، وقد جاء في كامل المبرد :

فذاك القصاص وكان التقاصّ فرضا وحتما على المسلمينا

هو الوحيد من نوعه ، كما يقول نولدكه . ثم يعرض للاشكال التي يلجأون اليها ، فاذا هم يجمعون رام ، على رامين — رامون — والقياس ان يجمع على رامين — راميون الخ ... كما استغنوا عن الياء . كراهية لتعاقب المصوتين

وكذلك هي الحال في هدى، وما يدخل في وزنها، وسواها مما يدخل تحته في الفصحى والعامية .

٢ — من حيث التنافر

يلاحظ المؤلف في هذا القسم، سيرًا مع علماء اللغات السامية، كراهية تكرار الحرف الصامت، عندما يكون مفصولًا بصوت مقصور، وهو ينقسم الى قسمين :

ا — كراهية تكرار الحرف الصامت مرتين : ويذكر هنا ان النحاة العرب اشاروا الى هذه الظاهرة، اذ الادغام، في رأي سيبويه، لم يكن الا لتلافي هذا التكرار . ويعدد ما قيل بهذا الصدد، عن التضعيف، وهو في رأيهم ان يكون اخر الفعل حرفان من موضع واحد، ثم يشرح عملية الادغام في الافعال، كفرَّ مثلًا واصلها فرر قياساً، وغير ذلك ؛ وفي الاسماء، كموادّ مثلًا، وقياساً ينبغي ان تكون موادد على وزن مفاعل، ولكن كراهية التكرار بررت هذا الادغام .

ب — وهنا يتكلم عن اسقاط احد الصامتين Haplologie في الافعال، كما جاء في القرآن مثلا في اسطاعوا بدلا من استطاعوا وظلتم بدلا من ظللتم وقد حذفت التاء ليخف اللفظ كما يقول الازهري .

اما في الاسماء فقد يؤدي هذا المبدأ الى سقوط الهمزة في بعض الكلمات مثلا : الناس من الاناس، والناقة من الاناقة ... الخ وقد يتعدى ذلك الى بعض الصيغ الجامدة، فتصبح على عَ، ومن مِ، وبينما بينا، في امثلة واردة في مفصل الزمخشري والاغاني .

ثم يشير الى الحصر الجاري في القياس الصرفي لبعض الاوزان في الافعال: كافعلَّل، وفي الاسماء كفُعلَّل، وفَعلَّل، وانما قلت هذه الامثلة كراهية للتضعيف كما يقول الزبيدي .

٢ — التنافر بين الصامتة والمصوتة . وقد يحدث نوع من القلب كراهية لالتقاء المصوتين، كقلب الفرض المؤدي الى الهمزة، في قولك قائل بدلا من

قاول ، وبائع بدلا من باوع . وكذلك هي الحال في بعض جموع التكسير على وزن مفاعل وفواعل فنقول حوائض بدلا من حوايض وعجائز بدلا من عجاوز ، وجزائر بـدلا من جزاور الخ ... وكذلك القول في الاوزان الاخرى ، كفعال ، وتفعال ، وفُعال ، وفِعال ، وافعال ، وفَعّال ، وفُعّال فقد قلبت فيها الواو او اليا همزة في قولهم : سواء ، وتعداء ، وبكاء ، وكساء ، واعداء ، وبناء ، وغزّاء الخ

وقلب الجواز في الكلام على المشابهة بين الواو والضمة ، والياء والكسرة ، والالف والفتحة في قولهم : ووؤل — غوؤر على وزن فعول ، في همزة مع الضمة ... ويذهب قدامه في كتاب نقد النثر الى القول : وكل واو انكسرت في اول الحرف فهمزها جائز ، نحو وشاح وإشاح الخ .

ويتفرع عن هـذا ما لوحظ عند بعض القبائل العربية من كسر اوائل الافعال المضارعة ، ولكن الجميع على كراهية هذه الكسرة

٣ — من حيث طبيعة الحروف الصامتة : وفيه يتكلم المؤلف عن ظاهرة سقوط الواو والياء الواقعين بين المصوتات . كسبيل لتفسير طائفة من المسائل الصرفية ، كسقوط الواو في قام واصلها قَ وَ مَ ورمى واصلها رَ مَ يَ في الافعال . وسقوط الياء في باعة واصلها بَ يَ عَ ة على وزن فعلة ، في الاسماء . ثم يرى ان هذه الظاهرة طبيعية بالمقابلة بين اللغات السامية ، ويستدرك بان هذه القاعدة لا تخلو من شواذ في الشعر ، وربما في غيره ، اما الاحاطة بكل ذلك فغير ميسورة بالمعلومات التي بين ايدينا عن عصر ما قبل الاسلام .

وانه لمن الحق علينا ، وقد قدمنا للقارئ خلاصة هاتين الدراستين المفيدتين ان نقول ، ان ما اوصل اليه الدرس العميق ، والطريقة العلمية المتزنة ، مما تتصف به ابحاث الاب هنري فليش ، لجزيل النفع للباحثين في شؤون اللغة العربية وقواعدها من جهة ، وفي اصول علم التجويد من جهة ثانية ، فعسى ان يحسنوا الافادة منها ، وذلك يحق افضل ما تثاب به جهود العلماء .

احمد مكي